طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

أعمال الملتقى الوطني حول

استراتيجية الثورة
في مواجهة الحركات المناوئة

المنعقد بولاية البليدة
يومي 24 - 25 أفريل 2005

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الإستقلال والشباب

نسق أعمال الملتقى وجمع النصوص وأعدها للنشر
" المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نونمبر 1954 "

منشورات وزارة المجاهدين
الجزائر 2007

الإيداع القانوني: 2007-1595
ر د م ك: 978-9961-846-45-2

Imprimerie
MONDIAL PRINT SERVICE
Tél / Fax : 021 74 99 99

المحتوى

كلمة معالي وزير المجاهدين 5

- التنظيمات التي أنشأتها فرنسا لمحاربة الثورة.....17

د.يوسف مناصرية

- الجناح العسكري للحركة الوطنية الجزائرية حقيقة وأهداف.....33

د. ابراهيم لونيسي

- المناوؤن للمقاومة الشعبية، خصوم الأمير وبوعمامة نموذجا.....55

أ. د. عبد القادر خليفي

- حركة شريف بن سعيدي.....89

أ. أحمد بن جابو

- الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي الدوغولية مع نهاية الثورة التحريرية (1961- 1962).....101

أ. دحمان تواتي

- تحولات الحركة المصالية وتفسيرها.....125

د- رابح لونيسي

الحركى من قوة احتياطية إلى مشكلة سياسية.....159

د. جمال يحياوي

- المعالجة السياسية والعسكرية لبعض الحركات المناوئة للثورة التحريرية.....177

أ.عبد العزيز بوكنة

- الحركات المناوئة للثورة الجزائرية في المغرب العربي الزوكيت نموذجا.....193

أ. عبد الله مقلاتي

- المدخلات والشهادات.....213

كلمة معالي وزير المجاهدين السيد محمد الشريف عباس بمناسبة الإفتتاح الرسمي لفعاليات الملتقى الوطني حول الحركات المناوئة للثورة الجزائرية بالبليدة، يوم 24 أفريل 2005.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي، سادتي.

أصحاب المعالي، رفقاء السلاح قادة وجنود جيش التحرير الوطني.

المنتخبون.

السلطات المحلية.

الحضور الكريم من أساتذة وباحثين وطلبة.

أصالة عن نفسي ونيابة عن الوفد الذي رافقني، يسعدني أن أحييكم تحية تقدير وتبجيل، وبعد.

من واجب المعرفة أن نعمل على أن يكون هنالك من التنوع والاختلاف في طبيعة الموضوعات والقضايا التي نهتم بها في مسعانا الكبير، للإحاطة بمعظم مشارب بحثنا في تاريخ المقاومة الوطنية والحركة الوطنية وثورة التحرير الظافرة.

ومهما كانت الجهود التي بذلت والإنجازات التي تحققت والبحوث التي أصبحت تملأ رفوف المكتبات وتعمر البيوت وتجلب الاهتمام وتحرك عقول الكثيرين، وتحمسهم لمزيد من

الحوار والجدل والبحث والتنقيب وهي لعمري إنجازات قيمة لكنها لا تعدو أن تكون خطوة على طريق تأسيس مشروع إنجاز مجمل تاريخنا المعاصر وهو من العظمة والتداخل والتشابك ومن القيمة ما هو عصي على أي عمل ارتجالي، أو بحث عابر فهو بكل المقاييس مهمة كبيرة وورشة مفتوحة على كل الاحتمالات، ورسالة شريفة في نفس الوقت ومرتكز للأجيال القادمة في مسيرتها الإستشرافية الخالدة.

وعليه، فإننا كجيل الثورة وجيل الاستقلال مطالبون بفتح العديد من الملفات بما فيها تلك التي يرشى بعضها الغموض وتبدو للكثيرين على قدر من الريبة والشكوك، ومهما يكن، فالتاريخ يجب أن يبرز إلى العيان ويستخرج من دهاليز الظلمات بما له وبما عليه، حتى لا يكون بركة للماء العكر يصطاد فيها كل خوان ختَّال، ولرُبَّمَا بعض ما نخافه اليوم، أو يخافه البعض قد تكون له نتائج وخيمة على مستقبل الأجيال إن لم نبدد حوله السحب ونفكك ما به من ألغام وألغاز لاسيما ونحن في زمن يدعونا للمكاشفة والمصارحة، بعد أن قطعنا شوطا عن اندلاع الثورة الظافرة واسترجاع الاستقلال المجيد.

أيتها السيدات، أيتها السادة رفاق السلاح:

إن ثورتنا كبقية الثورات العالمية الكبرى، بقدر ما عرفت مواقف عز ومشاهد بطولية خالدة، وسلوك حضاري وإنساني تَحْجُمُ أمامه الدلالات عن كل وصف وتدبيج إلى درجة رفعت شعبنا إلى مراتب التجلّة والتقدير من قبل شعوب العالم بما فيها فئات كثيرة من شعب الدولة التي كانت تحاربنا منا الذين استيقظ فيهم الضمير وصحى على حجم المظالم التي كان يمارسها دهاقنة السياسة والعسكر في الدواة المستعمرة، وفصيلهم المتقدم من المستوطنين العنصريين.

أقول هذه المواقف وهذه المآثر كانت لها بالموازاة مطّبات وتجاوزات وأخطاء ارتكبت كلها بسبب طبيعة الصراع بين ثورة شعب من جهة، وبين ظلم شرس يطبق بكل ألوان القهر والابتزاز والتزييف، وبين الاستعمار المستبد بحيث كان هذا العدو يلجأ لكل الأساليب المتاحة معتمدا على مبدأ برغماتي وأكثر منه ماكيافلي مفاده الغاية تبرر الوسيلة، لهذا السبب عرفت ثورتنا إرهاصات ومحاولات تمردية، لحركات مناوئة صنعها الاستعمار بعد أن خطط لها بعمق وموَّلها وسيَّرها وحاول أن يصَدَمَ بها الثورة من أجل القضاء عليها، متصورا أن مثل هذه الحركات التي فيها من الجزائريين الذين باعوا

ضمائرهم وآخرين مغرر بهم، مبررا ذلك بأن الثورة لا تحظى بإجماع الشعب، كما يريد من ناحية أخرى، ضرب الجزائريين ببعضهم البعض، وخلق بلبلة قد تؤدي في نهاية المطاف إلى حروب أهلية حسب أحلام المستعمرين، يكون فيها العدو المنتصر الوحيد والمستفيد، وقد عرف عن المستعمر الفرنسي وكل الاستعماريين الكبار في التاريخ، لجوئهم لهذا الأسلوب الخسيس وهذه الطريقة الفتاكة، كلما صدموا بمواجهة وطنية ثورية من قبل الشعوب التي احتلوها وهيمنوا على ثرواتها ومقتدراتها، ونلحظ ذلك في شعوب الهند الصينية وأفريقيا والبلاد العربية، وهو مبدأ روماني قديم قوامه فرق تسد.

وقد عمد الاستعمار دائما إلى خلق زعامات وهمية وأبطال من كرتون ومعارضات وهمية كثيرا ما يخضعها لأسلوب استخباراتي جهنمي، معتمدا على ذلك على الجزرة والعصا والترغيب والترهيب لشراء ذممها وإفراغها من ضميرها، إن كان لها ضمير، ليصادمها فيما بعد بالحركات التحررية أو بنظم الدول الوطنية كما هو الحال اليوم في أكثر من مكان ولأكثر من سبب.

وإني لأروم من هذا الملتقى الذي تعقدونه في هذه المنطقة المجاهدة التي عانت من ويلات حركة مناهضة عملية للاستعمار، أروم فيه كفاءة وقدرة على إبانة الكثير من الحقائق وتعرية ما كان يستر عيوب هذه الحركات المناوئة للثورة التي كان يقف وراءها المستعمر بكل الوسائل، إذ كل ما ذكرت هذه الحركات، إلا وذكرت معها المآسي التي عاناها الشعب الجزائري، وما لحقه من تنكيل وبطش، وهتك للأعراض والحرمات، ونهب للأرزاق وتخريب للممتلكات، إذ تركت هذه التجاوزات أثارا لا يمكن نسيانها ولا حتى محوها من الذاكرة، لا لبشاعة هذه الجرائم المرتكبة فحسب، ولكن باعتبار أنها صادرة من بني جلدة هذا الشعب، ممن استطاع المستعمر أن يجعل منهم عملاء يأتمرون بأوامره، وينفذون مخططاته قصد القضاء على الثورة.

إن هذه الحركات التي أخذت تسميات كثيرة، وفي العديد من مناطق الوطن، أسس البعض منها جيشا، حاول بكل ما وفر له العدو من إمكانيات، سواء بالترغيب أو الترهيب لاستمالة أو تركيع أبناء الشعب، لكن قوة الثورة وعزيمة قياداتها أفسدت عليها ذلك، وكبدتها خسائر فادحة الأمر الذي جعل البعض

منها تضطر تحت ضربات جيش التحرير الوطني إلى تغيير مواقعها معتمدة أساليب جديدة غاية في المناورة والزيف وتوريط المواطنين أصحاب النوايا الطيبة، في ظل غياب معلومات واضحة عن الثورة، في أوساط هؤلاء المواطنين.

ومن المؤسف أن بعض البقايا من هذه الحركات بكل عملائها وبجيشها الذي كان في معظمهم من المغرر بهم، وفي بعض المناطق استمر في معاداة الثورة حتى الاستقلال مكلفا بذلك الجزائر خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ومسببا حرجا للثورة التي كان هدفها طرد المحتل وتحرير الوطن واسترجاع السيادة وبناء الدولة الوطنية الحديثة لكل الجزائريين.

هذا ومن حق الأجيال الصاعدة والأجيال القادمة أن تعرف كل شيء عن ملابسات هذه الحركة المناوئة للثورة والتي أحيانا جاءت نتيجة لمناورات العدو واستعماله الابتزاز والإغراء التي قبل بها ضعاف النفوس، ولعل من أسبابها أيضا شراسة المعركة وطول مدة الحرب وفظاعة المجازر التي كان يرتكبها جيش الاحتلال ضد المواطنين مستغلا في ذلك الكثير من القضايا الداخلية لبعض المناطق لاعتبارات قبلية وعشائرية

التي كانت الثورة قد تجاوزتها وصاغت وحدة متكاملة من الشعب الجزائري الذي احتضن في جملته الثورة وموَّلها بالرجال والزاد وتحمل في ذلك ضريبة مليون ونصف مليون شهيد.

واليوم، ترون أيها الجمع الكريم كيف أننا تلتقي في هذا الملتقى لنُحَكِّمَ التاريخ باسم العلم والبحث الموضوعي في واحدة من أدق وأخطر القضايا التي عاشتها الثورة وخرجت منها ظافرة وتحمل فيها العملاء والمرتدون لعنة التاريخ الأبدية.

أيتها السيدات، أيها السادة:

إذا كنا اليوم ننعم بكل مواصفات الدولة السيدة، فالفضلِ كل الفضل يعود إلى ثورتنا الشعبية وإلى طلائعها ومجاهديها وقادتها الأشاوس، وإلى شهدائها قبل غيرهم رحمهم الله.

وأن ثورة بهذا الحجم لا تخاف من حركة النقد والنقد الذاتي وما ملتقانا هذا إلا صورة حية لتقييم الذات وبابا آخر للمصالحة مع الذات والمصالحة مع التاريخ.

إذ ما أشبه الليلة بالبارحة، فكما اعترضت الحركات المناوئة للثورة الجزائرية، اعترضت حركة الإرهاب بمن فيها العملاء المخططون والمغرر بهم على السواء لحركة بناء الدولة المعاصرة وتحقيق التنمية والرقي والحداثة في هذا العصر الصعب المنال.

وكما تصدى المجاهدون والمخلصون بالأمس لعملاء البارحة، تصدى نفس المجاهدين وكل المخلصين والمؤسسات الدستورية كالجيش الوطني الشعبي وكافة أسلاك الأمن إلى الإرهاب الأعمى وقهروه على وحشيته وجبروته بالرغم من الدعم المادي والمعنوي التي كان يحصل عليهما من دوائر كثيرة، أجنبية في الغالب.

وقد قيض الله في المدة الأخيرة للجزائر، رجلا من طليعة المجاهدين كان على الدوام قدوة في الإخلاص والوفاء والفطنة والذكاء، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي اختاره الشعب بأغلبية ساحقة سنة 1999 أو منذ سنة خلت من عهدة أخرى، وباختياره اختار الشعب السلم والمصالحة إستراتيجية لخوض غمار المستقبل.

فرأيناه منذ أن تولى مقاليد الدولة، تحدى الإرهاب بالسلام وأعاد مصير الشعب إلى الشعب يستفتيه في كل أمر اقتناعا منه بأنه مصدر القرار وسيده كما كان مصدر الثورة وسيد الاستقلال، فاختار شعبنا السلم والمصالحة وباشر الرئيس إصلاح المؤسسات على اختلافها وجاهد في سبيل نهضة اقتصادية شاملة، ورافع كما لم يرافع أحد من أجل إعادة اعتبار الجزائر في المحافل الدولية فتحولت الجزائر بفضل الله ثم بنشاطه الحثيث ومواقفه الصريحة وقدرته على الإقناع والتأثير، حولها إلى محطة إقليمية ودولية تسهم بكل اقتدار في مسعى إلى ترتيب مشروع صياغة علاقة دولية جديدة ميسمها التوازن الدولي والاستقرار والتعايش السلمي والاندماج الاقتصادي وضمان الحريات والحقوق وسيادة الشعوب المستضعفة.

و واجبنا جميعا أن نقف إلى جانبه كمواطنين وكمجاهدين وكمخلصين في كل المواقع، نستلهم منه ومن رؤيته الصائبة ورجاحة عقله أسلوبا لدعم مواقفه التي هي مواقف الجزائر من أجل تحقيق إقلاع شامل نحو آفاقنا المستقبلية، ولنكن جميعا مجندين في مشروعه الذي هو مشروعنا جميعا

ومشروع الجزائر ومفخرتها ومنه المصالحة والعفو الشامل الذي سيجتث دابر الخلافات وكل إمكانات الأطراف المناوئة للجزائر ويعريها ويضع الذين يقفون من ورائها والذين يدعمونها ويؤازرونها عراة، صلبانا على هيكل الحق، وفقكم الله ووفقنا ووفق رئيسنا لما فيه خير الجزائر وسؤددها ورفاهيتها.

وأعلن رسميا على افتتاح هذا الملتقى الهام، مجددا شكري وامتناني لكل اللائي والذين أسهموا في التحضير له والإشراف عليه.

والسلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

التنظيمات التي أنشأتها فرنسا لمحاربة الثورة.

أ. د. يوسف مناصرية

قسم التاريخ – جامعة باتنة-

الأمين العام لاتحاد المؤرخين الجزائريين

بادرت القوات الاستعمارية منذ اندلاع الثورة إلى إنشاء تنظيمات فرنسية وجزائرية لمواجهة تطور الثورة. وظهرت هذه التنظيمات خاصة في عهد الحاكم العام جاك سوستال خلال سنة 1955.

ثم وقع التركيز عليها في عهد الجنرال ديغول منذ 1958.وقبل التطرق إلى موضوع التنظيمات الفرنسية، نود الإشارة هنا إلى بعض الجهود التي بذلها بعض الجزائريين في تكوين فرق ضد الثورة، ونركز على جهد الباشاغا بوعلام نظرا لشهرته في التعامل مع الاستعمار ثم نسرد رأي أحد الجزائريين أفراد تنظيم القوم برتبة رقيب ونصائحه التي أفادت الاستعمار كثيرا ونلخص النتائج التي توصل إليها الجنرال بوفر (Beaufre) التي أكد فيها أن العمل العسكري وحده لا يكفي للقضاء على الثورة مهما كانت قوته عددا وعدة.

1- الباشاغا بوعلام:

الباشاغا بوعلام السعيد، العميل الفرنسي الذي تطوع في الجيش الفرنسي وصار ضابطا في فرق الصبايحية برتبة نقيب، والصبايحية هي إحدى القوات التي أنشأتها السلطات الفرنسية لقمع الجزائريين ثم لمواجهة الثوار منذ 1954، وتجنيد الخونة من الحركة، وتدريبهم في صفوف الصبايحية، ومواجهة الثوار وعند الفشل يعمدون إلى قمع الشعب الأعزل، خاصة في الريف وممارسة الأفعال مثل (القتل الجماعي والاعدامات والحرق والتدمير، والنهب والاغتصاب...).

ولم يكن الباشاغا بوعلام الوحيد من عائلته المجندين في صفوف الفرنسيين فقد مات أخواه في صفوف الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى 1914- 1918. فهي إذن عائلة مخلصة وخادمة للاستعمار الفرنسي.

ومنحته فرنسا كل الوسائل لقمع الجزائريين والتنكيل بهم. ولما اندلعت الثورة التحريرية إزداد غيا، وكون فرقا كثيرة من الحركة لمواجهة الثوار الذين حاولوا في البداية كسبه لصف الثورة ولكنه تمادى في أفعاله البشعة، مما أدى بالثوار إلى تهديده ووعيده هو ومن معه من الخونة والرد على ما كان يقوم به من أعمال لصالح الاستعمار، وخاصة تكوينه لفرق الحركة. وبلغه الثوار عدة تهديدات وانذارات ولكنه لم يتعض، وواصل تصريحاته المخلصة لفرنسا وحبه لها والمشاركة في مؤتمراتها، والدعوة إلى مواجهة الثورة بقوة.

وهكذا انفذت مخططات الثورة ضد هذا الخائن، فاعدمت ابنه واخيه. وكان ابن الباشاغا خائنا مثل أبيه، وكان نائبا على مدينة الأصنام، ونائبا لرئيس المجلس الوطني. ولم تحميه هذه المسؤوليات العليا من الكمين الذي نصبه له الثوار. فأعدموه مع عمه ولقنوا الباشاغا بوعلام درسا لن ينساه[1].

وكان الباشاغا بوعلام، نائب رئيس المجلس الوطني، معارضا لكل سياسة فرنسية تهدف إلى تهدئة الوضع في نظر الفرنسيين ولذلك عارض سياسة ديغول الرامية إلى العفو الشامل على كل المحكوم عليهم

بالاعدام في الجزائر، فأكد رأيه "أن ذلك يعتبر جائزة للقتلة" وكان متأثرا بقتل ابنه، وكان فقدانه لاحدى عشرة شخصا من أفراد عائلته في سبيل فرنسا، ادى به إلى معارضة السياسة الفرنسية، ولم يكن المسلم الوحيد بل إن كل النواب الجزائريين من حوله كانوا مدعمين لرأيه. وأعربوا عن مدى حزنهم أن يصدر الجنرال ديغول العفو الشامل على الجزائريين المحكوم عليهم بالإعدام[2]. وذلك على الرغم من أن ديغول في الواقع كان يهدف إلى ضرب الثورة في وحدتها وفصل الشعب عن أبنائه الثوار.

2- الرقيب الحركي (Goumier) يحلل استراتجية جبهة التحرير الوطني وكيفية مواجهتها:

إن هذه الحرب الثورية تتطلب وضع اليد والسيطرة على السكان المدنيين، وهذا هو الهدف ومواجهة جبهة التحرير لأنها هي نفسها تعمل على كسب السكان لصالحها، وهو تكتيكها واستراتيجيتها. لأن السكان هم الذين يدعمون الثورة بالجنود والقادة، والمؤن والمعلومات والإطارات السياسية والمال، ووفق مبدأ جبهة التحرير الوطني، فإن الشعب هو الماء الذي تحي فيه الثورة أو تموت.

وعليه فإننا نحن العسكريون لا نواجه عدونا (المجاهدين) المسلحين فقط، ولكن علينا تحطيم أسلحتهم الاستراتيجية ذلك لا يتأتى إلا بالتحكم في السكان المدنيين المسلمين بفعل مراقبة المشكوك فيهم من سكان الريف خاصة، وحماية أنصارنا وتكثيف النشاط الإداري

والنفسي وهو أمر صعب أمام ضعف امكانياتنا العددية العسكرية والمدنية، ويبقى الحل والوسيلة الوحيدة هي تجميع السكان عن طريق إنشاء الفرق والمراكز العسكرية والفرق الإدارية المتخصصة. ولابد من إنشاء. مساكن ريفية وإعادة تنظيم مصادر العيش المحلية. وإعادة بناء المنشآت القاعدية للقرى خاصة توفير المياه، المدارس والبلديات، إن ثمن ذلك باهضا ولكن فوائده جمة فمن أجل خنق هذا "السمك" لابد من تجفيف المياه، ذلك أن عدونا (المجاهدون) بدون الشعب يموتون عطشا[4].

3- الجنرال بوفر (Beanfre) يحدد وضع الجزائر:

قيم الجنرال بوفر الوضع في الجزائر مؤكدا أنه لابد على فرنسا أن تستعيد هيمنتها على المسلمين الجزائريين وهو أمر مرتبط في الأصل بتحقيق أمنهم وضمان سلامتهم واستعادة الثقة بهم، فلا يمكن أن ننسى أننا نخوض حربا ثورية، وأن القوات المسلحة حتى في حالة تدعيمها بأعداد اخرى، لا تستطيع فعل كل شيء بمفردها. وصار لزاما علينا معالجة الأمراض المزمنة المنتشرة في الجزائر كالبطالة، ومشكل الأجور، والتسلط الإداري، وعلى العدالة أن تلعب دورها الناجح في الضغط من أجل تطبيق هذه السياسة[5].

أتينا بهذه الأمثلة لكي نوضح اهتمام الاستعمار وأعوانه بمسألة كسب الشعب الجزائري لصالحه بكل الوسائل ومنها إنشاء المراكز والتنظيمات المختلفة التي سنتطرق إليها باختصار.

نحاول هنا في هذه العجالة تلخيص أهم ما توصلنا إليه من معلومات حول هذه التنظيمات معتمدين على التقرير الأساسي الذي قدمه الجنرال شال سنة 1959[6].

1- المصالح المركزية للشبيبة ومراكز تكوين الشبيبة الجزائرية (Service (C.F.J.A) (Central de la Jeunese . Centre de Formation des Jeunes en Algérie

يقع التكوين تحت الرعاية الأساسية للمصالح المركزية للشبيبة ومركز تكوين الشباب الجزائري ويتم تجنيدهم وتوزيعهم على مختلف المراكز التي كان عددها 35 مركزا للتكوين التمهيدي، يشرف عليها الجنرالات مسؤولوا المناطق الشرقية والوسطى والغربية (CAO, CAA, CAC) ويديرها مدربون عسكريون.

وفي سنة 1959 تم تجنيد 1368 شاب بمركز التكوين المذكور ثم أسست مصالح متخصصة تشرف على التكوين المهني لهؤلاء الشباب الجزائريين ثم توسعت المراكز وكثرت وتنوعت لتشمل المراكز الصحية والطبية.

2- تنظيم السكان وتجميعهم:

في هذه الوسيلة التي كان الهدف منها هو فصل الشعب عن الثوار، وقع التركيز على مسائل ثلاث هي:

1- عزل السكان عن نشاط وتأثير الثورة.

2- منع وصول الدعم والتموين والتمويل من الشعب إلى الثوار وخاصة في الريف.

3- التظاهر أمام السكان بأن تجمعهم هو رعاية وحماية لهم وتحسينا لظروفهم المعيشية.

ووقع تجميعهم في ما يسمى: المراكز الاقتصادية في إطار الإصلاح البلدي والإداري والفلاحي: وتم تجميع ما يزيد عن 900.000 شخص بتاريخ أول أفريل 1959 توزعوا على 800 مركز (أي 1000 شخص في كل مركز)، وأسس 198 مركزا لقوات الدفاع الذاتي مهمتها حراسة مراكز التجمع أي مابين مركزين إلى ثلاثة لحراسة مركز تجمع سكاني واحد. ويصبح بذلك الحصار مضروبا على السكان في سجن واسع جماعي سمي "محتشدا".

وبالإضافة إلى الحراسة المشددة، يخضع السكان إلى النظام العسكري القمعي تحت عدة وجوه من بينها الأمني والاحصائي والتأطير والهيكلة، ضف إلى ذلك الحرب النفسية المكلمة لنشاطات القمعية المذكورة (Action Psychologiquel)[7]. مثل الضغوطات والاغراءات وغيرها.

3- مراكز التكوين الخاصة بالرجال:

عمدت فرنسا إلى تأسيس مؤسسات أخرى لضرب الثورة في الصميم ومنع التحاق الجزائريين بصفوفها، فوقع تأسيس مراكز تكوين في النواحي القطرية وكان كل مركز يتستقبل متربصين من الجزائريين شبابا وكهولا تقع أعمارهم بين 25 و50 سنة يوزعون بحسب مستوياتهم التعليمية وأعمارهم ويتلقون مبادئ التربية المدنية والصحية

وبعض عناصر المعارف الإدارية العامة. وعند تخرجهم يتوجهون لنشر تلك الأفكار الاستعمارية التي لقنهم إياها العساكر ينشرونها بين الجزائريين وخاصة منها مبادئ المواطنة الفرنسية ودور فرنسا الحضاري وضرورة الابتعاد عن المجاهدين ومقاطعة الثورة والثوار.

ثم تأسس اثنى عشرة مركزا في اول أفريل 1959 لأداء نفس العمل وتحقيق نفس الأهداف وكان كل مركز من هذه المراكز يضم بين 30 و 40 متربصا جزائريا لأداء المهام المذكورة.

ومثلما وقع الاهتمام بالرجال وقع الاهتمام بالنساء الجزائريات لتقومن بدورهن لاستخدامهن ضد الثورة ومن المعلوم أن المرأة الجزائرية كانت هي القاعدة الأساسية في التموين والعمل القاعدي للتنظيم السياسي والإداري لجبهة التحرير ومن اجل إبعادها عن هذا الدور الأساسي تم جلبها إلى مراكز خاصة أخذت اسم الفرق الطبية والاجتماعية الخاصة بالنساء.

4- الفرق الطبية والاجتماعية الخاصة بالنساء:

لقد وقع تركيز على المرأة الريفية التي تعتبر هي قاعدة تموين الثورة وحفظ أسرارها تنشيط خلاياها والحث على دعمها المادي والمعنوي وتحت الغطاء الطبي والاجتماعي تسربت السياسة الاستعمارية إلى المرأة الجزائرية. وكانت هذه الفرق الطبية والاجتماعية تقع تحت اشراف العسكريين الفرنسيين وكانت الفرقة تتكون من طبيبة فرنسية ومساعدتين جزائريتين. ويشرف على الفرقة طبيب عسكري.

وعملت الفرقة الطبية على مباشرة الاتصالات مع النساء الجزائريات لجلبهن إلى الفرقة ثم تغذيتهن بالأفكار الاستعمارية.

ومن اجل احتوائهن تأسست مراكز نسوية (Cercles Feminins) بلغ عددها 110 مركزا للفرق الطبية والاجتماعية عملت على تلقين النساء الجزائريات مبادئ التربية المدنية الفرنسية والصحية والوقائية بهدف إبعاد المرأة وعزلها عن الثورة. وعم نشاط هذه الفرق القطاعات والدوائر والأحياء الشعبية.

5- مركز الاهتمام بالشبيبة:

تأسست مراكز تكوين مدربي الشبيبة الجزائرية سنة 1957 (Centre D'enseignement des Moniterurs de la Jeunesse Algerienne)

وكان المدربون عسكريون جزائريون متطوعون ومدعوون إلى الخدمة العسكرية وكان التدريب يتم لمدة أربعة أشهر يرتكز تكوين العسكريين على مواد أساسية هي: التربية المدنية – التربية البدنية – التربية الأخلاقية بشكل يسهل على المتخرجين أداء رسالتهم الاستعمارية وتكوين الشباب الجزائري على نفس النهج والمبادئ الفرنسية مثلما يوضح النص التالي:

" ... Qui leur permet, a leur retour en algerie de preparer les jeunes musulmans a remplir dignement leur role de citoyens francais".

وكان إطارات المركز كلهم عسكريون 21 ضابط عاملا و60 ملازما ومرشحا. وكان المدربون من الجزائريين يؤدون مهامهم بحسب الفرق من اثنتين إلى ثلاثة. وكان بهذا المركز 1332 مدربا حتى تاريخ 10

جوان 1959 وضعوا تحت تصرف مصالح تكوين الشباب الجزائري (Service de la formation de la jeunesse Algérienne) التي تأسست لهذا الغرض سنة 1958 ويساهم المتخرجون في تنشيط الشباب ويلقنونهم المبادئ الفرنسية بهدف جعلهم مواطنين فرنسيين صالحين مخلصين لفرنسا، وكان التلقين والتنشيط يتم في:

- النوادي الرياضية.
- مراكز تكوين الشباب.
- نوادي الشباب.

وكان إطارات مصالح تكوين الشباب الجزائري يتألفون من 20 ضابطا عاملا ومائتي ملازما ومرشحا.

وكان مركز تكوين الذكور من أبناء المسلمين الجزائريين يقع في مدينة (ISSOIRE) الفرنسية، ويتم في هذا المركز اقناع هؤلاء الشباب بالابتعاد عن الثورة وعدم التجنيد في صفوفها. وإلى جانب مدرسة الذكور تأسست مدرسة المدربات الاناث المسلمات بمدينة (NANTES) الفرنسية وذلك منذ جويلية 1959.

6- مراكز المهام الإدارية:

وضع جيش الاحتلال أعداد متنامية من العساكر لتسيير الإدارة في الجزائر ففي أفريل 1959 كان هناك 696 فردا من رجال الفصائل الإدارية المتخصصة (SAS) منتشرين في شمال الجزائر والمناطق الداخلية وكان عدد الإطارات الإجمالي المفصل يتكون من:

- 1192 ضابطا.
- 659 صف ضابط.
- 1579 من المجندين الفرنسيين.
- 1102 من أفراد القوات الخاصة الشمال الإفريقية (المسلمين).

أما الأماكن التي ركزت عليها السياسة الاستعمارية والمعروفة (بالتهدئة) المتقدمة فكان بها مراكز (SAS) المدعومة التي تقع عليها مسؤولية مراقبة الأحياء الشعبية وهكذا وقع التحضير للعودة إلى الإدارة المدنية الفرنسية ومن اجل تحقيق هذا الهدف تم التفكير في تأسيس 10 قواعد من الفصائل الإدارية المتخصصة (SAS) سنة 1959 لتصل سنة 1960 إلى 40 قاعدة.

وبالإضافة إلى المهام الأساسية المباشرة التي كان يؤديها الجيش لاستكمال العمل الإداري فإن هذا الجيش كان يقدم مساعدات للمصالح العمومية (Services Publiques)، وينتدب بصفة دائمة ومؤقتة بعض تقنييه للقيام بهذه المهام. وما يقال عن مساعدة المصالح العمومية ويقال أيضا عن الأشغال العمومية (Travaux Publiques) والبريد (P.T.T) وشرطة الدولة (Police d'etat) والإدارة الولائية في العمالات (Administration Préfectorale) والمندوبية الدائمة للحكومة (La délegation générale du gouvenement).

7- تجنيد وتكوين إطارات القوات المتخصصة شمال إفريقيا:

إن مضاعفة أعداد فرق القوات المتخصصة لشمال إفريقيا يتطلب مضاعفة تأطيرها بصفة متوازية من جميع الأصناف (الضباط- صف الضباط- والعرفاء).

وكان المشكل الأساسي في تكوين هؤلاء الجزائريين هو مستواهم الثقافي الضعيف ولذلك اتخذت إجراءات من أجل تكوينهم منها:

- تكوين الضباط العاملين:

الفرق المتخصصة بمدينة (Stasbourg) الفرنسية. وكان من أهدافه تحضير صف الضباط من القوات المتخصصة الشمال إفريقيا (FSNA)، إما لإدخالهم للمدارس العليا العسكرية للمشاة العاملين (ESMIA) بالنسبة للمتفوقين، وإما ادخالهم لمدارس الأسلحة المختلفة.

وهكذا تطوع بعض الشباب الجزائريين في صفوف هذه القوات وصاروا ضباطا فيها ومنهم:

- 22 توصلوا إلى الترسيم ونالوا رتبهم في أكتوبر 1958.
- دخل 35 إلى المدارس التطبيقية وترسموا في أول أكتوبر 1959.
- تخرج حوالي 40 ملازما من القوات المتخصصة، وتوزعوا للعمل في مختلف المناطق الجزائرية.
- ضباط الاحتياط:

كانت هناك ثلاث مدارس رئيسية تأسست سنة 1959 لاستقبال المتربصين من ضباط الاحتياط المسلمين وتتم تنقيتهم بحسب التحضير العسكري العالي وأيضا كان يتم اختيار الاحتياطيين والعاملين وفق فحص دقيق وهكذا فإن من هؤلاء المجندين الجامعيين الذين كانت لديهم قدرات ثقافية بحسب نتائج الفحص يوجهون إلى الفرق المتخصصة في السنة التمهيدية بمدرسة شرشال لمدة ثمانية أسابيع. وتخرجت عدة مئات من العساكر الضباط أما صف الضبطا فكانوا قد تخرجوا بالآلاف.

ميادين التخصص

- صف الضباط الذين كان يتم توجيههم إلى مختلف الأسلحة:

سلاح المشاة: يقع في مراكز تكوين الطلبة صف الضباط (فرنسيين ومسلمين) بحسب النواحي القطاعية في وهران ودلس وبجاية ثم داخل مراكز التدريب في فيالق الرماة.

- سلاح الرماة: ويقع تدريبهم في مدفعية التدريب في النواحي القطاعية والهيئات العسكرية بوهران والبليدة والتلاغمة.
- الأسلحة المختلفة: ويتكون أفرادها في مراكز التدريب الجهوية.

وعلى الرغم من هذه المراكز التي عملت على هيكلة الجزائريين اجتماعيا وعسكريا للوصول بهم إلى خنق الثورة، فإن المخططات الاستعمارية لم تنجح في تحقيق أهدافها الاستراتيجية، وخاصة

منها عزل الثوار عن الشعب وإبعاد الشعب عن ثورته ذلك أن هذه الثورة هي ثورة شعبية تحريرية وثورة سلم تهدف إلى تحقيق السلم والسلام والأمن والاستقرار لشعب طالما عانى من ويلات الاستعمار وما تأسيس تلك المراكز وغيرها إلا دليل على أن الاستعمار بالفعل غبي لا يفهم ولن يفهم إرادة الشعوب في التحرر والتضحية في سبيل ذلك بالنفس والنفيس.

الهوامش:

(1)- عين جاك سوستال حاكما عاما على الجزائري في فيفري 1955، وقد صادف تعينه القاء القبض على القائد الشهيد ابن بولعيد فأرسل إليه رئيس ديوانه العسكري فانسان مونتاي ليحاوره حول الثورة، رغم براعة وسعة علم مونتاي فإنه عاد منبهرا بشخصية ابن بولعيد وسعة علمه ودقة حكمه على الاستعمار، ويمكن تلخيص سياسة سوستال في عدة جوانب السعكرية للقضاء على الثورة والاقتصادية والاجتماعية لعزل الشعب عن الثورة والسياسية لتأسيس لجنة إصلاحية انضم إليها الكثير من رجال السياسة الجزائريين وشخصيات فرنسية مثل: جرمان تيو (G.Tillon) التي برعت في الدراسات الاجتماعية وخاصة في منطقة الأوراس. وقد انكسرت هذه السياسية على صخرة الوحدة الوطنية.

"Comment meurent nos amis d'Algérie", Revue Aux écontes, 41eanneé, n° 1800, du Vendredi, 16 Janvier, 1959, P.8.

- IBID, P.4.(2)

(3)- المصدر نفسه.

(4)- انظر:

-"Un sergent de goumiers nous dit " in revue aux ecoutes n° special 1786 10 octobre 1958 p 14.

(5)- انظر:

-" Alger, Fevrier 1956" in Reuve Guerre d'algerié n°1 , Janvier, Février, 2002, p.19.

(6)- انظر:

-Archives Vincennes, 1H1678, Evolution de la situation en Algerie, Rapport du géneral Chales, 1959.

(7)- من أشهر رجال الحرب النفسية البسيكولوجية العقيد لاشروي (C.Lacheroy) الذي مارس في الهند الصينية وتفنن في أساليب الأسلحة النفسية وحين اندلعت الثورة التحريرية باشر نشاطاته في هذا التخصص المهم في السلطة الفرنسية. للتوسع طالع:

-"Le Colonel Charles Lacheroy, théoricien de la guerre revolutionnaire et de l'action psychologique in Revue guerre d'Algérie, n°1, Janvier- février 2002, pp38- 43.

الجناح العسكري للحركة الوطنية الجزائرية
حقيقة وأهداف

الدكتور ابراهيم لونيسي
قسم التاريخ جامعة جيلالي
ليابس- سيدي بلعباس-

تمهيد:

لقد حاول مصالي الحاج وأنصاره منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة التحريرية خطفها من أيدي مفجريها الحقيقيين ونسبها إلى نفسه، حيث عمل على إيهام الرأي العام الوطني بعد أربعة أيام فقط من انفجار الثورة على أنه صاحب الحركة فقام بإرسال رسول يبلغ أنصاره بفرنسا والجزائر التعليمات التالية "لا تسألوا عمن يقف وراء الثورة واصلوا غمار الكفاح حاولوا أن تسيطروا على الحركة"، إن هذه التعليمات كانت موجهة أساسا لمولاي مرباح الممثل الشخصي لمصالي الحاج بالجزائر إلا أنها لم تصله لأن السلطات الاستعمارية كانت قد ألقت عليه القبض[1].

وأذاع مصالي الحاج بعد ثمانية أيام من اندلاع الثورة بيانا موجها للفرنسيين ندد فيه بالنظام الاستعماري، ونهبه للأراضي ومحاربته اللغة العربية، وتسلطه على الدين، ثم طلب فيه من الشعب الفرنسي وطبقته العاملة أن يمد يدا أخوية للشعب الجزائري ويتعهد مصالي الحاج في هذا البيان بالعمل من أجل "صداقة متبادلة بين الشعب الفرنسي، والعمال الجزائريين تتطور في الكفاح من أجل أن يتخلص شعبانا من كل تبعية استعمارية ورأسمالية ويسيران قدما نحو الحرية والتقدم والعدالة والسلام والتضامن بين الشعوب"[2].

ومن هنا نرى أن مصالي الحاج لم يكن ضد إعلان الثورة من أجل استقلال الجزائر ولكن الشيء الذي لم يستطع تقبله أن تندلع

الثورة بدون علمه، وبعيدا عن قيادته وخصوصا من أفراد ينتمون أصلا إلى حزب يرأسه هو، ويبدو أن هذا الأمر هو الذي دفع بمصالي الحاج إلى تأسيس ما يعرف بالحركة الوطنية الجزائرية حتى يتسنى له منافسة جبهة التحرير الوطني بواسطتها. كان اختيار مصالي الحاج لهذه التسمية عن قصد، ولم يكن اختيارا عشوائيا. فلهذه التسمية شهرة واسعة ومكانة هامة وخاصة في أوساط الجماهير الشعبية، وبواسطة هذا التنظيم حاول مصالي الحاج خطف الثورة من أيدي جبهة التحرير الوطني ونسبها إلى حركته الوطنية، وهو الأمر الذي أشار إليه صراحة في رسالة وجهها إلى رئيس مجلس وزراء سورية يوم 10 مارس 1957، حيث يفهم من محتوى الرسالة بأن جبهة التحرير الوطني المكونة من عناصر مطرودة من حركة الانتصار من أجل الحرية والديمقراطية قد فشلت في إشعال فتيلة الثورة، إذ ولدت وماتت في يوم واحد، وفي اليوم الثاني من نوفمبر قامت الحركة الوطنية الجزائرية برفع لواء الجهاد دفاعاً عن شرف الشعب الجزائري، وتقول الرسالة نفسها أن الثورة بقيادة مصالي الحاج قد تمركزت في الأوراس وفي منطقة القبائل حيث يوجد مسؤولان عرفا بوفائهما وولائهما للزعيم، وهما مصطفى بن بولعيد وكريم بلقاسم[3].

سعي مصالي الحاج وأنصاره إلى تخريب الثورة من الداخل:

إلا أن الحقيقة التاريخية في كل هذا هي العكس تماما، وهو ما كان مصالي الحاج ومقربيه متأكدين منه، بل والأكثر من ذلك فإنهم

كانوا يعرفون تمام المعرفة أنه من الصعب خطف هذه الثورة من أيدي أصحابها الحقيقية. وبعد تأكدهم من فشلهم في بسط نفوذهم وسيطرتهم على الثورة بدأوا في العمل على تخريب الثورة من الداخل. وذلك بأن اندس بعضهم داخل صفوفها، وفي هذا الشأن يقول الأخضر بن طوبال أن المصاليين قد أشاعوا دعايات سامة، واختلط بعضهم برجال جيش التحرير الوطني لفك الأواصر التي تربط بينهم، وليستولوا على مراكز القيادة، فكان هدفهم القضاء على الرؤساء المخالفين لهم وتسيير الثورة باسم مصالي الحاج، فيذكر كدليل على ما يقول، أن الحركة المصالية أرسلت شخصيتين إلى المنطقة الثانية - منطقة الشمال القسنطيني التي أصبحت تحت قيادة زيغود يوسف بعد استشهاد ديدوش مراد في 15 جانفي 1955- للإندساس في أوساط المجاهدين بالإدعاء أن الشرطة الفرنسية تسعى في طلبهم، فوضعت قيادة المنطقة ثقتها فيهما، ومع مرور الأيام شرعا في التخطيط رفقة شخص ثالث[4] لتنفيذ المؤامرة التي جاءا من أجلها، وهي تصفية عناصر قيادة المنطقة الثانية، ولكن لحسن حظ القيادة أنها اكتشفت خيوط المؤامرة وحاكمت الأشخاص الثلاثة ونفذ في حقهم حكم الإعدام[5].

ونسجل هنا أيضا أنه حتى جبهة التحرير الوطني طلبت من بعض عناصرها الإدعاء بأنهم مصاليين في العديد من القرى التابعة

للولاية الثالثة خاصة بهدف الكشف عن العناصر المصالية الحقيقية وتصفيتها[6].

جيش تحرير الشعب الجزائري في مواجهة جيش التحرير الوطني:

ظهر هذا الجيش في مستهل سنة 1955 حيث عهد مصالي الحاج قيادته إلى محمد بلونيس، وتجند تحت لوائه أنصار مصالي الحاج في الجزائر ولقد ظهرت وحدات هذا الجيش في بداية الأمر على حدود المنطقتين الثالثة والرابعة، وإن كانت متمركزة بشكل أكبر داخل المنطقة الثالثة إلا أنه بعد تشديد الخناق عليها بشكل محكم داخل هاتين المنطقتين فرت الفلول المتبقية منها بقيادة بلونيس إلى الولاية السادسة حيث يلقى بعد ذلك هذا الجيش حتفه كما سيأتي لاحقا.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل هذا الجيش ونشاطاته ضد جيش التحرير الوطني نطرح سؤال في غاية من الهمية وهو ما حقيقة الشكوك التي أثيرت بشأن علاقة بلونيس قائد الجيش الوطني الشعبي الجزائري بمصالي الحاج؟ سنترك هذا السؤال الآن- وسنجيب عليه لاحقا- لنجيب على سؤال آخر، من هو محمد بلونيس؟

ولد محمد بلونيس - أو بن لونيس- سنة 1912 ببرج منايل التابعة حاليا لولاية بومرداس من عائلة ثرية، التحق في صغره بالمدرسة الابتدائية الفرنسية ولم يكن متشبعا بالثقافة الفرنسية، بل كانت ثقافته جزائرية محضة، كان في بداية حياته السياسية مناضلا في صفوف حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار من أجل الحريات

الديمقراطية، أدخل سنة 1947 السجن ولوحظ عليه أنه كان ذا علاقة وطيدة برئيس البلدية الفرنسي الذي كان يتردد عليه كثيرا في السجن، وعندما أطلق سراحه ذهب إلى فرنسا ومكث بها إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية.

وفي ماي 1955 بينما كان نائبا لرئيس البلدية في برج منايل عهد إليه مصالي الحاج بقيادة المجموعات المسلحة المشكلة لجيش تحرير الشعب الجزائري[7]، الذي كان عدد عناصره يتجاوز 600 جندي، اجتمعت لديه حوالي 1200 بندقية وسبعون ألف رصاصة[8]، وهناك بعض المصادر تحدد عدد هذا الجيش بحوالي 3000 جندي[9]، في حين أن جريدة لومند الفرنسية بالغت في العدد عندما حددته بحوالي 4500 جندي[10].

وقبل أن يدخل جيش التحرير الوطني في مواجهة هذه الوحدات سعى إلى التفاهم معها والحيلولة دون إسالة دماء جزائرية بأيدي جزائرية، إلا أن محمد بلونيس رفض أي تفاهم وهذا على حسب ما هو وارد في تقرير الولاية الثالثة المقدم إلى الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة المنعقد بمدينة تيزي وزو يومي 7و8 فبراير 1985، حيث جاء فيه أن لقاءاتهم بين وفد عن الجبهة بقيادة سي محمد بوقرة بوفد عن الحركة الوطنية الجزائرية في جويلية 1955 من أجل التنسيق المشترك تحت لواء جبهة التحرير الوطني قد فشلت بسبب إصرار المصاليين على العمل بعيدا عن الجبهة.

ويذكر المجاهد لخضر بورقعة أن قيادة الولاية الرابعة حاولت الاتصال في خريف 1956 بالمصاليين وقد كلفت بهذه المهمة الشهيد علي زيوش والهدف من هذا الاتصال هو إثناء المصاليين عن دورهم المعادي للثورة والتفاوض معهم على صيغة للتعاون المشترك ضد الجيش الفرنسي. وأنه سار إليهم في فصيلة من المجاهدين تعدادها خمس وثلاثون رجلا، إلا أن المصاليين غدروا بهم وقتلوهم جميعا إلا واحد منهم تمكن من أن ينجوا وأخبر قيادة الولاية الرابعة بالمجزرة التي ارتكبت في حق إخوانه[11].

ونشير إلى أنه بين هاتين المحاولتين وقعت العديد من المواجهات الدامية بين الطرفين في المنطقة الثالثة والرابعة منها تلك التي وقعت بين الطرفين في 10 أكتوبر 1955 بدوار حيزر في نواحي البويرة. وحيث تمكن بلونيس من تشكيل وحدة عسكرية له في تلك المنطقة وهذا على حسب ما ورد في ذلك الملف الذي أصدرته فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في أوت 1959[12]. وعندما علم مسؤول جبهة التحرير في تلك الولاية بذلك سارع إلى تحذير المصاليين من الانسياق في مناوراتهم هذه حرصا منه على دماء الجزائريين من أن تهدر لمصلحة الاستعمار إلا أن مساعيه فشلت، وبالتالي أصبح لابد من القضاء على هذا العمل فهاجم جيش التحرير هذه الجماعة التي كانت تتكون من 20 رجلا في 10 أكتوبر 1955 في الثالثة صباحا فقتل واحد واستسلم الباقي ثم أطلق سراحهم ماعدا واحد اعتبر مجرماً خطيراً[13].

ويذكر العقيد سليمان دهيليس في إحدى شهاداته[14] انه خلال شهر أكتوبر اتصل به الدكتور صالحي – مخبر تابع لقيادة المنطقة الثالثة خوله كريم بلقاسم كامل الحرية للاتصال بالفرنسيين والتجسس عليهم– ليخبره بأنه ورجاله لم يبقوا وحدهم في الناحية وأن عليهم بالحذر الشديد وكان الدكتور صالحي قد علم من مصادر قريبة من رئيس دائرة تيزي وزو بأن بلونيس يستعد للصعود إلى الجبل باسم مصالي الحاج والحركة الوطنية الجزائرية ومن بين البؤر الأولى التي كونها بلونيس في المنطقة كانت في بني وادو حيث اكتشف المجاهدون بداية هذا التحرك المشبوه فخصصوا فوجاً منهم لمراقبته عن كثب لحصر عدد العناصر المصالية وتحديد مواقعها وذات صباح من النصف الثاني من أكتوبر فاجأهم الصادق دهيليس[15] برجاله على الساعة السادسة صباحاً وكانوا 46 نفرا فجردوهم من سلاحهم وأمروهم بالعودة إلى ديارهم لأنهم لم يكونوا أهلا للحرب بعد".

وقد حاولت عناصر بلونيس أن تستغل هذه العملية فأشاعت بين عائلات العناصر المجردة من سلاحها دعاية مسمومة مفادها "من يكون هذا الذي يأتينا من واضية ليجرد أبناءنا من سلاحهم"، وكان سي الصادق هو المستهدف بذلك إلا أنه استطاع أن يرد عليهم كيدهم وإقناع المعنيين بالأمر "بأن عودة أبناءهم أحياء أحسن من إعادتهم جثثا هامدة".

ومن المواجهات الأخرى تلك التي تمت في 23 جانفي 1956 حيث قام كل من عبد الرحمان أوميرة وسي محمد بوقرة على رأس عدد من المجاهدين والمسبلين بمهاجمة فرق بلونيس العسكرية بقرية زمورة وأسفر الهجوم عن مقتل 70 منهم واسر سبعة واستسلام أكثر من 15، واستشهاد مجاهدين وجرح عشرة آخرين[16].

وعل إثر هذه المعركة التقى كل من سي محمد بوقرة وكريم بلقاسم وعميروش ومحمدي السعيد الملقب بسي ناصر وعمر أوعمران وعبد الرحمان أوميرة في قرية السليم في نواحي بوسعادة لدراسة الوضع وضبط خطة لمواجهة قوات بلونيس العسكرية[17].

وفي أوائل جويلية 1956 نشبت معركة بين جيش التحرير وقوات بلونيس بمنطقة غار الحنش بجبل مقنين برج أخريص أسفرت عن مقتل عدد من قوات جيش تحرير الشعب الجزائري وأسر تسعة منهم وغنم 8 قطع من السلاح، وفي الأسبوع نفسه تجدد القتال بسور الغزلان فقتل أحد المصاليين وتعقب جيش التحرير الوطني المصاليين إلى جبل ديرة فكبدهم خسائر فادحة في الأرواح[18].

وبشكل عام فإنه حدثت مواجهات وصدامات عنيفة ودموية بين الطرفين خلال سنتي 1955 و1956 في المنطقتين الثالثة والرابعة مما أدى إلى سقوط العشرات من القتلى من الطرفين، ولقد حاولت فرنسا قدر المستطاع استغلال هذه الصدامات والمواجهات خدمة لمصالحها الخاصة وذلك بتشجيعها، حيث جاء في تقرير للمكتب الثاني في ربيع

1956 بأن الحقد الأعمى الموجود بين الطرفين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية يستحق أن يلفت انتباهنا، وأنه من مصلحتنا أن نضيف الزيت على هذه النار[19].

ومع تزايد الضربات الموجهة من جيش التحرير الوطني لوحدات جيش تحرير الشعب الجزائري، اضطر قائده محمد بلونيس إلى مغادرة الولاية الثالثة والرابعة فرارا بجيشه إلى الولاية السادسة والاستقرار في المثلث المتكون من الجلفة وبوسعادة وقصر الشلالة. وهناك أعلن نفسه جنرالا سنة 1957، وذهب بعيدا في خيانته للشعب الجزائري وثورته التحريرية، ومقابل ذلك أصبح ينعم بدعم واضح من الصحف الفرنسية، وبدعم مادي من الجيش الفرنسي حيث كان هذا الأخير يمنح للجنرال حوالي 70 ألف فرنك فرنسي شهريا[20]، ويبدو أن هذا الدعم وهذه المساعدات هي التي جعلت بلونيس يصرح أن الاختيار الحر للجزائر يجب أن يستبعد من موقفه كل محاولة انفصال عن فرنسا، وإذا تم تأليف حكومة جزائرية في المستقبل فلا يجب عليها أن تستبعد من موقفها كل محاولة انفصال عن فرنسا، وإذا حدث ذلك فإنها "ستجدني بجانب فرنسا لمحاربة هذه الحكومة"[21].

ذهب بلونيس إلى أبعد الحدود التي يمكن لنا تصورها في تواطئه مع الجيش الفرنسي في منتصف سنة 1957، هذا التواطؤ الذي يعود في حقيقة الأمر إلى الشهور الأولى لظهور بلونيس على مسرح الأحداث في الجزائر، إلا أنه وصل إلى أعلى مراحله في منتصف هذه السنة، فلقد

ورد في الملف الذي أعدته فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا خلال شهر أوت 1959 السابق الذكر أن فرقة من جيش التحرير الوطني قد ألقت القبض على أحد رجال بلونيس في فبراير 1956 وكان على تلك الفرقة أن تعبر أحد الجسور ليلا في طريق عودتها إلى دوار فريقات[22]، وكان الجسر في حراسة الجيش الفرنسي، وكشف الأسير التابع لبلونيس للفرقة عن كلمة السر اللازمة لعبور الجسر والتي قالها بلونيس لأعوانه وبعد قليل عبرت الفرقة الجسر ذاكرة كلمة السر "13" فإذا بالحرس الفرنسي يجيب "الزاس" وتعبر الفرقة في أمان![23]

إن أعلى مراحل تواطؤ بلونيس مع الجيش الفرنسي تتمثل في قيامه بالتوقيع على اتفاقية تعاون معه في 31 ماي 1957 بعد اللقاء الذي جمعه في بن يلمان مع ضباط المخابرات الفرنسية وعلى رأسهم النقيب بينو وينص الاتفاق أساساً على:

1. محاربة جبهة التحرير الوطني والعمل على كشف خلاياها وطرق تموينها.
2. تنفيذ العمليات تحت إشراف مصالح المخابرات الفرنسية وتسييرها المباشر ووضع وحدات كومندوس فرنسية خاصة في حالة استعداد دائم للتدخل عسكريا إلى جانب بلونيس تحت قيادة النقيب ريكون وتزويد هذه الوحدات بأجهزة اللاسلكي ووسائل النقل وتسليحها بأسلحة أمريكية الصنع قصد التمويه والتضليل.

3. إنشاء شبكة مخابرات تتولى تزويد السلطات الاستعمارية بالمعلومات المطلوبة عن تنظيم جبهة التحرير بالمنطقة[24].

إنّ أبرز ما يلاحظ على هذا الاتفاق أنه جاء مباشرة بعد وقوع حادثة بني يلمان المشهورة "بمذبحة ملوزة"، هذه الحادثة التي تعد بحق موضوعاً جدّ شائك في تاريخ الثورة الجزائرية وأقل ما يمكن قوله عنها أنها تدل بحق على مدى صعوبة ظروف الكفاح المسلح، هذه الظروف التي كانت تملي على جبهة التحرير الوطني وجيشها القيام ببعض الأعمال القاسية بهدف الحفاظ على هيبة الثورة، وردعا للخونة والمتخاذلين[25].

إن خيانة الجنرال بلونيس أصبحت علانية مع بدايات منتصف سنة 1957، وأصبح يقدم تصريحات وينشر بيانات في هذا الشأن ففي 29 نوفمبر 1957 أصدر بلاغاً يحدد فيه بشكل واضح موقفه من الثورة الجزائرية "إن جيش اليوم يحارب ضد قوات الفوضى..من أجل تحرير شعب هذا البلد من سيطرتها القاسية، إن هدفي يتمثل في السماح لكل فرد من هذا الشعب للتعبير بكل حرية في الأيام القادمة بشأن أعمال الإبادة التي تقوم بها جبهة التحرير الوطني والسماح للشعب الجزائري لتحديد مصيره في إطار منسجم ومرتبط بفرنسا" ويعلن أنه تحمل عبء هذا العمل التحريري بالتعاون مع السلطات المدنية والعسكرية الفرنسية[26]. وقبل هذا التصريح كان قد قدم بيانا للجنرال سيوزي المفتش العام لهيئة الضباط الشؤون الأهلية والاجتماعية (لصاص

S.A.S) بتاريخ 6 نوفمبر 1957[27]، شرح فيه الجنرال بلونيس سياسته وأهداف جيشه وتتلخص سياسته في أنه لم يفكر أبدا في أنه سيأتي يوم وتنفصل فيه الجزائر تماما عن فرنسا وأن الهدف من حمله للسلاح هو تحريرها من عبودية وسيطرة إيديولوجية جبهة التحرير الوطني وهدفه كذلك هو بناء جزائر متحررة من هيمنة الاستعمار وان كفاحه مصوب أيضا نحو بناء جزائر جديدة مرتبطة بفرنسا دون أن ينحل فيها ولكن بشرط أن تبقى حرة في اختيار مصيرها وهيكلتها السياسية ويقول أن ضرورة حرية الاختيار هذه هي الفكرة الوحيدة التي تدفعني للقتال...إن الهدف الوحيد الذي يجب اتباعه في الحال، هو قهر العدو المشترك- أي القوات الثورية المنشطة من طرف الـ "F.L.N" ويذكر في هذا التقرير أنه "لما يعود الهدوء التام الذي لن يطول رجوعه وقتها فقط نكون قادرين على إعطاء تعريف لجزائر جديدة وبأعلى صوتنا"

ويعلن بلونيس في هذا البيان انه لا علاقة له بالحركة الوطنية الجزائرية M.N.A ويصر على أنه لا يمثل أي حزب وما جيشه سوى مجاهدين "يقاتلون من أجل استرجاع العزة والكرامة الإنسانية وإمكانية التعبير بحرية في إطار ترتبط فيه بفرنسا".

ويعترف الجنرال بلونيس في هذا البيان على أنه كان على صلة غير مباشرة بالجنرال سالان الذي أرسل إليه بأحد ضباطه الذين تفاوض معهم وتوصلا إلى الاتفاق والذي كان مضمونه على الشكل التالي:

1. تحديد منطقة العمليات التي يجب أن يتحرك فيها جيش بلونيس.
2. محافظة جيش بلونيس على هيكلته الحالية إلى غاية استعادة السلم التام في الجزائر، وكذا محافظته على وحدته واستقلاليته على أن يتصرف حسب الأوامر العسكرية التي تحدد له من الجنرال سالان عن طريق فرقة العمليات المتواجدة في المنطقة المحددة للجنرال بلونيس ويقول الجنرال بلونيس بهذا الشأن "إن كل هذا في مصلحة السلام ولكي نعجل بالهزيمة النهائية للعدو المشترك وأتمنى أن يتم توسيع هذه المنطقة على مراحل".

ويعترف بلونيس في هذا البيان أنه أصبح يتلقى من فرنسا مساعدات عسكرية وانطلاقا من ذلك فإنه قرر الالتزام بوضع حد للضريبة التي كان قد فرضها على الشعب وكذا توقيف جميع إجراءات المصادرة التي كان يقوم بها تجاه ممتلكات الشعب.

كما أعلن أيضا من الإذاعة الفرنسية يوم 3 ديسمبر 1957 أنه يتنكر لأي تبعية للحركة الوطنية الجزائرية وبأن الجزائر يجب أن تبقى مرتبطة بفرنسا[28].

إلا أن العلاقة الحميمة التي ولدت بين بلونيس والجيش الفرنسي لم تستمر طويلا إذ سرعان ما انقلبت عليه القوات الفرنسية دون أسباب واضحة وإن كان البعض يعيدها إلى حماقات بلونيس التي تسببت في مغادرة الكثير من الجنود لجيشه[29]، كما أن الجيش

الفرنسي أصبح يرى فيه خطرا على مستقبله في الجزائر بسبب قيامه بتصفية أعداد كبيرة من عناصر جيشه التي كانت تسعى إلى تركه وحيدا، وهذا بالقرب من مقر أقامته في ديار الشيوخ فيما بين بوسعادة والجلفة[30]، ولقد كانت تصفية الجنرال بلونيس في 14 جويلية 1958 بعد أن رفض دعوة الجنرال سالان للانضمام إلى حركتهم الانقلابية التي قاموا بها في 13 ماي 1958[31].

وعندما تم القضاء على الجنرال بلونيس تفرق جيشه وتشتت فهناك من التحق بصفوف الجيش الفرنسي كحركي، ومنهم من عاد إلى رشده والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني.

ولقد تمكنت جبهة التحرير الوطني بحلول سنة 1960- 1961 من القضاء تماماً على أي أثر للحركة الوطنية الجزائرية في الداخل، وهذا على حسب ما جاء في تقرير للمكتب الثاني في ربيع 1961 بأنهم أصبحوا على يقين أن الحركة الوطنية الجزائرية لم يعد لها أي وجود في الجزائر وأن كل عمل من هذه الحركة، ما هو في الحقيقة إلا عمل تركيبي من الإدارة الفرنسية، ويكفي أن المسلمين ينظرون إلى هذه الحركة على أنها حركة لا ضمير لها وأنها ضعيفة ومنقلبة وأن مناضليها خانوا القضية الوطنية[32].

ويعتبر البعض أن الكثير من إطارات الحركة قد غادرتها وفضلت الالتحاق بجبهة التحرير الوطني لأن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى

منه لصالح جبهة التحرير الوطني. وبالتالي أرادوا أن ينالوا بعضا من الحضوة لدى المنتصرين[33].

حقيقة العلاقة بين مصالي الحاج ومحمد بلونيس:

لقد أشرنا من قبل إلى الشكوك الكثيرة التي حامت حول علاقة مصالي الحاج زعيم الحركة الوطنية الجزائرية بالجنرال محمد بلونيس قائد جيش تحرير الشعب الجزائري. فأين هي الحقيقة؟

إن قيادة الحركة الوطنية الجزائرية أشاعت في أوساط مناضليها بفرنسا عند اندلاع الثورة أن مصالي الحاج قائدها، وأن قائد قواتها المسلحة هو محمد بلونيس[34]، والملاحظ أيضا أن كل المناشير التي كان يوزعها جيش محمد بلونيس كانت كلها تختتم بصفة دائمة بـ"تحي الحركة الوطنية الجزائرية، يحي مصالي الحاج"[35]. إلا أن بلونيس عندما انتقل إلى حدود الولاية السادسة سنة 1957 فإن أول ما قام به هو إعلانه عن تخليه عن دعوة مصالي الحاج وبالتالي خلعه لشعار المصالية، كاشفا عن حقيقة تعاونه المباشر مع السلطات العسكرية الفرنسية كما سبق لنا توضيحه.

وبعد أن عرف مصالي الحاج بهذه الاتصالات العلنية بين بلونيس والسلطات العسكرية الفرنسية فإنه بدلا من أن يستنكرها فقد قام بإرسال مبعوث عنه في نهاية 1957[36]، ليحقق في أمر هذه الاتصالات[37] كأنها تتم في السر، ولقد ظل مصالي الحاج ينتظر نتائج مبعوثه من ديسمبر 1957 إلى ما بعد أفريل 1958 ولكن بدون جدوى،

ولقد تحدث مصالي الحاج عن هذا الانتظار الطويل في التقرير الذي أرسله إلى ندوة إطارات الحركة الوطنية الجزائرية في أفريل 1958، حيث كتب يقول: حتى يومنا هذا يجهل الحزب الوقائع التي كانت سببا في نشوء قضية بلونيس وإذا اكتفينا بتصريحات الصحافة يلزم علينا أن نعترف بأن بلونيس كان ضحية تلاعب مصالح المكتب العربي للحكومة العامة بالجزائر ومن جهة أخرى فإن بلونيس يرفض بقوة أن يكون باواداي[38] فهل هذا مجرد تكتيك؟"[39].

إن مصالي الحاج كان عاجزا عن إعلان موقف واضح وصريح في هذه القضية، بل نجده يعلن باسم حركته بعد بلوغه نبأ تصفيته بلونيس من الجيش الفرنسي أن الحركة الوطنية الجزائرية "إذ تعلن رسميا خبر موت الجنرال بلونيس لا يسعها إلا أن تشيد بذكرى محارب مات ببطولة لأنه كان يأبى الاندماج ويتابع المعركة من أجل جزائر مستقلة متحررة وحرة في اختيار مصيرها الخاص بنفسها"[40].

الإحالات:

1. انظر شهادة مولاي مرباح في: محمد عباس: رواد الوطنية (دار دحلب للنشر، الجزائر 1992).
2. محمد مبارك الميلي: الحالة السياسية داخل الجزائر وخارجها منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر وادي الصومام، (الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، قصر الأمم من 8 إلى 10 ماي 1984،حزب جبهة التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين)، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص16.
3. محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول (دار البحث قسنطينة 1984)، ص 196- 197.
4. هويخوش عبد السلام.
5. عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة (دار البعث قسنطينة 1991)، ج1، ص 332.
6. Gilbert Meynier : Histoire Intérieur du F.L.N 1954-1962 (Alger 2002), p452.
7. انظر عن شخصيته: تقرير الولاية السادسة، الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة المنعقد ببسكرة يومي 5 و6 فبراير 1985، بنيامين سطورا، مصالي الحاج 1898- 1974. رائد الوطنية الجزائرية (دار القصبة للنشر الجزائر 1998)، ص 260،

.Gilbert Meynier, p249

8. الزبيري، الثورة الجزائرية، ص 198.
9. سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر/ محمد حافظ الجمالي (دار القصبة للنشر، الجزائر 2002)ن ص 381.
10. Le monde 4 et 5 /05/1958.
11. لخضر بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة - مذكرات- (دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر 1990)، ص 73- 74.
12. ولقد ترجم هذا الملف في حينه إلى اللغة العربية ونشر في مصر، بعنوان (حقيقة الخيانة في الجزائر)، انظر محتويات الملف كاملا في يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع

عشر والعشرين – من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954– 1962 (دار الغرب للنشر والتوزيع – وهران 2005)، الجزء الثالث، القسم الأول ص.ص 215– 328.

13. المصدر نفسه، ص 263.

14. أنظر هذه الشهادة في محمد عباس: فرسان الحرية شهادات تاريخية (دار هومة للنشر، الجزائر2001)، ص ص 92– 94.

15. الإسم الثوري لسليمان دهيلس.

16. تقرير الولاية الثالثة – مصدر سابق.

17. المصدر نفسه.

18. المصدر نفسه.

19. Gilbert Meynier, p452.

20. le monde 06/05/1958 وعن التعاون بين جيش تحرير الشعب الجزائري والجيش الفرنسي، أنظر:

Yve Courrière : l'heure des colonels (Paris 1970), p.p 48-70.

21. Le Monde 06/12/1957.

22. يقع هذا الدوار على بعد حوالي 15 كلم شرق مدينة ذراع الميزان بولاية تيزي وزو.

23. يحي بوعزيز: مصدر سابق، ص 264.

24. تقرير الولاية السادسة في الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ الثورة المنعقد بمدينة بسكرة يومي 5 و6 فبراير 1985.

25. محمد عباس: فرسان الحرية، مصدر سابق، ص 209.

26. Gilbert Meynier, p 458.

27. أنظر محتويات البيان كاملا في عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، (دار هومة للنشر، الجزائر 2002)، ص.ص 509– 513، ولقد ورد في آخر البيان أن الجنرال بلونيس قد وقع على كل ورقة من الأوراق التي كتب عليها هذا البيان.

28. Gilbert Meynier, p 458.

29. سليمان الشيخ، ص 353.

30. Gilbert Meynier, p458، ويذكر أنه تم العثور في هذه المنطقة على حوالي 500 جثة.

31. ibid، ولقد ورد في الملف الذي أعدته فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا السابق الذكر أن عددا من المواطنين التابعين لجبهة التحرير الوطني قد انظموا لقوات بلونيس بأمر من الجبهة وسرعان ما أصدرت أوامرها إليهم بالعودة إلى قيادتهم وبإعدام مجرمي الحرب والخونة. وهكذا أعدم بلونيس، أنظر بوعزيز، ص 271.

32. Gilbert Meynier, p457.

33. Ibid.

34. الزبيري، الثورة الجزائرية، ص 198.

35. بنيامين سطورة، ص 260.

36. يدعى سي العربي.

37. Gilbert Meynier, p456.

38. كان إمبراطور الأنام في الفترة ما بين 1925- 1945، وكان عميلا للاستعمار الفرنسي.

39. بنيامين سطورة، ص 261.

40. Le Monde 17/07/1958.

المناوئن للمقاومة الشعبية، خصوم الأمير وبوعمامة نموذجا

د. عبد القادر خليفي

قسم التاريخ – جامعة وهران –

إذا كانت الأنفة والعزة ومختلف أنواع الفضائل الأخلاقية من سمات الرجال الشجعان الغيورين على وطنهم وأهليهم. فإن الضعف والاستكانة للعدو والغدر بالأهل من سِمات رجال آخرين اختاروا لأنفسهم طريقا سهلا في الحياة، وسلموا ضمائرهم لغيرهم خدمة لمصالحَ آنية.

ويعد هذا السلوك ظاهرة اجتماعية شاذة، ساعد على بروزها المغريات المادية، أما أسبابها فتعود إما إلى ضعف الوازع الأخلاقي في نفوس هؤلاء أو إلى أطماعهم السياسية أو خوفهم الدائم من العدو أو إلى فقرهم وسوء حالتهم المعيشية. مما أجبرهم على التجند في صفوف العدو. وهناك طائفة من السكان كانت تستغل الشعب في الماضي، ورأت في المحتل الجديد فرصة لتحافظ على امتيازاتها، وكانت تترفع بنفسها أن تكون في مستوى الشعب الفقير. وهم غالبية السكان. والذين كانوا خداما لها. "وتحت ظلام الخزي والعار مثلت بعض الأدوار المخجلة، لكنها لم تفلت حتى هي نفسها من ضربات الاستعمار."[أ]

ويقول محمد بن الأمير عبد القادر صاحب كتاب "تحفة الزائر" عن هذه الطائفة إنهم "بذلوا نفوسهم في نصرة عدوهم وإعلاء كلمته، وأعانوه على المسلمين المستمسكين بدينهم وطاعة أميرهم، وكثروا عدده. ودلوه على عورات المسلمين وأرشدوه إلى الطرق التي يتوصل بها للاستيلاء على الوطن، وصاروا يكاتبون الناس في الجهات ويرغبونهم

في اللحاق بهم والدخول في زمرتهم، سبحانه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه."[2]

وإذا كان الظلم من الدخيل الأجنبي محتملا رغم قساوته. لأن الظروف المختلفة ساعدته على الانتصار، فإن ذلك. إذا صدر من ذوي القرابة من الأهل والمواطنين. هو الخطر الداهم والمصيبة الكبرى. يقول الشاعر العربي:

وظلم ذوي القربى أشدّ مَضاضَة على النفس مِن وقع الحُسام المهند.

لقد لعب الخونة ذوو النفوس الضعيفة دوراً خطيرا في تاريخ الشعوب المختلفة، وكانوا في كثير من الأحيان السبب الأول في هزيمة جيوش وفتح حصون وتدمير مدن وسفك دماء بارتكاب مذابح ومجازر تشيب لها الوِلْدان.

ويخبرنا التاريخ عن كثير من هذه الوقائع. من ذلك مثلا أن المسلمين الفاتحين دخلوا دمشق سنة 635م، بعد حصار دام ستة أشهر تحت قيادة خالد بن الوليد "بخيانة أحد أرباب السلطة المدنية والروحية منهم الأسقف جد القديس يوحنا."[3] ومن ذلك أيضا حاكم مدينة عكا الذي ساعد الصليبيين على احتلال المدينة وقهر المسلمين. وقد أثر كثير من المسلمين السلامة وألقوا بأنفسهم في أحضان الصليبيين. واستنجد بهم البعض على إخوانهم في الدين، وهاهو "عمارة اليمين الشاعر يتفق

مع جماعة من القضاة والفقهاء والأفراد وكاتبوا الصليبيين لغزو مصر وإرجاع الخلافة الفاطمية، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

عِمارَة في الإسلام أبْدَى جنايَة وبايَع فيها بيعَة وصليبا

وأمْسى شريك الشرْك في بُغْض أحمد

فأصبح في حُب الصليب صليبا.[4]

وفي التاريخ الجزائري، كغيره من تاريخ الشعوب المختلفة الكثير من ذلك. فقد خدع بوكوس يوغورطة وسلمه للرومان. ومصطفى بن اسماعيل زعيم الدواير والزمالة ناصب الأمير العداء وخدم الفرنسيين بكل إخلاص.

وزمالة الأمير دل على مكانها شخص يدعى عمر بن فراح العيادي ففاجأها الدوق دومال ابن الملك الفرنسي عام 1843. وعمل في ساكنيها السيف والنار ونَهَبَ وأسر ثم انسحب مثقلا بالغنائم، وذلك في غياب الأمير عبد القادر.

وهؤلاء البشر الذين لا ضمير يؤنبهم ولا رادع يكبحهم تجدهم يتصدرون الصفوف من أجل الاستفادة واقتناص الفرص لخدمة مصالح آنية. أما إذا تطلب الأمر التضحية وبذل النفس والنفيس فهم في الصفوف الخلفية لا يلوون على شيء سوى النجاة بجلدتهم.

إن أفعال الإنسان تتحكم فيها، في كثير من الأحيان، الغرائز القوية والمصالح الآنية التي تقيم تعارضا بينه وبين نظرائه، وترمي إلى تحطيم الجماعة. وهذا الشخص الذي لا يتحكم في غرائزه المختلفة،

والذي لا يسعى لإسعاد غيره وصرف الشر عنه، والذي لا تهمه إلا المصلحة العاجلة، ليس جديرا بالكرامة البشرية.

وقد لاقى أبطال الأمة الويلات من هؤلاء، خلال العهد الاستعماري، من ذلك ما لاقى الأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة وغيرهما من رموز المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي طيلة مائة واثنين وثلاثين سنة من عمر الاستعمار الفرنسي.

وسنتعرض في هذه المداخلة لبعض مناوئي هذين البطلين الجزائريين باعتبار ذلك نموذجا محدودا وليس شاملا للفترة الاستعَمارية.

أولا: خصوم الأمير عبد القادر:

واجه الأمير عبد القادر صعوبات جمة حين أراد توحيد البلاد من أجل الوقوف صفا واحدا ضد الغزو الأجنبي. فلم يكن يواجه العدو الفرنسي وحده، بل كان عليه أن يوطد حكمه بين الجزائريين حتى يضمن الأمن الداخلي ويوفر المدد والقواعد الخلفية التي تقف معه وتسنده وقت الشدة ووقت اليسر. ورغم أنه كان ينتسب إلى عائلة من المرابطين في المنطقة الغربية من الجزائر، باعتبار والده محي الدين شيخا للطريقة القادرية آنذاك، إذ كان الناس يبجلون المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية أكثر من غيرهم؛ فإنه عانى من القبائل التي رفضت سيادته وانضمت إلى أعدائه الفرنسيين غزاة الوطن.

أما الذين ناوءوه فهم إما لأنهم رأوا أنه ليس أهلا للزعامة لصغر سنه وهذا ينطبق على وجهاء القوم وسادته الذين كانت لهم مكانة وزعامة، فرفضوا الخضوع لشاب أمرد، دونهم سنا وتجربة مثل مصطفى بن اسماعيل آغا الدواير. أما غير هؤلاء فهم رجال الطرق الصوفية الآخرون الذين رفضوا الخضوع لزعامة غير زعامة شيوخهم، ويعود ذلك إلى التنافس الذي كان سائدا بين هذه الطرق بعضها ببعض مثل الطريقة التجانية في عين ماضي.

وهناك شخصيات وقبائل كانت لها مكانة سامية في العهد العثماني، فهي لا تقبل أن يساويها أحد أو ينافسها، إلا أن الأمير سوى بين أتباعه مهما كانت أصولهم أو انتماءاتهم وذلك طبقا لما جاء في القرآن والسنة.

وقد استعمل الأمير مختلف الوسائل السلمية لرد هؤلاء إلى الطريق السوي، طريق النضال والجهاد، وإذا ما فشل في ذلك حاربهم وغنم أموالهم وشتت شملهم، لكنه قد يعفو عنهم ويعيد لهم كل ذلك إذا ما تابوا وعادوا إلى رشدهم بالانضمام إلى إخوانهم المجاهدين من أجل القضية الوطنية.

وقد سمى الأمير القبائل التي وقفت مع الاستعمار بالقبائل "المتنصرة" و"المرتدة". يذكر ابنه محمد في هذا المجال ما يلي: "وتخلف فيها (أي معسكر) أوغاد القبائل المتنصرة من الدواير والزمالة وأضرموا النار في أكثر دورها الشهيرة."[5] ويقول في مكان آخر:" وفي

تلك الليلة عَمَد المرتدون من البرجية إلى نهر هبرة وفتحوا فيه أفواها فانطلق الماء منها على السهل حتى عمه."[6] أما في عهد الشيخ بوعمامة فقد سمى الناس هؤلاء الخونة بـ "المزانات" يقول الشاعر الشعبي محمد بلخير:

اللي يبغي الجنة يضاد الكافرين واللي بغى الهنا بغى التمزان.

أما عن العقوبات التي فرضها الأمير على مثل هؤلاء، فيذكر المؤلف السابق الذكر ما يلي: "وقد كان الأمير يعاقب من يقع في أيدي ضباط الثغور من أشقياء المتنصرة كالدواير والزمالة والبرجية، وغيرهم ممن يواصل العدو ويتسلل إلى مدنه بما اختلسه من المسلمين من عروض وماشية، بما دون القتل، إلا ما تحقق ضرره للمسلمين، فكان يأمر بقتله. ثم بدا له أن يستفتي المحققين من علماء مصر وفاس في شأنهم وشأن مانعي الزكاة والإعانة التي افترضها للقيام بأمر الجهاد وغير ذلك، مما اضطره الحال إلى السؤال عنه، تأكيدا لحُجته وتوطيدا لِحَجته."[7]

وأشهر من ناوأ الأمير عبد القادر **قبائل المخزن، فكيف تم ذلك؟**

قبائل المخزن هي مجموعة بشرية متكتلة كانت لها علاقة وطيدة بالسلطة منذ العهد العثماني، فقد وظفتها تلك السلطة لتكون وسيطا بينها وبين الجزائريين، وكفتها بذلك صعوباتٍ مادية ومعنوية كانت ستتلقاها، وبذلك أيضا أصبحت قبائل المخزن العمود الفقري لحملات السلطة العثمانية على الأرياف نظرا لكفاءتها وفعاليتها.[8]

وتتواجد هذه القبائل في مختلف أنحاء الوطن الجزائري (منها قبائل الصحارى- أولاد خليف- الغرازلة- هاشم- العبيد- العثامنة- الزواتنة- المكاحلية- الزمالة- الدواير...الخ)[9]

أما قبائل المخزن المعروفة بالغرب الجزائري فتتمثل خاصة في قبائل الدواير والزمالة والبرجية كقبائل ناوأت الأمير فترات طويلة من تاريخ مقاومته.

ومن أشهر زعماء هذه القبائل نجد مصطفى بن اسماعيل وابن أخيه الحاج محمد المزاري الذين رئَّسهما المخزن عليهم بعد أن عمت الفوضى والفتنة كل نواحي بايليك الغرب على إثر استسلام الداي حسين في 5 جويلية 1830، إلا أنهما لم يتمكنا من السيطرة على الوضع بعد خروج عدة قبائل عن طاعتهم وميلها إلى الفوضى والانضمام إلى الأعراب، "وصار كل واحد من رؤساء العرب يروم إرث مملكة الترك."[10]

وبعد أن اختار الناس محي الدين زعيم الطريقة القادرية بالقيطنة لقيادتهم في جهادهم ضد الفرنسيين، وقفت قبائل المخزن في صف الوطنيين، وبعد تولي الأمير عبد القادر الإمارة تردد مصطفى بن اسماعيل في البيعة ثم استجاب أخيرا. يقول شارل هنري تشرشل، صاحب كتاب "الأمير عبد القادر"، عن ذلك ما يلي: لقد خلقت "الظروف التي عُين تحتها الأمير عبد القادر سلطانا، مشاعر الخصام بدل القضاء عليها، فقد تكلم سيدي العربي وهو قائد قوي وله تأثير مطلق على قبيلة فليتة في سهل شلف بامتعاض مكشوف عن السلطة الجديدة.

ورفض الغماري قائد بني أنجاد الطاعة. وشعر محمد بن نونة، الذي كان يحب أن يقول إنه يَحكم تلمسان باسم سلطان المغرب، أنه من السفالة الاعتراف بالولاء لعبد القادر، أما مصطفى بن اسماعيل، الذي كان محاربا قديما ومجربا، والذي ابْيَض شعره في خدمة الأتراك كزعيم للمخزن"، فقد عبر مرارا عن عدم رضاه بسيادة الأمير.[11]

ومع ذلك وقفت قبائل المخزن مع المقاومة تحت قيادة الشيخ محي الدين ثم الأمير عبد القادر بعده، وخاضت معه عدة معارك في السنين الأولى من المقاومة، وأبلت البلاء الحسن بزعامة مصطفى بن اسماعيل وبن أخيه الحاج بالحضري الذي خلفه فيما بعد الحاج المزاري، الذي عين له محمد قادي قايدا على الدوابر، وبعد وفاة هذا الأخير خلفه ابنه أحمد ولد قادي الذي سيصبح باش آغا فرندة.

وبعد مدة حدث تصادم بين الأمير وقبائل المخزن فاتصل هؤلاء بتريزيل حاكم وهران للانضمام للفرنسيين، وذلك في شهر جوان من سنة 1835، وبذلك دخلت هذه القبائل في خدمة الفرنسيين وخلعت عنها بيعة الأمير، وقد بقي مع الأمير الحاج المزاري مدة ومعه بعض الأفراد من المخزن (92 شخصا)، وفي ديسمبر من السنة نفسها لحق المزاري بالمخزن في مستغانم، ومن هناك انتقل إلى وهران، حيث استقبله الماريشال كلوزيل وجعل له راتبا وصيَّره آغا وطن وهران، وجعل هذا الأخير قدور بالصحراوي تحت سلطة محمد بن المختار آغا الزمالة.

ووقعت بين الأمير وقبائل المخزن وقائع كثيرة، سواء كانوا وحدهم أو صحبة القوات الفرنسية، وكانوا بذلك حجر عثرة وعامل تشتيت لجهود الأمير التي، وبدلا من أن توجه لطرد الفرنسيين، وجهت جهود الجزائريين لقتال بعضهم بعضا، فخسروا الأرواح والمتاع ونشروا الفتنة والعداوة بين أبناء الوطن الواحد.

أما مصطفى بن اسماعيل فقد بقي مدة بتلمسان على إثر مخاصمته للأمير، وعندما انفصل المزاري عن الأمير راسله عمه مصطفى هذا كي يساعده على مغادرة تلمسان ففعل صحبة الماريشال كلوزيل، الذيْن قدما إلى تلمسان في شهر جوان من سنة 1836.

وقد اشترك مصطفى بن اسماعيل في مختلف المعارك لمواجهة الأمير وشل قوته، ومن ذلك ما وقع للزمالة التي اشترك في القضاء عليها. يقول عنه تشرشل: "وكان في طليعة المطاردين للزمالة مصطفى بن اسماعيل الذي جعل نفسه معروفا خلال الحرب بغيرته الشريرة التي كان يساعد ويوجه بها تحركات الفرنسيين ضد السلطان عبد القادر، والتي كانت تدفعه إلى عرقلته ومعارضته." وقال عنه صاحب كتاب تحفة الزائر: "مصطفى بن اسماعيل قائد الفتنة وموقد نارها وعين الفرنساوية ولسانهم ويدهم." (ص: 282)

لقد واجه الأمير كل المصائب التي كانت تقع له ولأتباعه، سواء من قبل الفرنسيين أومن أعوانهم، بكل ثبات، وكان أشد صمودا وصبرا على الشدائد من الجبال الراسيات: ففي حادث الزمالة ثبت وصمد بعد

سماعه لخبر سقوطها، وكتب إلى خلفائه يخبرهم بما وقع، وقال لهم: "حيث أن الله تعالى أنفذ أمره في الزمالة ينبغي لنا أن لا نجبن، بل نكون من الآن فصاعدا أشد ما كنا عليه من قوة القلوب وكثرة الاستعداد للحرب." (التحفة:281) ويضيف تشرشل على ما قال سابقا: "ولكن هذا الخائن لقي الآن المصير الذي يستحقه." (ص: 216.)

ففي 24 ماي من سنة 1843 كانت وفاة مصطفى بن اسماعيل، عندما مر بمخزنه على فليتة، ووصل واد تامدة وجيشه مثقل بالغنائم التي سباها من الحشم. خرج له العدو، وأصيب خلال المعركة برصاصة في صدره فسقط ميتا في الحين، وهو في الثمانين من عمره، وحُملت رأسه وذراعه إلى الأمير، الذي غضب من هذه الفعلة وتأسف كثيرا على هذه النهاية وعاتب فليتة بما صدر منهم.[12] –كما يذكر صاحب كتاب "سعد السعود"– أما تشرشل فيذكر أن الأمير تفرس فيه برهة "ثم بامتعاظ أمر به أن يرمى إلى الكلاب." بينما لا يذكر صاحب كتاب التحفة سوى استعاذة الأمير بالله تعالى من غضبه وعقوبته، عندما وُضع الرأس بين يديه."

وسواء كان الأمير راض عن هذه الفعلة أم غير راض، فإنه زحزح إلى الأبد، من طريقه عدوا لا يؤمَن جانبه، رغم أن الأمر لن يغير شيئا بعد هذا التاريخ، الذي سيصبح فيه الأمير مطارَدا من قبل الجيوش الفرنسية بقيادة بيجو وغيره من القادة العسكريين الفرنسيين.

ثانيا: خصوم الشيخ بوعمامة:

أما خصوم بوعمامة فيمكن تصنيفهم إلى أربعة أصناف: الباشوات والقياد- بنو عمومته- خصومه من الكتاب.

1- خصوم الشيخ من الباشغوات والقياد:

عندما وقعت انتفاضة الشيخ بوعمامة سنة 1881 كانت الجزائر قد استعمرت منذ خمسين سنة، أي أن العاصمة كانت قد سقطت تحت الاحتلال الفرنسي سن, 1830. ولهذا فقد تمكنت السلطات الفرنسية من إيجاد عملاء لها من أوساط الشعب المقهور يخدمون مصلحتها ويُسَهِّلون تغلغلها نحو الداخل وسيطرتها على البلاد والعباد.

ومن هؤلاء الذين خدموا تحت الراية الفرنسية لمواجهة حركة الشيخ بوعمامة نجد قوم سعيدة وقوم فرندة وقوم تيارت كلهم شاركوا في معركة تازينة الشهيرة في 19 ماي 1881، بـ 1500 فارس من القوم تحت قيادة كل من الآغا الحاج قدور بن الصحراوي والآغا قدور ولد عدة، والتي انتصر فيها الشيخ بوعمامة، وكان من أسباب هذا الانتصار تقهقر قوات القوم أمام اندفاع قوات الشيخ بوعمامة عند المواجهة، والذين كانوا يتصدرون صفوف القوات الفرنسية، وذهبوا للاحتماء بقافلة التموين. ومن هؤلاء الخصوم نذكر:

أ- باشاغا فرندة:

هو أحمد ولد القاضي ابن أخ مصطفى بن إسماعيل خصم الأمير عبد القادر وزعيم قبائل الدواير الذي رفض الخضوع لقيادة

الأمير عبد القادر وعبر عن تقززه من تقبيل يد ولدٍ ما يزال أمرَد، حسب تعبيره.[13]

كان الباشاغا أحمد ولد القاضي صديقا لبيزي محرر جريدة Le Petit Fanal الصادرة بمدينة وهران، والذي وصفه بالخادم المطيع للسلطات الفرنسية، بقوله: Ce dernier, loyal est fidèle serviteur de la France[14]. كان قد حصل على عدة أوسمة من السلطات الفرنسية، وهو الذي أخبرها بتحركات مقدمي الشيخ بوعمامة، الذين كانوا يَدْعون الناس إلى الاستعداد للجهاد وإعداد المؤونة والذخيرة لأن أوان الخلاص قريب.

كانت له ثروة كبيرة استطاع بها إرسال جواسيسه في كل الجهات ليعلموه بما يفعل الشيخ. وبذلك كان على علم بكل ما يحدث في الزاوية بمغرار يوما بيوم –كما يقول قرول– ليُعلِم بذلك القيادة الفرنسية. وهكذا وفي 15 أبريل سنة 1881 أعلمَ جنرال القسم بوصول مبعوثين من رجال بوعمامة، وترجاه القبض عليهم، وأعطاه أسماءهم واحدا واحدا، وأنهم مبعوثون إلى قبائل الطرافي والرزاينة والاحرار في دائرة جيريفيل وسعيدة وتيارت.[15]

وهكذا تم القبض في منطقة سعيدة على أحد المبعوثين عند أولاد خليفة، بينما فر الآخر من عند قبائل الرزاينة.[16] وأما المقدمون الآخرون فلم يجدوهم في خيامهم أو تم تهريبهم حتى لا يضطروا لتسليمهم. وعندما حاول ضابط آخر القبض على مقدميْن آخريْن عند قبائل

الجرامنة كانت المعركة وكانت الهزيمة للفرنسيين في 22 أبريل ومقتل الضابط وانبرنير واثنين من مرافقيه الحراس الصبايحية، أما أحد الصبايحية فقد تمكن من النجاة هو وأحد الشواش، بينما تم القبض على البقية من الصبايحية مرافقي الضابط الفرنسي وعلى القايد وأخيه من قبل أهل الدوار، وكانت هذه الحادثة الشرارة الأولى التي عجلت باندلاع المقاومة. وكان شاوش قايد أولاد زياد الشراقة هو الذي نقل خبر الواقعة يوم 22 أبريل إلى جيريفيل (البيَّض).

كان الباشاغا هذا قد كَبُرَ وأصبح لا يستطيع ركوب الخيل فكلَّف ابنه الأكبر بلحضري ليقود قوم فرندة. يقول عنه قرول: Bel-hadri avait été fait chevalier de la Légion d'honneur à la suite d' Un brillant fait d'armes أعطيت له الأوامر في هذه المرحلة للاتجاه نحو بوزولاي لقطع الطريق أو تتبع أولاد هَدو وأولاد زيان الشراقة (وهم من دوار الجرامنة)[17] وغيرهم من "المتمردين".

في 28 جوان 1881 كتب الباشاغا تقريرا إلى السلطات الفرنسية يخبرهم فيه أن الحاج قدور الصحراوي مسؤول عن عدم التبليغ عن العدو للعقيد برونوتيير قائد الطابور الفرنسي بصفته موجه مَسيرة العقيد لأنه أعرف بالبلد، وهو يقصد بذلك العدو، الشيخ بوعمامة في تحركاته المختلفة.

ب- الآغا قدور ولد عدة: آغا سعيدة.

يقول عنه قرول: "هذا الزعيم الأهلي الكبير، يتصف بالحيوية والوفاء في كل اختبار، وله مهارة وفطنة مرموقة في قيادته للقوم."[18] كان

يقود قوم الجعافرة، أمره الجنرال سيريز قائد قسمة وهران بأن يضم إليه قوم البلدية المختلطة ويتجه نحو سْفيسيفة والبيض لقطع الطريق على قبائل الرزاينة إذا ما حاولوا التوجه نحو الشيخ.

وفي 25 أبريل سنة 1881 انضمت إليه قبائل الرزاينة اضطرارا في محطة خلف الله، بعد أن أجبرهم قائدهم على ذلك من أجل الابتعاد عن المنطقة الساخنة في الجنوب. وكان عددهم 250 فارسا، ولكن الآغا أجبرهم على البقاء معه وعدم اللحاق بالشيخ مثلما كانوا يريدون.

شارك الآغا قدور ولد عدة بقومه إلى جانب قوم فرندة وقوم تيارت في معركة تازينة ضد الشيخ بوعمامة التي وقعت يوم 19 ماي 1881. وكان يقود قومه وقوم فرندة، بينما الآغا الحاج قدور الصحراوي يقود قوم تيارت، ويتكون الكل من 1500 فارس كما ذكرنا سابقا. ويمكن إضافة ست مائة (600) مرافق حراسة من الأهالي الذين يقودون 2500 جَمل ضمن قافلة التموين.[19]

ج- الآغا الحاج قدور الصحراوي:

هو آغا الاحرار الشراقة، خدام سيد الشيخ، أعطيت له الأوامر لمطاردة القبائل "المتمردة" عن السلطة الفرنسية خلال مقاومة الشيخ بوعمامة. كان بصحبة الجنرال Collignon d'ancy الذي انطلق من تافراوة جنوبي سعيدة ووصل إلى جيريفيل يوم 9 ماي 1881 بهدف القضاء على حركة الشيخ بوعمامة في المهد، ثم صحب الضابط إينوسنتي الذي خلف كولينيون بعد مرضه في جيريفيل. وقد شارك

قدور الصحراوي في معركة تازينة، ويقال إن أول من فر من الميدان بعد اندلاع المعركة يوم 19 ماي هم قوم الآغا عندما اقترب منهم الطرافي رجال بوعمامة، دون أن يطلقوا طلقة واحدة، وتبعهم خصومهم داخل الطابور مما تسبب في منع الحركة ووضع القافلة كلها في ارتباك. وقد تم تسريح قوم صحراوي يوم 29 من الشهر نفسه بعد وصول الطابور إلى المكان المسمى فكارين شمالي مشرية، واتجه الآغا إلى تيارت، وترك للعقيد إينوسنتي ستين (60) من القوم.[20] وفي 14 جوان من السنة نفسها التقي صحراوي بقبائل الأغواط أكسل وهم يبحثون عن بوعمامة أثناء مسيرته نحو الشمال. التقاهم في الشريعة فلم يتردد الصحراوي في مطاردة "متمردي" جبال العمور، وتحداهم بالهجوم وقتل منهم خمسة وثمانين (85) فارسا منهم قايد الرزيقات أحمد بن عبد الله الذي كان له تأثير كبير عليهم، وغنم منهم آلاف الرؤوس من الجمال والأغنام والأبقار، وألقى القبض على دوار أولاد سيد الناصر الذين كانوا قد انضموا إلى الأغواط اكسل، وعندما وصل طابور Brunetière كانت المعركة قد حسمت.

ويذكر قرول أن ابن الصحراوي هو الذي أنقذ الضابط الفرنسي Parès نائب القائد الأعلى لمركز تيارت من دوار أولاد هدو، الذي جاء للقبض على مقدمي الشيخ، إذ أن الصحراوي كان على علم بتوجهات أهل الدوار فبعث ابنه لينقذ الضابط الفرنسي، وقد خاطب ابن

الصحراوي الضابط الفرنسي قائلا: "اركب الحصان واتبعني، لست في مأمن وسط هؤلاء الخونة!"[21]

د- قايد الشلالة الظهرانية:

الشلالة الظهرانية بلدة تابعة حاليا لولاية البيض، تقع إلى الغرب منه في الطريق المؤدي إلى عين الصفراء وعلى مسافة حوالي 140 كلم، وإلى الشرق من عين الصفراء على مسافة حوالي 70 كلم.

هي عبارة عن قصر من قصور جبال الأطلس الصحراوي، كان يحكمها عند اندلاع مقاومة الشيخ بوعمامة قايد من سكان القصر نفسه، أخبر هذا القايد السلطات الفرنسية في 23 مارس سنة 1880 بأن عددا كبيرا من "الزيار" من قبائل الطرافي حلوا بمغرار عند بوعمامة حاملين معهم "الزيارة"، وأنهم كوَّنوا قافلة من ستين إلى سبعين شخصا يمثلون دَراقة وأولاد سرور وعَكَرْمَة، وهم يحملون هدايا أكثر قيمة من التي كانوا يقدمونها عادة للشيخ. وتتمثل في: تسعة جمال محملة بالملابس والقمح والزبدة والبن وألفي فرنك من العملة وجوادين خاصين بالاحتفالات Gala ..الخ. وقد أعلم هذا القايد نفسه السلطات الفرنسية بأن بوعمامة قام بزيارات لقبائل حميان والطرافي والرزاينة، وقد وافقه هؤلاء على مشاريعه "المقلقة" -كما يسميها الفرنسيون- في الجنوب.[22]

وفي صبيحة يوم 19 ماي من سنة 1881 وأثناء استعداد العقيد إينوسنتي للإقلاع نحو هدفه المسطر وهو مغرار -بعد أن غادر

جيريفيل يوم 14 ماي- وكان يريد المرور بالشلالة كمرحلة في طريقه هذا، اتصل برسالة من قايد قصر الشلالة الظهرانية مؤرخة بتاريخ الأمس، مفادها أن بوعمامة وصل القصر وأنه على رأس حوالي 1500 فارس و 1200 من الرجالة، وهو ينوي لقاءه في المعركة يوم الغد (19 ماي).[23]

2- خصوم الشيخ من بني عمومته:

عندما اندلعت مقاومة الشيخ بوعمامة سنة1881 لم تكن مقاومة أولاد سيد الشيخ لسنة 1864 قد انتهت بعد، فقد كان زعماؤها الثلاثة: سي قدور بن حمزة وسي سليمان بن قدور وسي الاعلى ما يزالون معادين للسلطات الفرنسية، وعندما ظهر الشيخ بوعمامة، وهو ينتمي إلى العائلة الشيخية نفسها، تخوف هؤلاء الزعماء من انسحاب رجالهم عنهم بعد أن خمدت حركتهم زمنا، خاصة وأن الشيخ كان زعيما دينيا باعتباره كان صاحب زاوية منذ أسسها في بلدة مغرار التحتاني سنة 1875. إذن فقد رأى زعماء أولاد سيد الشيخ الآخرون ظهور الشيخ في ذلك الوقت عامل تفرقة للحركة، لذلك نزلت عليهم حركة الشيخ نزول الصاعقة. فلم يكن من السهل لهم قبولها بسهولة؛ لهذا عملوا بوسائلهم المتاحة على الانتقاص منها لدى الناس، كما عملوا على الاتصال به من أجل إقناعه بالتخلي عن الزعامة لهم، منهم سي قدور بن حمزة الذي التقى به عند ضريح جدهم سي سليمان بن بوسماحة في بلدة بني ونيف، وقد تحاورا حول موضوع الزعامة، وكان سي قدور بن حمزة

شديدا في حديثه مع الشيخ، هذا الأخير الذي حاول تهدئته بزيارة جدهم سي سليمان بن بوسماحة وقدم له الضيافة، لكن سي قدور شدد اللوم عليه لقيامه بالجهاد دون علم منهم، وأنه ليس أهلا للمهمة لأن "عَلَمَ سيد الشيخ" هم المدافعون عنه وليس هو، وأن الحرب مسألة جدية وليست تهورا، فكان عليه التبصر الشديد قبل الإقدام على ما أقدم عليه، وسأله: لماذا انتظرت حتى ضعفنا نحن لتقوم أنت، كما أخبره أن أهل التل خدعونا وسلطان المغرب خدع الإسلام بخداعنا....الخ[24] وافترق الرجلان دون اتفاق.

وفي الوقت الذي كان الشيخ متواجدا بالجنوب الجزائري لاجئا لم تتوقف السلطات الفرنسية، التي كانت تعمل تحت شعار فرق تسد، عن الدس للإخوة والأشقاء. من ذلك ما وصل الشيخ من أخبار مؤداها معاداة سي قدور بن حمزة للشيخ، مما جعل هذا الأخير يسارع إلى مكاتبة سي قدور بن حمزة في محاولة منه لردإ "الصدع داخل العائلة الشيخية، ويراسله حوالي سنة 1888 يحذره من تصديق الوشاة الذين يزرعون الشقاق بينهما، لكن سي قدور بن حمزة لم يستمع إلى تلك النصيحة وقام بعدة اتصالات مع القبائل التي كانت تؤيد الشيخ كالبرابر ودوي منيع وغيرها.[25]

أما سليمان بن قدور فكان رجلا عنيفا أيضا، حاول القبض على الشيخ فحاصره في زاويته في منطقة فكيك، ولكن الشيخ استطاع التحايل عليه ومغادرة المكان منعا لإراقة الدماء، وترك الزاوية بكل

محتوياتها ليستولي عليها سليمان بن قدور، والذي كانت نهايته على يد بْرابَر آيت وشاون بجبل الثلج بالمغرب الأقصى في منتصف سنة 1883.

وهكذا لم ينج الشيخ من أقرب المقربين إليه نسبا وفقد بذلك عددا من القبائل التي كانت تتبعه، منها من انسحبت عنه قبيل اتجاهه إلى دلدول جنوبا ومنها من تركته وهو مقيم في دلدول نفسها. ولكن مقتل سي سليمان بن قدور سنة 1883 وقيام سي قدور بن حمزة بعقد الصلح مع الفرنسين في السنة نفسها جعل من الشيخ الرجل الوحيد الذي صمد بعد هذه السنة وحتى وفاته في مطلع القرن العشرين.

3- خصوم الشيخ من الكتاب:

ظهرت بعض الكتابات الجزائرية في العهد الاستعماري وهي قليلة إذا ما قورنت بما كتبه الفرنسيون عن الأوضاع العامة في الجزائر آنذاك. وسنكتفي هنا بما تمكنا من الحصول عليه، وهي ثلاث كتابات:

أ- كتاب: "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط". لأحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي[26]:

يبدأ الشقراني كتابه الصغير الحجم هذا بالحديث عن بوعمامة تحت العنوان التالي: "ذكر انتفاضة بوعمامة"، اعتَبر فيه هذا الأخيرَ مجردَ طماع في السلطة، وأنه سفيه، ناهيك عن سكرته وغمرته، يعمل لمصلحته الخاصة ويتبع طريقا غير الكتاب والسنة، وأن "بوعمامة هذا قد سَوَّلت له نفسه الأمارة بالسوء أن الدولة الفرنسية ستخرب على

يده، ويكون هو الخليفة على زعمه ويفتح قواعد البلدان، ويسقي أعداء الله كؤوس الذل والأهوان (كذا) ..."[27]

ثم ينتقل إلى ذكر الفرنسيين الذين خرجوا لتأديبه وقطع دابره وأمنيته، وأنهم ذهبوا إليه وهم كالجراد المنتشر.

ثم يبين من جهة أخرى قوة الفرنسيين وجبروتهم، وأنهم هدموا قبة سيد الشيخ[28] ودفنوا عظامه في بلدة البيض، ولو كان غيرهم ما فعلوا ذلك، أي أنهم إنسانيون، لأنهم حملوا رفات الميت ودفنوها ولم يرموها أو يمثلوا بها، أما بوعمامة فهو جبان، فر من الميدان، وأنه "لم ينظر لهذه الدولة العظيمة والأمة الجسيمة والجيوش الغزيرة والإقامة الكبيرة التي من أعظمها البابورات البرية على سبائك الحديد ليلا ونهارا بقدرة الله القدير."[29]

ولم يكتف الكاتب بهذا، بل هاهو يدافع عن الفرنسيين، بعد أن ينقل حادث ظفر الشيخ بفقراء السبنيول وضعفائهم- كما يذكر- وهم أجراء على خدمة الحلَفاء وقيامه بحرقهم بعد الظفر بهم والقدرة عليهم، ويقول عن الفرنسيين مدافعا عنهم: "ولم يبلغنا أنهم مثلوا بمسلم ولا حرقوه بإشهار، ولا فعلوا فعله مع أنهم كفار."[30]

ونسي الكاتب ما فعله الفرنسيون بقبيلة العوفية ذات يوم من أيام شهر أبريل من سنة 1832، بجوار العاصمة، التي أفنوها عن آخرها بعد مهاجمتها ليلا على حين غفلة من أهلها، وذلك برواية قائد الحملة نفسه الجنرال روفيقو في كتابه "الجزائر الفرنسية."[31]

كما أن الجنرال بليسي ارتكب جريمة كبيرة ضد أولاد رياح في جبال الظهرة، عندما قام بإحراق كل من اعتصم بإحدى المغارات فرارا من الاضطهاد، وكان عددهم حوالي خمسمائة شخص، وقد مات الجميع بالحرق والاختناق.[32] وغير ذلك كثير لا مجال لحصره.

لقد نفى الشقراني عن الشيخ بوعمامة كل الصفات النبيلة، واعتبر أعماله لاغية لأنها لا تستند على الكتاب ولا على السنة، وفسر ما قام به عدوانا وطغيانا وجهلا بالأمور لوقوفه في وجه فرنسا القوية. يذكر ناصر الدين سعيدوني أن الشقراني تحامل على بوعمامة بشدة "ونعته بأحط الصفات، بل حاول أن يعطي للقارئ عنه صورة مُشوَّهة لا تتماشى ومواصفات هذه الشخصية الوطنية ولا تنطبق على الحركة التي قادها ضد الاستعمار الفرنسي في الجنوب الوهراني."[33]

وعموما فإن الراشدي الشقراني يدعو إلى التواكل وترك الأمر على عواهنه. ويمثل لذلك بالبعض من الذين فشلوا في مسعاهم لقيامهم ضد فرنسا، كما يمثل بآخرين من المسلمين الذين "ينتظرون الفرج وزوال الحرج. وانتظارُ الفرج واجب، والعُسْر لا يدوم على أحد."[34] وهو بذلك يعطي مَثَلا سيئا ونصيحة انهزامية لا تصدر إلا من متعاون مع الأعداء أو فاشل رعديد.

ب- **كتاب: "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر". لإسماعيل بن عودة المزاري (الآغا):**[35]

خصص المؤلف الجزء الثاني من كتابه هذا للحديث عن التاريخ الفرنسي، فبدأ بأصل الفرنسيين وأشهر مدنهم وخصائص بلادهم الطبيعية، وانتقل للحديث عن ملوكهم (نقلا عن كتاب الزياني دليل الحيران أحيانا) فاحتلال الجزائر في عهد الملك شارل العاشر وتوسع الفرنسيين في الجزائر شرقا وغربا، وظهور الأمير عبد القادر ومعاركه ضدهم إلى انتقاله إلى دمشق؛ كما تحدث عن بعض المقاومات الجزائرية الأخرى مثل مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والثائر بومعزة.

وتحدث في إحدى صفحات الكتاب عن الشيخ بوعمامة من خلال التطرق لمرحلة حكم الرئيس الفرنسي جول فيري الذي تولى هذا المنصب سنة 1879، وذلك تحت عنوان: "ثورة الشيخ بوعمامة والحملة على تونس وغزو الطونكان"، ابتدأ بقوله إن جول فيري هذا "جهز جيشا للثائر بالصحراء وهو بوعمامة البوشيخي الدرقاوي تلميذ السيد محمد بن العربي العلاوي الفيلالي... فأجلاه من الأرض وجعل بالصحراء مدناً جليلة بها الحكام". وتكلم عن مقتل ونبرينير عند قبائل الجرامنة، وتجهيز قوات فرنسية لإخماد ما أسماه بـ "الفتنة."

والكاتب هنا يتعرض للتاريخ من وجهة النظر الفرنسية، فهو يكتب للفرنسيين لا للجزائريين، هدفه إرضاؤهم وكسب ودهم، فيقول

مثلا: "اتفق الأحرار الشراقة والطرافي والأغواط على التخليط والخروج عن الإذعان مع أبي عمامة."[36]

وقد جر المؤلف إلى هذا الموقف انتسابه إلى إحدى قبائل المخزن الموالية للسلطة الفرنسية (الدوابر والزمالة والبرجية). فهو يبين موقف المخزن من مثل هذه المقاومات الشعبية، التي يعتبرها فتنة (تخلاط)، لأن قبائل المخزن كانت تتمتع بعدة امتيازات مقابل خدماتها للسلطة، مما جعلها تعتز بتلك المكانة الاجتماعية وذلك الموقع الإداري والسياسي الذي تحظى به. فالمخزن هو المناصر للدولة الذائد عن حياضها تجاه كل خارج عنها، والخارج عنها هو كل نابذ للقانون الفرنسي.

ولم يقصر رأيه هذا على حركة الشيخ بوعمامة بل تحدث عن بعض الحركات المناهضة للفرنسيين، من ذلك قوله في إحدى صفحات كتابه هذا، خلال حديثه عن الأمير عبد القادر: "وثار بالقلعة محمد بن حسن، وبسجرارة الحاج محي الدين بن مخلوف وعمت البلوة من الأصنام إلى مغنية، إلى أن فر الألف من المألوف ولم يبق على نصيحة الدولة إلا الأعراش الثلاثة المتوالية، وهم الدوائر والزمالة والغرابة في القولة الجالية."[37] وكأنه يشير إشارة اعتراف ومدح لهؤلاء الذين بقوا إلى جانب السلطات الفرنسية ولم يقفوا في وجهها كما فعل غيرهم من القبائل التي أثارت الفتنة والبَلوَة.

ج- كتاب: مقامات العوالية في الأخبار العلالية على اللغة المغربية، لعبيد الله القاهر الباري محمد بن علي بن الطاهر الجُباري.[38]

تضمن هذا الكتاب مجموعة من المقامات المختلفة المواضيع، أما ما يهمنا هنا فهي "المقامة الأولى وتسمى الصحراوية" وتتضمن أخبار الشيخ بن عيسى، الذي كان سخّارا ويحدثنا عن "جولانه وتلطامه في الصحرا."

يبدأ المقامة هذه بقوله: "حكى امحمد بن العربي قال كنت في زمان سعيد الكوكب وحال نلت فيه المطلب في اكتساب مال غير متعب.... إلى أن يقول: فلما دقت بنّة العصارة وَجَدْت الربح يأخذوه الصحارة واختلطْتُ مع رفقة رايمين الأسفار لنواحي الفيافي والأقفار، فاعهدنا العهود والعدول، وأوجدنا الإبل لحمل الزاد والحمول، ودخلنا الصحرة بالفضول، فبقينا مدة نحن نتخير في عصا الجلب، ونميز في اغتنام الفوايد بالغلب، إلى أن سمعنا في يوم خبراً يطيّش النفوس ويفرّ منه الصابر والعبوس، بان قيل أن أباعمامة قد نافق بأعلامة وطاح على الطرافي بازدحامة، وأخذ أولاد ابراهيم وخوض الإمامة...."[39]

ويذكر أنه لما علم بهذه الأحداث تفرق هو وزملاؤه شيعا، وقصد كل واحد منهم مكانا للاختفاء به، فمنهم من قصد المنقار الفوقاني (وهو يقصد مغرار الفوقاني) ومنهم من قصد المنقار التحتاني (وهو يقصد مغرار التحتاني) ومنهم من قصد بوسمغون ومنهم من بقي في

العقلة، أما الراوي فقد قصد بلدة المشرية ليختفي فيها إلى أن يزول الخطر.

يتضح مما أورده صاحب المقامة أنه لم يكن على بَيِّنة من حركة الشيخ بوعمامة، فالمطلع على هذه المقامة وهذه الأخبار عن أبي عمامة يتبادر إلى ذهنه أن الشخص قاطع طريق، خارجا عن القانون ومتمردا على السلطة الشرعية.

ومن المعلوم أن الراوي ينتسب إلى عائلة تعود أصولها إلى بلدة بَطِّيوَة التابعة لدائرة آرزيو حاليا، ولكنه سكن بمدينة سعيدة ومعسكر وأخيرا ببلدة الدليمة (سان لوسيان) زهانة حاليا. عُرف عنه التنقل بين الحواضر المختلفة بحثا عن المزيد من العلم والمعرفة بعد أن لم يجد ما يكفيه من العلم في البلدة التي كان يسكنها بين قبائل الغرابة حينا وعرش الزمالة حينا آخر –كما يقول– [40]. ويتضح من هذا أيضا أن صاحب المقامة وقف الموقف نفسه الذي وقفه المزاري والشقراني من حركة الشيخ بوعمامة.

4- خصومه من رجال الطرق الصوفية:

تعرضت حركة الشيخ بوعمامة لانتقاد كبير من قبل بعض رجال الطرق الصوفية، وتحريض من بعضها على المقاطعة والعداوة؛ ذلك أن التحاسد والتباغض كان سائدا بين هؤلاء وأولئك، كل يدعي أن صاحبه هو الأفضل وأن أوراده هي الأقرب إلى الكتاب والسنة، وكان للتدخلات الفرنسية أثر كبير على تلك الحزازات التي تقع بين هؤلاء في إطار

سياسة فرق تسد التي انتهجتها السلطات الفرنسية لتسهيل سيطرتها على البلاد والعباد، مما أدى إلى ازدياد التنافر والتنافس بين هذه الطرق الصوفية.

غير أن المواقف الشعبية تختلف عن مواقف زعماء هذه الطرق، فأتباع الطرق المختلفة كثيرا ما كانوا ينضمون إلى مقاومة الشيخ دون أية عقدة، فالمهم لديهم هو الانضمام إلى حركة الجهاد ولا شيء غير ذلك، أما زعماؤهم فلديهم الكثير من القول نتيجة تلك الخصومات بين هذه الزاوية وتلك، ولنذكر لذلك أمثلة من واقع الناس:

أ- الطريقة التجانية:

كان مركز الطريقة التجانية هو عين ماضي بالجنوب الجزائري، وكان شيخها آنذاك هو أحمد عمار، استدعاه الحاكم العام ألبير قريفي إلى العاصمة لقضاء أيام في الجزائر، ومن هناك وبتأثير من السلطات الفرنسية، كاتب الشيخ أحمد المذكور أتباع الطريقة في الغرب الجزائري يطلب انسحاب من انضم منهم إلى المقاومة المذكورة.[41]

ب- الطريقة الطيبية:

يقع مقر الطريقة الطيبية في بلاد وَزَّان بالقرب من فاس المغربية، وكان شيخها آنذاك هو عبد السلام الوزاني. ورغم أن الشيخ بوعمامة وجد كل الترحاب من قبل أتباع هذه الطريقة المتواجدين في توات وقورارة ومن قبل أتباع الطريقة الكرزازية المتواجد مركزها في بلدة بني عباس.[42] إلا أن الحكومة الفرنسية أوعزت إلى وزيرها -أوردیکا- في

طنجة سنة 1881 ليعمل ما استطاع للحصول على دعم شيوخ الطرق في الجنوب، وكان الشريف عبد السلام الوزاني واحدا من أهم الشخصيات الذين أرسلهم هذا الوزير، فاتصل بـ سي العربي الدرقاوي شيخ الزاوية الدرقاوية بتافيلالت والصحراء، وبـ سي سليمان بن قدور زعيم أولاد سيد الشيخ الغرابة آنذاك، الذي كان متواجدا هناك لاجئا، "وكانت فرنسا تهدف من مشروع سي سليمان والدرقاوي إلى إخضاع قبائل الجنوب المغربي وضرب ثورة بوعمامة واحتلال الصحراء."[43]

ج- الطريقة الرحمانية:

الطريقة الرحمانية هذه معروفة بعدائها للسلطات الفرنسية، اتضح ذلك من وقوفها مع مقاومة المقراني سنة 1871، إلا أن ممثلها في زاوية الهامل اتخذ موقفا معارضا لحركة الشيخ بوعمامة، حيث راسل محمد بن بلقاسم الحملاوي زعيم الطريقة بوسط البلاد، في 10 جويلية 1881، أتباعه للابتعاد عن بوعمامة الذي لا عقل له والذي صار يضاهي الدولة. وأن بوعمامة هذا لاشك سينفضح حاله وتبطل دعواه وتتبدد أتباعه الذين معه في الوقت والحال. وأذاعت السلطات الفرنسية هذه الرسالة على نطاق واسع لإبراز موقف الرحمانية من بوعمامة، ولتهدئة أتباعها الذين كانت خواطرهم ثائرة، كما عبر عن ذلك رئيس دائرة البرواقية.[44]

والمعروف أن محمد بن بلقاسم هذا رحماني الطريقة درس في زاوية بن أبي داود بزواوة، وهو الذي أنشأ زاوية الهامل بالقرب من بوسعادة حوالي سنة 1849، وكان عالما متمكنا، اشتهر صيته واعتقد الناس فيه البركة والكرامات، عاصر الحاج عمر والحداد والبوجليلي وكان صهرا لآل المقراني، إلا أنه لم ينضم لحركتهم سنة 1871، ومع ذلك استقبل اللاجئين منهم في الزاوية، أما خلفاؤه من بعده فقد تولوا الوظائف الرسمية وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، منهم مصطفى القاسمي الذي عارض جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري وترأس مؤتمر الزوايا المعادي للإصلاح والمدعم من السلطات الفرنسية.[45]

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن الأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة لم يجدا الأمر سهلا ميسورا لا من أعدائهم التقليديين وهم الفرنسيون، ولا من ذويهم وأبناء وطنهم، فكان عليهم مواجهة عدة أطراف لا تقف على الحياد فحسب، بل وتحاربهم. وهكذا قضى الأمير عبد القادر خمسة عشر سنة وهو في حرب مع الفرنسيين من جهة ومع أعوانهم من الجزائريين من جهة ثانية إلى أن غادر الوطن مرغما سنة 1847، أما بوعمامة فقد أُرغم هو أيضا على مواجهة اخوته في الدين والوطن، فهو إما مغير عليهم أو هم مغيرون عليه، وسواء كان ذلك في الجزائر أو في المغرب. وكان للفرنسيين الدور الكبير في زرع الشقاق بين الجزائريين

وتقديم الإغراءات لذوي النفوس الضعيفة في إطار سياسة فرق تسد، أو كما يقول المثل الشعبي "اضْرَبْ المُورُو بْخُوهْ."[46] مما كان له أثر سلبي على عمل الرجلين النضالي، ولكن معنوياتهما كانت كبيرة، فقد بقيا على عزمهما وحزمهما المعلومين، لم يلحقهما ضعف فيهما ولا نَقَصهما شيء من دواعيهما، إلى أن كانت نهاية كل منهما بخروج الأمير من الجزائر سنة 1847 وبوفاة الشيخ بوعمامة سنة 1908.

الهوامش:

1- محمد قنانش. الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين. ش و ن ت. الجزائر 1982. ص: 22.

2- محمد بن الأمير عبد القادر. تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر. ج: 1. المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص: 263.

3- شكري فيصل. حركة الفتح الإسلامي. دار العلم للملايين. بيروت بدون تاريخ. ص: 41.

4- محمد سيد كيلاني. الحروب الصليبية. مطبعة دار الكتاب العربي. 1949. ص: 43.

5- تحفة الزائر، ص: 161.

6- نفسه، ص:163.

7- نفسه، ص: 206.

8- ناصر الدين سعيدوني دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر –العهد العثماني– المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص: 100.

9- نفسه، ص: 98.

10نفسه، ص: 93.

11- شارل هنري تشرشل، الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر 1982، ص: 93.

12- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 208.

13- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص: 61.

14- انظر: Bezy le citoyen, Insurrection du sud oranais, Publié par le Citoyen Bezy, Oran-collet,1884. P/80.

15- IBID, P/ 35. ويذكر هذا الكاتب أن الباشاغا بعث الرسالة في 6 أبريل عكس قرول الذي يذكر تاريخ 15 منه.

16- انظر: Graule. E. Insurrection de Bouamama, henri charles lavauzelle, édition militaire, Paris, 1905. P/ 14 et 26.

17- انظر: Graule.E. P/33.

18- IBID. P/33.

19- أنظر: IBID, P/42.

20- أنظر: Bezy, PP/43- 45-52..

21- أنظر: Graule, PP/25-26.

22- أنظر: Bezy, PP/13-14.

23- أنظر: Graule, P43.

24- أنظر:

-Hamza Boubakeur, Un soufi algerien sidi cheikh...édition maisonneuve et larose, Paris. P/250-251.

25- عبد القادر خليفي، المأثور الشعبي لحركة الشيخ بوعمامة، أطروحة دكتوراه دولة، نوقشت بكلية الآداب اللغات والفنون، جامعة الجزائر، جوان 2001، ص: 175.

26- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصرالدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

27- نفسه، ص:20.

28- سيدْ الشيخ هو عبد القادر بن محمد، المتوفى سنة 1616م/1023هـ، أحد أسلاف الشيخ بوعمامة، والولي الذي كان المقاومون يعقدون عند قبته العقود ويتفقون على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين مثلما فعل قبل ذلك زعماء أولاد سيد الشيخ سنة 1864.

29- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني.. ص: 25.. وهو يقصد بالبابورات هنا القطارات.

30- نفسه، ص:25.

31- عبد الله شريط ومحمد الميلي، مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص:206.

32- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980، ص 57.

33- نفسه، ص13 و14.

34- نفسه، ص: 29.

35- الآغا إسماعيل بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج: 02، ط: 1، تحقيق ودارسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص: 265.

36- - نفسه، ص: 265.

37- نفسه، ص: 223.

38- أنظر:

-Faure-Biguet. G. et Delphin. M. G. Les séances d'el-aouali, textes Arabes en dialecte maghrébin Journal Asiatique, onzième série, Tome/2. juin 1913 et Tome/3. Janv-Fev. 1914.

39- نفسه، ص: 303.

40- نفسه، ص: 294.

41- أنظر:

-Louis Rinn. Marabout et Khouan, Adolphe Jourdan, Librairie éditeur, Alger 1884. P/433.

42- أنظر:

-Hamza Boubakeur, Origine de la guerre du sud Oranais contre la France (1864-1900). In revue d'histoire maghrébine, n° 6. juillet 1976.

43- أحمد العماري، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى 1902، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط 1981. ج:2.. ص: 651.

44- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، الجزء: 1. ش و ن ت، الجزائر1981، ص: 51 إلى 53.

45- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص: 218 إلى 223.

46- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج:2، ش و ن ت، الجزائر 1983، ص: 31

حـركة شـريـف بـن سـعيـدي
في الولاية الرابعة

أ. أحمد بن جابو
المدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة – الجزائر–

1- **ظروف نشأتها** : نشأت حركة شريف بن سعيدي بالمنطقة الأولى من الولاية التي عرفت ضعفا ميدانيا لجيش التحرير الوطني بها مقارنة بالولايات الأخرى، وذلك نتيجة للتأخر في نشأتها بعد مؤتمر الصومام 1956 . حيث عملت قيادتي الولايتين الثالثة والرابعة على دعم التنظيم الثوري بها . فكان تعيين أول قائد لها مع بداية 1957 . هو القائد العقيد علي ملاح المدعو سي شريف [1] وتم تدعيمه بوحدات من جيش التحرير الوطني من الولايتين الثالثة والرابعة .

فانطلق القائد علي ملاح في التنظيم الثوري بالولاية السادسة فتم اختيار مقر القيادة بجبل اللوح . وعمل سي شريف (علي ملاح) بفتح الفرص للجميع في أداء مهامهم في تنظيم وحدات جيش التحرير الوطني . وكان من بين هؤلاء الذين منحت لهم هذه الفرصة شريف بن سعيدي [2] الذي كان ضابطا في الجيش الفرنسي الذي عمل به ما بين (1944 – 1955) . فكان الاتصال بشريف بن سعيدي في النصف الثاني من سنة 1956 بمسقط رأسه بدوار أولاد العقون بالقرب من بلدية سواقي جنوب شرق مدينة المدية .

ورأى المسؤولون آنذاك في شريف بن سعيدي أنه يتمتع بخبرات عسكرية خاصة في استعمال الأسلحة والخبرة في ميدان القتال . الأمر الذي مكنه بعد التحاقه بالثورة بأنه

ارتقى بسرعة فأصبح مسؤولا و لا عسكريا على رأس كتيبة ضمن المجموعة القيادية للولاية السادسة .

- أما لعوامل التي ساعدت شريف بن سعيدي في تنفيذ أهدافه المتمثلة في تصفية قائد

الولاية السادسة علي ملاح المدعو سي شريف وبعض المسؤولين منهم " أحمد الروجي " [3] فيمكن إجمالها كما يلي :

- اتساع المنطقة التي كانت تمثل ميدانا لتحركات المجاهدين.
- عدم انتشار التنظيم الثوري بالولاية السادسة باتجاه الجنوب.
- ضعف المستوى العسكري للجنود الذين التحقوا بالولاية السادسة من الولايات الأخرى خاصة منهم الذين التحقوا من الولاية الثالثة .
-عدم الدراية والاحترام لبعض تقاليد وعادات المنطقة الخاصة . الأمر الذي أدى إلى وقوع بعض الهفوات والاختلافات بين شريف بن سعيدي وبعض مسؤوليه التي تطورت إلى حدوث اغتيالات وتصفيات جسدية .
-هذه العوامل كلها أدت إلى نشوء ما عرف بقضية شريف بن سعيدي بالولاية السادسة استغلتها المصالح الفرنسية المختصة فعملت على تغذية فكرة الاغتيالات. و ابادة خصومه الذين صنفوا على أساس

عرقي جهوي حسب بعض الكتابات الفرنسية فعمد إلى اغتيال عناصر من منطقة القبائل و تأبيب السكان عليهم .

2- تطور قضية شريف بن سعيدي وتنفيذ أهدافه :

- حين اشتد الصراع بين شريف بن سعيدي وقائده أحمد الشافعي المدعو"عمرالروجي" أصبح شريف بن سعيدي يتنقل في المنطقة بين المداشر والقرى ويحض السكان المجاهدين وإثارة النعرات والإشاعات المغرضة معتمدا في ذلك على هفوات وأخطاء الروجي وجنوده وذلك لجهلهم لخصوصيات المنطقة وجهلهم لعادات السكان مكن بن سعيدي في التأثير على سكان المنطقة خلال مدة وجيزة .

في بداية شهر افريل 1957 نصب بن سعيدي كمينا ضد النقيب (اعمر الروجي)في المكان المعروف " كرمة شيحة " تم خلاله استشهاد اعمر الروجي مع ثمانية من جنوده . ونجا بن سعيدي بعد ان اصيب بجروح في ذراعه يحتمل أنها طلقها عليه الروجي .

وبعدها نصب بن سعيدي نفسه قائدا على المنطقة . ونائبيه حمة محمد وحمة محمود وهما من أبناء عشيرته ووهب سلاح وملابس الجنود الذين تم اغتيالهم إلى إتباعه . الأمر الذي كشف مكيدة الاغتيالات .

كما تمكن شريف بن سعيدي حضور اجتماع ترأسه علي ملاح بحضور سي أحسن . وبلعيد وبعض المحافظين السياسيين الذين تم اختيارهم فكان الاتفاق على خطط قتالية محكمة في الولاية غير أن

شريف بن سعيدي استطاع إقناع بعض إطارات الولاية في أن يذهبوا معه ليعرفهم بالمنطقة ,و كان قد لهم كمينا فقام باغتيال مرافقيه من إطارات الولاية ومنهم الزبير, وبلعيد وسي احسن, وواصل اغتياله للرائد جوادي عبد الرحمن, وإطارات أخرى بالمنطقة .

الزبير وبلعيد . وسى احسن وواصل اغتياله للرائد جوادى عبدالرحمن وإطارات أخرى [7].

وبعدها استقر بن سعيدى بعين بوسيف وجلب اليه اتياعه من ينى عشيرية ويدا يحطط لاغتيال القائد علي ملاح المدعو آسى شريف فاتصل به ودعاه للقاء منفرد مدغيا أن الأوضاع في المنطقة غير مستقرة فاتفقا على أن بحثها في ((أولاد يجة . حيث تم اغتيال العقيد علي ملاح في عملية يوم31 ماي 1957 في جبل شعون

واستشهد مع القائد على ملاح مجموعة المي هدين وبعد هده التصفيات سعى بن سعيدي إلى عدم تثبيت التنظيم الثوري لجيش التحرير الوطني بالمنطقة الآمر الذي أدى ألي وقوع اشتباك مع إتباع سعيدي بالسواقي حين شرع المي هدون في إعادة خلايا جبهة وجيش التحرير الوطني عبر الجهة المتلفة للمنطقة واستمرت الاشتباكات بين جبهة وجيش التحرير الوطني وانباع شريف بن سعيدى الى ان اتى قائد الولاية سى احمد بوقرة رفقة س لخضر المقرانى على راس الكومند وعلى خوجة قصد معالية قضية شريف بن سعيدى في عين المكان وأمام اتباعة وعشيرته[8].

3- احباط ضاورة بن سعيدى من طرق قائد الولاية سى احمد بوقرة

قام سى احمد بوقرة بمحاولة تهدف الى القضاء على شريف بن سعيدى فاتصل به وحدد معه لرقء بأولاد العقود بوسط عشيرته وكان قائد الولاية رفقة الكومندو على خوجة مع سى لخضر (رابح المقرانى) فشرع سى احمد في استجواب بن سعيدى حول اللغتيالات التي تمت بالمنطقة فاوقعة باسئلة متتالية و يحكم لم يتمكن من خلالها بن سعيد التملص من الحقيقة غير انه وجد دريعة يتملص بها هي حولل وقت العشاء وسكوة مواصلة الجلسة بعد دلك .

غير انه رجلا من أتباعه خمس له بان سى احمد قائد الولاية قد أشار إلى رفقائه بأنه سيقض على سى سعيد بعد الانتهاء من تناول وجبة العشاء فلاد سيد سعيد بالفرار إلى جهة مجهولة فهل كان هدا الانفلات مقصور من طرق قائد الولاية حسب رواية الكثيرة من المي هدين فان القضاء على سيد سعيد كان مقصود طرق قائد الولاية في دلك اللقاء لان الهروب هن اللقاء دليل قاطع على الخيانة خاصة على مراى من اتباعة ووسط عرشة [9]

وعلى اثر هد اللقاء تحولت المنطقة الأولى من الولاية السادسة إلى الولاية الرابعة وعرفت بالمنطقة الرابعة وتم دلك في شهر 1957 وتولى قيادته :

- سيد عبد اللطيف بن يحي رئيسا .
- سيد مسعود عسكري .

- سيد الحاج بن عيسى عضوا.
- سيد محمد القاضى عضوا .

وبعد إحباط مؤ آمرة بن سعيدي وفضح أمام عرشت التحق مع أتباعه بالجيش الفرنسي في شهر جويلية 1957 مع عدد من جنود قدر ب 330جنـدية مسلحا [10].

والخلاصة آن حركة شريف بن سعيدي كانت لها نتائج سلبية وآخرى إيجابية على مسار الثورة بالمنطقة آلتي أتتشرف فيها حركة .

فالنتائج السلبية منها امتداد اثر هده الحركة آلي الولايات المجاورة خاصة الولاية السادسة اللحاق الضرر بعد هد المجاهدين آلمنا صن بالولايات الأخرى وتحاشيهم التجنيد في هده المنطقة آلتي أصبحت تمثل بؤرة للدسائس والتوترات أودت بالعديد من المجاهدين أمثال الطيب الجنلالى والعقيد آسى الحواس آما النتاج الإجابة فاهمها:

- إثبات قدرة القوة على قهر العملاء واكتشاف مؤامرة تهم وخيانتهم ود حرقوتهم على الرغم من الدعم الكبير الذي يتلقونه من قوات العدو

-اقتناع الشعب الجزائري واطمئنانه على مستقبل الثورة من كل المتشككين والمترددين والعملاء .

-إبراز قوة الثورة على الصعيد الخارجي ودلك بتوحيد صفوفها، و فرض شرعية جبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب و الثورة في الداخل و الخارج .

- تحول محنة الحركات المعادية و الخائنة للثورة إلى منحة قوية لبروز روح التعاون و التنسيق بين الولايات التاريخية للثورة و القضاء عليها كحركة ''بلونيس'' وخيانة شريف بن سعيدي بتراب الولاية السادسة

ونحن هنا لا نراعي أننا ألمنا بكل الحقائق و التفاصيل المتعلقة بحركة شريف بن سعيدي، و إنما تركز اهتمامنا في إثارة بعض الحقائق التي أرى بأنها مازالت تحتاج إلى تسليط الضوء حول بعض الملابسات هده القضية كمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت بشريف بن سعيدي إلى اتخاذ هدا الموقف و القيام بتنفيذ هده الاغتيالات بالمنطقة و بصورة جماعية أحيانا لدلك ندعو كل المجاهدين الدين مازالوا على قيد الحياة، و الدين عايشو هده الحركة بالمنطقة أن يقوموا بتدوين مذكراتهم قصد الإجابة على الإشكالات التي لازالت مطروحة حول هده القضية.

الهوامش:

1- علي الملاح من مواليد 14 فيفري ببلدية مكيرة التي تبعد عن تراع الميزان بحوالي 10 كلم ، ناضل علي ملاح في (ح.ش.ج) منذ 1945 ، انخرط في المنظمة الخاصة (O.S). قام بتعليم الأطفال والشباب اللغة العربية ومعارف أخرى الى غاية 1949 . تولى قيادة عدة نواحي منها : سيدي نعمان ، عزازقة ، تيقزيرت...

أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة (C.N.R.A) سنة 1956. تميز خطابه بأسلوب جذاب وحاد يخاطب الكبار والصغار والشباب والأطفال ، والنساء.

2- شريف بن سعيدي : ولد في سنة 1923 باولاد العقون ببلدية سواقي ، انخرط في الجيش الفرنسي سنة 1944 شارك في الحرب بالهند الصينية ضمن القوات الفرنسية مدة سنتين ، إلتحق بجيش التحرير الوطني في النصف الثاني من سنة 1956 . ونظرا لخبرته العسكرية السابقة رقي الى ضابط صف، ثم ضابط أول عسكري تولى رئاسة كتيبة بالولاية السادسة ، كان أحد الضباط الستة أو السبعة التي كونت نواة الولاية السادسة ، غير أنه خلال عمله العسكري قام باغتيال عدد من المجاهدين ، وبعد اكتشاف خيانته إلتحق بالجيش الفرنسي الذي رقاه الى رتبة عقيد محاولا استعماله لتشكيل القوة الثالثة ، والتحاقه بالجيش الفرنسي كان رفقة أتباعه المقدر عددهم بحوالي 330 رجلا.

3-مذكرات النقيب محمد صايكي : شهادة ثائر من قلب الجزائر – شركة دار الامة- الجزائر الطبعة الثانية ، 2003، ص. 233

3- الرائد سي لخضر بورقعة : شاهد اغتيال الثورة ، ط.2 ،دار الامة للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص90

4- محمد صايكي ، مرجع سابق ، ص231

5- Yves Courier – la guerre d'Algérie, l'heure des colonels – ED Fayard, Paris 1969 ,P 53

6- النقيب محمد صايكي ، مرجع سابق ، ص226- 227

7- للمزيد من التفاصيل انظر :

-Dictionnaire historique et biographique de la guerre d'Algérie – Jean Louis Gérard , ED Jean Curcutchet, 2eme ED2000.P64

9- محمد صايكي ، مرجع سابق ، ص232

Allistere Horne , histoire de la guerre d'Algérie, Albin Michel, Paris -1980, P 223. -10

المراجع المعتمدة

.Allistaire Harne , histoire de la guerre d'Algérie, Albin Michel, Paris -1980

- (Cdt) Azzedine : les Fellaga, Enag, Ed, Alger, 1979
- Hamoud (chaid) : Sans haine ni passion . Ed E.N.A.I, Alger, 1985
- Le mire (Henri) : histoire militaire de la guerre d'Algérie , Ed . Albin Michel , Paris 1992
- Teguia (Mohamed) : l'Algérie en guerre , (O.P.U) Alger (S.D).
- Jean Louis Gérard : Dictionnaire historique et biographique de la guerre d'Algérie, Ed Jean Curutchet, 2000.
- مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة ، على شاهد اغتيال الثورة – دار الحكمة – الجزائر 2000
- مذكرات النقيب محمد صايكي ، شهادة ثائر من قلب الجزائر ، ش. دار الامة – .2003

الجبهة الـــجزائرية للعمل الديمقراطي الدوغـولية FAAD مــع نهـأيـــة الثـــورة الـــتحـــريـــرية (1962 - 1961)

أ. دحمان تواتي
قسم التاريخ
-جامعة أدرار -

يتفق معظم الذين درسوا تاريخ الثورة الجزائرية أنها كانت مخبرا واسعا لكل التجارب العسكرية و ميدانا خصبا لكل ما انتهى إليه الفكر العسكري.

وإذا كانت الثورات التي سبقتنا قد شكلت دافا نفسيا قويا لنا، إلا أنه من سوء حظنا أيضا أن كانت آخر حروب فرنسا و آخر معاركها الإستراتيجية، لذلك واجهت فرنسا ثورتنا بكامل قواها المادية و زجت فيها بكل طاقاتها المعنوية وطرحت خلالها كل أوراقها الرابحة.

وقد أكسبتها الحروب السابقة تجاريا ميدانية وتشكل داخل جيشها نخبة من العسكريين الذين أصبحوا أكثر مراسا كما اكتشفوا أسرار الحروب الثورية وكيفية إدارتها ومنهم من أصبح منظرا للحروب المضادة.

ويمكن أن نذكر في هذا الصدد العقيد "لاشورا " الذي كان مدرسا في الأكاديميات العسكرية الفرنسية للحروب الثورية وله منذ سنة 1954 عدة دراسات في هذا الشأن [1] ، كما يمكن أن نذكر العقيد قودار مسؤول المكتب الخامس منذ سنة 1956 وواضع التنظيم الهيكلي لمنظمة الجيش السري .

---

[1] **Le Colonel Charles Lacherov , théoricien de la guerre révolutionnaire et de l'action psychologique**, in Guerre d'Algérie magazine , n°2 (janvier – février 2002.

•3èRCA.

• La décadence l'imposture et la tragédie .

ومن نماذج هذا الصنف من الضباط العقيد أنطوان أرغود، الذي كان يقود الفيلق الثالث مطاردة إفريقي* في القطاع العملياتي لمتيجة الوسطى وهو مؤلف كتاب " الانهيار، الكذب، المأساة " *حيث جاء فيه: " لقد درست الحرب الثورية على المستوى النظري على مدى عقد كامل و اكتشفت أن حرب العصابات تعتمد السيطرة على الشعب كضرورة للبقاء و أن عمل الثوريين يرتكز على الدعم الإرادي أو الإجباري للسكان، الذين تقع عليهم مهمة تزويدهم بالمعلومات و المؤونة و توفير المأوى، إن هذا الدعم ضروري لهم لتعويض ضعفهم العددي و التقني." [2]

لقد أدرك جيش الاحتلال منذ البداية أهمية الشعب في عمليات التجنيد و التمويل و الاستعلام وهو ما يبقي أداء الثورة التحريرية قويا والنيل منها مستحيلا لهذا لجأ إلى أسلوبين خطيرين في التعامل مع هذا الوضع.

أما الأسلوب الأول فيقوم على مبدأ فصل الشعب عن الثورة فيما يعرف بسياسة فصل السمك عن الماء بإنشاء المناطق المحرمة أو زرع أسماك تعيش داخل هذا البحر على طريقة " كومندو الظلام " التي وضع فكرتها الجنرال باري دو بولارديير عام 1956 عندما كان مسؤولا عن

---

2 – دحمان تواتي ، العقيد انطوان أرغود جلاد مزرعة بوقندورة ، في جريدة الشروق اليومي ، العدد 1016 ، 6 مارس2004 ، ص ص : 6 -7.

الفيلق 117 مشاة الطيران أعالي جبال بوقرة و عرفت لدى مجاهدي المنطقة بكومندو حمار. [3]

وقد بنى دهاقنة الاستعمار أسلوبهما الثاني على أساس زعزعة الجبهة الداخلية للثورة و تفتيتها و إهدار طاقاتها في التناحرات الداخلية و الصراعات الجانبية التي تشغل الثورة عن توجيه سلاحها إلى العدو الحقيقي.

إن "جزأرة الحرب " كانت الطريقة المثلى لتحقيق هذا المبتغى الذي يقتصد أرواح الفرنسيين ويؤجج الصدام بين الجزائريين باستغلال الظروف الخاصة للأفراد و الجماعات وجرهم إلى معاداة دينهم و شعبهم و مناهضة ثورتهم . ويجب أن نعترف منذ البداية أن هذه الحرب تندرج في اطارالحرب النفسية التي تعد أخطر أدوات الحروب التي استعملها الجيش الفرنسي ضد الثورة الجزائرية على الإطلاق، بالنظر إلى آثارها الآنية و مخلفاتها المستقبلية وميادينها التي كانت معنويات الشعب وإرادة المجاهدين وأهدافها التي تمثلت في نشر الفرقة وزرع التناحر وإجبار المقاتلين على الاستسلام.

والواقع أن أجهزة المخابرات الاستعمارية بكل شعبها ظلت تحبك المؤامرات ضد الثورة التحريرية ورجالها في الداخل و الخارج إلى آخر لحظة من عمر الثورة التحريرية المباركة. [4]

---

3 Le Commando Noire .

بيد أننا إلى غاية اليوم لم نقدر حجم الأضرار التي أحدثتها داخل صفوف الثورة التحريرية إلا ما تعلق ببعض الملفات التي كشفت عنها أجهزة الثورة في حينها والتي أفادت منها، كقضية "العصفور الأزرق" زمن الحاكم المقيت روبير لاكوست أوحاولت التصدي لها والحد من تأثيرها مثل عملية" تلسيت " التي تعرف بقضية السي صالح صائفة سنة 1960، التي أشرف عليها النقيب جاكان و تابعها ميدانيا مستشار الجنرال دوغول " برنارد تريكو". [5]

كان هدف هذه الأجهزة السرية في المرحلة الأخيرة من تاريخ الثورة فرض استراتيجية الجنرال دوغول في الميدان بتدمير أقصى ما يمكن من طاقات الثورة ثم التفاوض معها من مركز قوة. [6] وبجلوسه إلى طاولة المفاوضات كانت تقديرات الجنرال تقوم على فرضية إبقاء جالية فرنسية كثيرة العدد يؤمن بها الحضور الاقتصادي و السياسي الثقافي الفرنسي الدائم بالجزائر ويعرقل بها أية حلول ثورية قد تلجأ إليها الدولة الفتية.

---

4 SAS المكتب ، قوى حماية المدنDPU، الفصائل افدارية الخاصة بالمدنSAU ، الفصائل الإدارية الخاصة ، الدراسات و الإتصال BEL الفصائل العملياتية للحماية .DOPمركز التنسيق بين الجيوشCCI، الخامس الفيلق 11é choc . مصلحة التوثيق الخارجي و الجوسسة المضادة.SDECE ، المكتب الثاني، مكتب الحادي عشر صدام الذي كان تحت رئاسة السفاح بول أوساريس

5 Tricot Bernard ; Les Sentiers de la paix, éd

6 Constantin Melnik ; Une stratégie revisitée, in Enquête sur l'histoire, l'oas et la guerre d'Algérie, printemps 1992, p :27.

غير أن ما لم يضعه في الحسبان هو أن تركب هذه الأقلية الأوربية طريق العنف وتراهن على منظمة الجيش السري، صامة لآذانها غير آبهة لنداءاته المتكررة و هذا ما يفشل أي استراتيجية ولو كانت أكثرها دقة و اتقانا [7] .

و الظاهر أن هذا السبب هو الذي حدى بالجنرال دوغول الى تشجيع قيام الحركة من أجل التعاون التي ترأسها" لوسيان بيترلان"

الذي حاول استمالة قسم من الشعب الجزائري، أو طبقة من الذين يصفهم بالمعتدلين خدمة لسياسة الجنرال دوغول، فلما استفحل نشاط منظمة الجيش السري استنجد ببعض رفاقه في " كومندو الظلام" * لمحاربتها وجر الجزائريين لمساندته. [8]

أما الأداة الأخرى التي طورها الجنرال فتعتمد استخدام بقايا من كانوا يحسبون على مصالي الحاج تحت تسمية جديدة هي " الفاد" : "الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي" لاغتيال الإطارات المخلصة داخل الثورة الجزائرية، تحت ستار تصفية الحسابات بين الجزائريين كما

---

7 Ib id ; p :28.

* تنظيم عسكري أنشأه الجنرال باري دو بولاردبير عام 1956 في أعالي بوقرة بالولاية الرابعة من الفيلق 117 مشاة الطيران يقوم على أساس مجموعات صغيرة مكتفية غذائيا و ذخيرة تقيم في مناطق تحرك جيش التحرير على مدى أسبوع أو أكثر في سرية تامة ثم تقوم بنصب الكمائن ، وقد أثر هذا التنظيم جديا على المجاهدين في المنطقة

8 Bitterelin Lucien ; Nous étions tous des terroristes , l'Histoire des Barbouzes contre l'OAS en Algérie, éd témoigniage chrétien, 1983.

استخدمها كوسيلة لاختراق منظمة الجيش السري و الوصول إلى رؤوسها الذين يشوشون على استراتيجيته.

وقد ظهرت الحركة المصالية في هذه المرحلة تحت تسمية جديدة هي الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي في حدود 20 جوان 1961 بـــباريس[9] بتحريك من "مصلحة التوثيق الخارجي و محاربة التجسس" و بإشراف مباشر من الوزير الأول ميشال دبري وبعلم من الجنرال دوغول.[10]

وقد أسندت مهمة تكوين هذه الحركة إلى نقيب في المصالح الخاصة بباريس أما تجنيد عناصرها فأسند إلى النقيب "جيرونيمي" المكلف بفرع المهاجرين الجزائريين في محافظة الشرطة بباريس بمساعده المساعد الأول "لافونصو".[11]

والى جانب العناصر المصالية المعادية لجبهة التحرير الوطني، استغل هؤلاء الضباط الظروف الاجتماعية الصعبة لبعض المهاجرين الجزائريين المقيمين بصفة غير قانونية على التراب الفرنسي فأجبروهم على الاختيار بين معتقل فانسان، ،أوأن يلتحقوا بالفاد فيتقاضون أجورا عالية ويحضون بالرعاية الكاملة.[12]

9 Ferrandi jean, 600 jours avec Salan et l'OAS, édition Fayard, paris, 1969, p : 223.

10 Courriere Yves ; La guerre d'Algérie : Les feux du désespoir , édition Fayard ,1971, p :435.

11 Lavanceau.

12 Courriere (y) ; op cit. , p : 431.

وقد عينت المصالح السرية على رأس التنظيم الجديد في باريس، المدعو عبد الرحمان بن سيد الأمين العام للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين،المقرب من مصالي الحاج و لمين بلهادي" الذي كان قاضيا في مدينة سيق ونائبا سابقا بالبرلمان الجزائري، الذي فر إلى فرنسا لأنه كان مطاردا من قبل الثورة التحريرية بفعل أعماله المشبوهة [13] وظل على صلة بمكتب ميشال دبري [14] ، كما عمل إلى جانبه المدعو " بلعربي"أحد أعوان بلونيس ،الذي قام باغتيال عدد غير معروف من أفراد جبهة التحرير هناك. [15]

ويورد جاك سيمون صاحب كتاب " مصالي الحاج 1898 - 1974 أن مصالي الحاج قد أقدم في 30 جوان 1961 على عزل ثمانية عناصر من أتباع الحركة الوطنية من أصل الأحد عشر عضو كانوا يشكلون المكتب السياسي للحركة الوطنية وفي مقدمتهم بلهادي لمين و بن سيد عبد الرحمان و العيد خفاش و خليفة بن عمار و بلفوان، بسبب الضغوط التي مارستها سلطات ميشال ديبري لتوظيف الحركة في استراتيجية الضغط على جبهة التحرير في فترة انقطاع المفاوضات بين جبهة

13 Jouhaud Edmond ; Ce que je n'ai pas dit , Sakiet, OAS, Evian , édition Fayard, 1977, p :252.
14 Meynier Gilbert ; L'histoire interieure du FLN
15 Courriere ; op cit ,p : 431.

التحرير و الطرف الفرنسي [16] اثر تعثرها في لقاء افيان الأولى منتصف شهر جوان 1961 بسبب ملف الصحراء الجزائرية [17]

والحقيقة أن تلك الصائفة كانت فترة المناورات الدوغولية الكبرى ضد الثورة الجزائرية ونقصد بذلك تلويحه بمشروع التقسيم وإيعازه إلى المستشار الإعلامي " آلان بيروفيت "بنشر سلسلة مقالات مزودة بالخرائط في جريدة " الموند" وضح فيها مخطط تجميع الأوربيين وعزل الصحراء الجزائرية.

ويبدو أن المصالح السرية لميشال دبري قد تمكنت من تجنيد الجماعة المنشقة عن الحركة الوطنية و شكلت منها الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي بعد أن رصدت لها ميزانية خاصة وجهزتها بالأسلحة.

وقد التحق المساعد الأول " لافونصو" بالجزائر شهر نوفمبر 1961 وشرع في تسليح وتمويل وتجنيد العناصر المصالية وخلاياها النائمة في بسكرة والجزائر حيث وجد حماسا كبيرا لدى خليفة خليفة من عائلة باشاغا طولقة ، الذي كان على اتصال دائم مع القاضي بلهادي في باريس. [18]

منتصر أوبترون ، ألفاد القوة الثالثة الى النهاية ، في الخبر الأسبوعي ، من19-25مارس2005 ، العدد 31616 ، ص:10.

[17] Redha Malek ; L'Algerie à Evian, Histoire des négociations secrétes 1956-1962, édition Dahlab, Alger, 1995, p :144.

[18] Jouhaud(E) ; op cit , p :252.

وقد قدر بعضهم عدد أفراد هذا التنظيم في بسكرة لوحدها بنحو أربعمائة عنصر يقودهم المدعو" علاوي" وفي مدينة الجزائر بحوالي ثمانين عنصرا يرأسهم خليفة خليفة. [19]

وقد تحدث الرائد عزا لدين عن عناصر مصالية كانت تنشط بمنطقة الشباشب قرب الرويبة تابعة لبلهادي و مجموعات أخرى كانت تنشط نواحي الحراش و بوزريعة و بوثائق مزورة تحمل أختام الولاية الرابعة [20] وكلاهما يغالط السكان و يغتال إطارات الثورة كقتلة مأجورين يدفع أجورهم المصالح السرية بواسطة "لافونصو" المتعامل المباشر والمكلفين بمالية الفاد : " آرنود" *و"مارسيه" * اللذان دفعا لمسؤول الفاد بالجزائر في21 أوت 1961 في أحد شرفات مقاهي الأبيار قرابة عشرة ملايين فرنك لكراء الفلات ودفع اجورمرتزقة الفاد. [21]

والحقيقة أن هذا التنظيم قد أحدث خسائر كثيرة في صفوف الثورة و إطاراتها في الجزائر و فرنسا بشهادة النقيب خير الدين و رفيقيه عليلات والسي جمال، نظرا لهيئة أفراده وزيهم غير النظامي الذي يختلط على الناس وبفعل الدعم الكبير و التواطؤ الذي يلقاه من قبل

---

19 Courriere(Y) ;op cit , p :431.

20Zerrari Rabah (Cdt Azzedine) ; Et Alger ne brûla pas, édition , ENAG, Alger, 1997,p p : 166-179.

* Agents : Arnaud* et Mercier شارك الضابط ارنود في ايقاف العقيد أرغود في ميونخ بالمانيا عام 1963 ثم اختفى نهائيا

21 Courriere ; op cit ; p : 432.

الأجهزة السرية الاستعمارية بمختلف مسمياتها [22] وحديث الصحافة الفرنسية عن تصفية الحسابات بين جبـهة التحرير و الحـركة المصالية . [23]

وهناك أحداث ميدانية تبين تورط الأجهزة السرية للجنرال دوغول في تغطية عناصر الفاد أورد منها كوريار حادثتين: أولاهما اغتيال فدائي في مفترق طرق الاغا ، ساحة موريطانيا، بداية شهر أوت 1961 على يد أحد عناصر الفاد ،غير أن الأوربيين أمسكوا به معتقدين أنه من جبهة التحرير وبعد محاولة قتله تدخلت الشرطة ونقلته إلى مقرها المركزي المجاور حيث اعترف الرجل بانتمائه إلى تنظيم الفاد السري، فقام المحافظ بنقله،تحت حراسة الشرطة، إلى مستشفى باب الواد العسكري حيث تلقى العلاج وقام المساعد الأول بنقله من هناك إلى احد فلات الفاد . [24] وفي حادث ثان وخلال عملية تفتيش ومراقبة اكتشف الدرك المتنقل مخزنا للأسلحة تابعا لنفس التنظيم داخل إحدى الفلات التي تؤجرها مجموعة منهم فما كان من "لافنصو" إلا أن تدخل لدى مسؤول القطاع العملياتي "الجزائر –ساحل " العقيد " دبروس" و اخبره بدور الفاد قائلا:" لقد جرى لعناصرنا مناوشات مع قواكم لهذا يجب أن نجد وسيلة للتعارف"فكان رد دبروس:" إنني على علم بعملكم لكنني لا

---

22 مقابلة مع النقيب خير الدين في مقر جمعية 11ديسمبر 1960،ديسمبر2000.

23 Dahlab Saad ; Pour l'indepandence de l'Algerie mission accomplie ;édition Dahlab, Alger, 1990, p : 139.

24 Courriere ; op cit , p : 432.

أستطيع أن أضع تعليمات بهذا الشأن، لتعمل عناصرك بطريقة يتفادون فيها فواتنا". [25]

وبلغ من المصالح السرية أن أعدت برنامجا للفاد يقوم على رفض استقلال الجزائر، مقابل قيام دولة يتقاسم فيها الجزائريون و الأوربيون المناصب القيادية كما وعدت بتقديم الجنسية المزدوجة للفرنسيين في الجزائر وللجزائريين في فرنسا مع حفاظ فرنسا على مصالحها الإستراتيجية في الجزائر، كما وعدت الفاد بإنشاء برلمان يتساوى فيه عدد الجزائريين مع عدد الفرنسيين [26].

وقد بلغت عمليات الفاد من الخطورة كقوة ثالثة، أن أنشأت في الجزائر لجان أوربية من عناصر مؤثرة لدعمها كما أنشأ "رافي"* الرأسمالي، صاحب مدير شركة " ا ب م، والمقرب من الجنرال جوهود ، [27] لجنة بوهران بتشجيع من المساعد الأول "لافونصو" ووزع هذا الرأسمالي منشورا في وهران جاء فيه :" إن الفاد ترغب في قيام جزائر غربية لكنها ذات استقلال ذاتي، كونوا واقعيين : كيف يجد زعماء الفاد الآذان الصاغية لدى إخوانهم المسلمين بقولهم أن الجزائر مقاطعة فرنسية ؟ افهموا واقبلوا أخيرا مبدأ وطن مشترك للأوربيين والمسلمين" وقد عرض على الأوربيين ضمانات الفاد مثل اقتسام المناصب القيادية و

---

25 Idem.
26 Jouhaud (E) ; op cit , p : 252.
*Raffi * IBM

27 – كان الجنرال جوهود مسؤولا عن منظمة الجيش السري في الغرب الجزائري .

اقتسام مناصب السلطة التشريعية مع امتلاك الأوربيين لحق الفيتو و اقتسام ثروات الصحراء بين الأوربيين و العرب" وذهب إلى حد الحديث عن وجود دعم لمشروعه من قبل الوزير الأول ميشال دبري، كما تمكن من عقد اجتماع في بيته بطلب من صناعيين كبار في وهران مقربين من جوهود أرادوا ملاقاة قادة الفاد فجرى اللقاء يوم 28أوت 1961 حضرته عناصر قيادية في تنظيم منظمة الجيش السري بإيعاز من الجنرال جوهود [28]، كما حضره خليفة خليفة و القاضي بلهادي على مدى ساعة كاملة شرحا فيه أهداف الفاد كما رسمتها المصالح السرية . [29] وقد أكد خليفة خليفة بأن الفاد تلقى الدعم من نحو خمسمائة ألف مناضل في الجزائر وأن كل إطارات الحركة الوطنية المصالية قد التحقت بالفاد وأن جميعهم يؤيدون قيام حكومة مرتبطة بشكل موسع مع فرنسا، واستعدادهم التام للعمل مع منظمة الجيش السري لأن "العدو واحد ومشترك في الجزائر كما في فرنسا إنها جبهة التحرير"، كما تحدث "لافونصو" عن دعم السلطات الرسمية لقيام نظام من القوى الثالثة [30].

والحقيقة أن هذه المبالغات و المناورات لاتخرج عن سياسة الجنرال دوغول الذي أراد استغلال فترة الفراغ الطويل نتيجة انسحاب وفد جبهة التحرير من المفاوضات للضغط على الثورة من جهة و محاولة جر

28 Jouhaud ; op cit , p : 253 a voir aussi Courriere ; op cit p p 434-432-433.
29 Courriere ; op cit , p p : 433-434.
30 Ferrandi Jean ; op cit, p : 228.

منظمة الجيش السري إلى سياسته أو الوصول إلى قادتها الذين أعاقوا استراتيجيته الجديدة بعدم فهمهم لها وهذا الأمر هو الذي جعل مستشاره برنارد تريكو يقول عن منظمة الجيش السري "أنها أسوء سوء تفاهم في تاريخ فرنسا."

ويبدو أن الحاضرين قد بلغوا الجنرال جوهود هذا العرض بحماس منقطع النظير برغم تردد هذا الأخير في قبول الحلول السحرية لكنه مع ذلك بلغ في رسالة له فحوى هذا اللقاء إلى رئيسه الجنرال سالان المختبأ في العاصمة ويبدو أن الرد كان سريعا وايجابيا حيث دعاه إلى الاستمرار في مسعاه.

و الواقع أن الجنرال سالان المتورط في انقلاب أفريل 1961 و المسؤول الأول عن عمليات منظمة الجيش السري قد بدأ يشعر بفشل استراتيجية منظمته الإرهابية وكان مستعدا للتحالف حتى مع الشيطان لوقف المفاوضات و إنقاذ الموقف المنهار الذي آل إليه وهو الذي ورط غالبية الأقدام السوداء بوعود وهمية وغامر بهم في طريق مسدود.

ورغم أن الرقم المشار إليه مبالغ فيه، لأن الحركة المصالية لم يعد لها وجودا حقيقيا إلا في التراب الفرنسي و بعض المناطق التي يحميها الجيش الفرنسي في الجزائر [31] إلا أنه كان يرغب في تحالف مصلحي يكون موجها إلى إضعاف جبهة التحرير وأن لا يتعدى ذلك إلى الجانب السياسي، كما أنه تحدث عن إصلاحات اقتصادية و اجتماعية

---

31 Jouhaud ; op cit , p : 253.

و سياسية لصالح الجزائريين و كأنه استلم السلطة في باريس حيث كتب يقول: " أعرف أننا نتخذ هنا موقفا قد تكون له انعكاسات وخيمة في المستقبل، لكني أضن أن تحالفا كهذا يستطيع تغيير الوضع بشكل حاسم وخاصة في المناطق الصعبة كالشرق الجزائري و المراكز الكبرى "[32].

وفي رسالة أخرى وجهها بتاريخ 31 مارس 1962 إلى أحد المصاليين جاء فيها: " إن تحالفنا سيفتح آفاقا دقيقة لمستقبل الجزائر حيث ستبرز كل الحساسيات الكبرى و تحتل المكان اللائق بها في المسؤوليات التي تستحقها " كما أعلن عن إنشاء " لجنة حكومية ودفاع وطني تحتل فيها الحركة المصالية مكانا بارزا" [33].

و بالموازاة مع مناورة الجنرال سالان في الجزائر، حاول النقيب سارجون ، مسؤول منظمة الجيش السري في فرنسا ، إقامة تحالف مع بقايا المصالية في فرنسا انتهى في اتصاله مع رؤسائها بجنيف إلى الموافقة على تزويدها بالمال و السلاح مقابل تنسيقها العمليات ضد عناصر جبهة التحرير الوطني [34]. لكن في مراسلته مع قيادة الجيش

---

32 Ibid ; p : 428.

33 Idem.

أنظر وثيقة الإتفاق في دحمان تواتي ، منظمة الجيش السري في الجزائر بين 1961 - 1962 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، قسم التاريخ ، 2001 ، ص:270.الملحق رقم 9. 34

السري في الجزائر بتاريخ 29 مارس1962 يعترف بأن غالبية مسيري الحركة الوطنية الجزائرية قد تخلوا عن مصالي الحاج .[35]

و يبدو أن تسرب خبر اجتماع وهران إلى وسائل الإعلام التي تحدثت عن لقاء رسمي بين عناصر من السلطة الدوغولية مع هيئة أركان منظمة الجيش السري بوهران قد أثار غضب الجنرال دوغول بفعل انكشاف سياسته، وهو الذي قرر العدول عن إقناع الأوربيين و تسريع المفاوضات، ويخشى أن تعرف قيادة الثورة التحريرية وقوفه وراء هذا التنظيم، مما قد يدفعها إلى وقف المفاوضات وتكرار انسحاب الجانب الجزائري منها لأن الفاد حركة مشكلة من بقايا المصالية .

لهذه الأسباب أمر بحل الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي باعتبارها قد أكملت مهامها وانقسم عناصرها بين منظمة الجيش السري والتحقت البقية بجيش التحرير على أساس أنهم قد تمردوا من صفوف العدو، كما صرح بذلك خليفة نفسه لما علم بقرار حل تنظيمهم من قبل الجنرال دوغول و بوقف تمويل الفاد من قبل ضابط الإتصال في جهاز المخابرات.

أما المساعد الأول "لافونصو" فقد استمر في تتبع خيط الجنرال سالان عبر تنظيم جديد تابع لجهاز المخابرات عرف باسم " مصلحة المساعدة التقنية للمسلمين الفرنسيين بالجزائر *وبواسطته أصبح يوزع الوثائق المزورة لعناصر منظمة الجيش السري وقد أكسبه هذا العمل ثقة عمياء

---

35 نفس المصدر.

لدى ضباط منظمة الجيش السري بفرنسا والجزائر واصبح وسيطا بين أشارد وزوجته.

وبالرغم من الحل الفعلي للفاد فان منظمة الجيش السري ظلت تجهل ذلك و تطمح إلى ضمها وعناصرها إلى صفوفها ووعد المساعد الأول بفعل ذلك وهو الأمر الذي وثق صلته بجاك أشارد في الجزائر، ومكنه من تلقي رسائل من الجنرال سالان يعد فيها القاضي بلهادي" باحترام الدين الإسلامي و احترام توجه الفاد الإيديولوجي متى انتصرت الجزائر فرنسية " [36].

بهذه الطريقة تمكن المساعد الأول "لافونصو" من الوصول إلى مقر رئيس منظمة الجيش السري، الجنرال سالان، في 20أفريل 1962 بحي الثغريين وتم وضع حد لجرائمه بأن تدخل الدرك المتنقل ونقل من هناك بمروحية إلى الرغاية ومنها رحل إلى السجن العسكري في فرنسا [37].

لقد أجمع الدارسون أن الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي لا تحمل من الجزائرية إلا الاسم لأنها جهاز من الخونة المرتزقة صنعه جهاز الاستخبارات الذي يشرف عليه ميشال دبري بالتنسيق التام مع الجنرال دوغول .

وهذه الإجراءات هي واحدة من الوسائل و التجارب التي لجأ إليها الجيش الفرنسي في تطبيقه لمخطط الحرب المضادة طوال تاريخ الثورة

---

36 Courriere ; op cit , p p :617-618.
37 Comment la police à piégé Salan , in Enquete sur l'Histoire , 2éme trimestre 1992, p : 50.

التحريرية لنخر الثورة التحريرية من الداخل وإلهائها بالملفات الجانبية و التناحرات الداخلية.

وتكمن خطورة هذا التنظيم كونه أحدث في فترة دقيقة من عمر الثورة التحريرية تميز بتزامن العمل المسلح مع صراع المفاوضات ورغبة الجنرال دوغول إيجاد جزائر جزائرية بالمفهوم الدوغولي ، كما تزامن وجود الفاد مع وقوع انشقاق في صفوف المحتل ببروز تنظيم الجيش السري الذي اخلط أوراق الجنرال دوغول وجعلها في مهب الريح .لهذا السبب جاء إنشاء الفاد كضرورة للجنرال لزحزحة الواقع الميداني الذي كان في غير صالح سياسته .

والحقيقة أن تاريخ الفاد ليس الحلقة الأخيرة في تاريخ الخيانة اذ سرعان ما حاولت منظمة الجيش السري بعد تاريخ وقف اطلاق النار بعد اقتناعها بفشل استراتيجيتها أن حاولت ايجاد جيب انفصالي بين تنس و وهران معتمدة على العقيد العجوز غارد وبتسهيلات كبيرة من الباشاغا بوعلام رئيس قبيلة بودوادن في الشلف* و اللفيف الأجنبي في سيدي بلعباس [38] . غير أن هذه المناورة احبطت من قبل جيش التحرير في المنطقة وقتل الرائد بازان في بني بودوادن في 9 أفريل 1962

---

* ألف الباشاغا بوعلام الرئيس الشرفي " لجبهة الجزائر فرنسية" كتابا عام 1962 يصف فيه خيانته للوطن و ولاءه للاستعمار الفرنسي جعل عنوانه : " وطني فرنسا " بغلاف ملون بالعلم الفرنسي.

38 Israel Gerard ; Le de jour de l'Algerie francaise .1ér juillet 1962 , Robert Laffont ; Ce jour là, éd Laffont , Paris , 1972, p p :130-140.

و أسر البقية وتم تبادلهم في اطار اللجنة المختلطة لمراقبة وقف اطلاق النار المنبثقة عن اتفاقيات افيان [39] .

ان جرائم الفاد هي جرائم الجنرال دوغول في الجزائر الذي كان وراء مجازر الثامن من ماي 1945 و وراء التفجيرات النووية السطحية في رقان و الباطنية في تامنراست وهو الذي يقف وراء حقول الألغام التي زرعت في شرق الجزائر و غربها .

وبقراءة بسيطة لطبيعة هذه الجرائم نكتشف انها جرائم مستديمة لم تتوقف آثارها بنهاية الإحتلال العسكري الفرنسي و اذا ما أضيف اليها جرائم التنظيمات المناوئة للثورة نكتشف أن هذا الإستعمار قد فصل الى الأبد جزءا من الشعب الجزائري و ورطه في عمليات خيانية للدين و الوطن و الشعب و التاريخن، وذات المستعمر يعتبر هؤلاء الخونة من قدماء المحاربين في حين أنه تعامل بشدة و صرامة مع الفرنسيين الذين خانوا وطنهم و شعبهم خلال الحرب العالمية الثانية

39، الجزء الأول ، التقرير السياسي 1959 -1962 ، ص : 239. تقرير الملتقى الجهوي المقدم الى الملتقى الوطني لتسجيل وقائع الثورة التحريرية للولاية الرابعة

ملحق بالبحث

وثيقة توضح العلاقة بين منظمة الجيش السري و الحركة الوطنية الجزائرية في فرنسا.

الموضوع : تقرير" مهمة سويسري " في 29 مارس 1962.

المصدر: رونار

بشأن اللقاء الذي كان في جنيف مع "م" و أحد معاونيه يبدو أنه خلص إلى:

أولا : إن غالبية مسيري الحركة الوطنية الجزائرية تخلوا عن مصالي الحاج ويرغبون مواصلة الكفاح المسلح ضد جبهة التحرير الوطني.

ثانيا : "م" يعتبر نفسه الممثل الأكثر تمثيلا لهذه الحساسية .

ثالثا : الاتصالات تكون قد تمت منذ وقت قريب في الجزائر بين العقيد غودار و أصدقاء "م".

لهذا فان "م" توسل إلي كي أنقل عاجلا إلى العقيد غودار الملاحضات التالية:

أ) ثلاثة ضباط قد عينوا لتأطير عناصر الحركة الوطنية الجزائرية الملتحقين بنا، و هؤلاء الضباط لا يتفاهمون بينهم ، وعدم التفاهم هذا يولد الغموض.

ب) "م" يزعم أن العناصر الملتحقة بهم أو ستلتحق يمكن أن تمثل 20000 مقاتل في الجزائر و يطالب تزويدهم بالسلاح.

رابعا : فيما يخص التراب الفرنسي فان "م" يزعم أنه قادر على استرجاع نحو 2000 مناضل من بينهم مئات الدائمين غير المنضمين حاليا. تأثير الحركة الوطنية الجزائرية حساس وبشكل خاص في النواحي الحدودية للشمال و الشرق وفي ناحية باريس.

ولما كان "م" لا يملك الوسائل المالية يطالب بمساعدتنا لهم ويطلب :

أ) 30000 فرنك جديد فورا من أجل إعـــادة الاتصال بـــين عناصره (تكاليف التنقل لمختلف العناصر و أجور بعض الدائمين).

ب) هذه المرحلة تصل تكاليفها 100000 فرنك جديد شهريا لإعادة الحركة إلى المجموعات.

ج) وبشأن الأسلحة فانه يملك ولكن لا يعرف إن كانت كافية الآن للاستعمال "م" و أنا نقترح عليكم الصيغة التالية:

1) استقلال شبكات الحركة الوطنية الجزائرية عن شبكاتنا.

2) المهمة الأساسية للحركة الوطنية الجزائرية: الكفاح المسلح و النفسي ضد جبهة التحرير الوطني ابتداء من ناحية باريس.

3) وفي حالات استثنائية ضرورية ممكنة يمكن تنسيق عمليات مسلحة بين الحركة الوطنية الجزائرية و مَنظمة الجيش السري في الميدان.

4) الاتصال في باريس في أول مرحلة عن طريق "جورج " صديق " د"

وعلى المستوى السياسي ليس هناك شروط من المتوقع معالجة القضية في الجزائر.

5) رأيي الخاص: أوافق على تنفيذ الخطة بحيث أن تكاليف العملية قليلة مقارنة بالأهمية التي تمثلها ونحن قادرون على قطع المساعدة المالية في حالة غياب أو عدم كفاية النتائج.

باريس في6 أفريل 1962.

مصدر الوثيقة:

Sergent Pierre ; La Bataille, ma peau au bout de mes idées, éd Table ronde, T1, n : 14, pp : 343 -344. Paris, 1968, document

تحولات الحركة المصالية وتفسيرها

د.رابح لونيسي
قسم التاريخ- جامعة وهران-

تمهيد

لا يمكن لأي مؤرخ موضوعي، أن ينفي أن مصالي الحاج يعد من الأوائل الذين طالبوا بإسترجاع الجزائر إستقلالها التام، وذلك بعد مساهمته في تأسيس نجم شمال أفريقيا عام 1926، الذي عوضه بحزب الشعب الجزائري عام1937، قبل أن يستبدل تسميته ب"الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية" عام1946، وقد كان مصالي هو الزعيم بدون منازع لهذا الإتجاه الإستقلالي، وعانى الويلات والسجون بسبب نضاله من أجل استرجاع الجزائر استقلالها، وفي عام1953 دخل مصالي في صراع مع مركزيي الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية، وكاد أن يذهب هذا الصراع بإنجازات ومكتسبات الإتجاه الإستقلالي سدى، وقد كان هذا الصراع أحد الأسباب الرئيسية التي عجلت بإندلاع الثورة المسلحة على يد جبهة التحرير الوطني في أول نوفمبر1954، وهو تنظيم جديد أسس على يد مناضلين أغلبيتهم ينحدرون من المنظمة الخاصة، وهي منظمة شبه عسكرية أنشأها مصالي ذاته عام1947، وهدفها التحضير للعمل المسلح من أجل إسترجاع الجزائر استقلالها .

لكن وقع مصالي في صدام مع هؤلاء المناضلين الشباب، الذين لا ينكرون أنهم من نتاج نضالات مصالي الحاج، وقد أسس مصالي في ديسمبر من عام1954 تنظيما أسماه الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك بعد حل السلطات الإستعمارية لتنظيمه الحركة من أجل الإنتصار

للحريات الديمقراطية، بعد ما كان هذا التنظيم الأخير محل شكوك السلطات الإستعمارية، واعتقدت أنه وراء العمل المسلح الذي اندلع في أول نوفمبر من عام1954، ويعتبر مصالي هذا التنظيم الجديد- أي الحركة الوطنية الجزائرية- إستمرارية للتنظيمات الإستقلالية، التي كان يتزعمها في السابق، وذلك بعد أن طهرها ممن يعتبرهم متواطئين مع الإستعمار الجديد، ويعرقلون العمل الثوري المسلح، ويتمثل هؤلاء في أغلب المركزيين[1] .

لكن من مفارقات التاريخ، أن اعتبرت جبهة التحرير الوطني، أن هذا التنظيم المصالي الجديد، قد انزلق إلى التواطؤ مع السلطات الإستعمارية، والتي اصبحت تستخدمه لتحطيم الثورة المسلحة، ووصفت هذه الحركة التي تطلق عليها تسمية الحركة المصالية أو المصاليون بأنهم "خونة"، وقد ترسخت هذه الفكرة في أذهان الكثير من الجزائريين أثناء الثورة ، وزادت ترسيخا بعد استرجاع الجزائر استقلالها عام1962.

والتساؤل المطروح اليوم أمام المؤرخ الموضوعي، هو هل فعلا انزلقت هذه الحركة المصالية من الدعوة إلى إسترجاع الإستقلال إلى الخيانة لطموحات الشعب الجزائري؟، أم أن هذا الكلام هو مجرد دعاية من جبهة التحرير الوطني، وأنها قد شوهت تاريخ هذه الحركة، خاصة إذا علمنا أن التاريخ عادة مايكتبه المنتصرون، فيشوهون خصومهم .

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه الدراسة، وذلك بتتبع المراحل التي مرت بها هذه الحركة، مع تفسير مختلف تحولاتها بالتطرق إلى العوامل التي كانت تتحكم فيها، ولا نتوقف عند هذه النقطة فقط في حالة تثبتنا من هذا الإنزلاق فعلا، بل نحاول فهم وتفسير الأسباب العميقة لذلك، كي تصبح درسا لكل تنظيم سياسي أو زعيم، يعمل من أجل تجنب الوقوع فيما يسمى في تاريخ الحركات السياسية بالإنحراف عن المباديء والأهداف الإستراتيجية .

لكن قبل تناولنا هذا كله، علينا أولا ان نتطرق إلى العديد من الملاحظات المنهجية، التي يجب أن يأخذها الباحث بعين الإعتبارعند أي مقاربة تاريخية لهذا الموضوع الشائك في تاريخ الثورة الجزائرية .

1- ملاحظات منهجية

عادة ما يصف البعض الحركة المصالية بالحركة المناوئة للثورة، لكن في حقيقة الأمر هذا غير صحيح علميا، لأن الحركة كانت تعتبر نفسها، بأنها هي التي كانت وراء الثورة، فبالرغم من زيف هذا القول كما سنبين فيما بعد، إلا أنه علينا أن ندرك أن مصالي الحاج وأتباعه، كانوا من دعاة العمل الثوري المسلح، بل أسس مؤتمر هورنو ببلجيكا في جويلية1954، المجلس الوطني للثورة، وهي هيئة تابعة للحزب، مهمتها خلق الظروف المادية والمعنوية لإشعال فتيل الثورة المسلحة في أول جانفي1955[2]، فبناء على مسار الحركة بصفتها

إستمرارية للتيار الإستقلالي، فإنه من المغالطة القول أنها معادية للعمل الثوري، ولكي ندقق أكثر، فبإمكاننا القول أنهم يعادون أي ثورة إن لم تكن على يد مصالي وأتباعه، الذين بقوا أوفياء له بعد الأزمة التي عرفتها الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية منذ عام1953، ولهذا فإنه من الأصح القول: أن الحركة المصالية كانت مناوئة لجبهة التحرير الوطني، وأن الكثير من أعمالها كانت معرقلة لإستراتيجية جبهة التحرير الوطني.

ولهذا يجب علينا تناول هذا الموضوع في هذا الإطار، فالحركة لم تكن معادية للعمل الثوري، بل كانت معادية لجبهة التحريرالوطني، هذا ليس معناه أن هذه المناوئة لم تؤثر سلبا على الثورة المسلحة، بل دفعت في الكثير من الأحيان بالحركة المصالية إلى إنزلاقات خطيرة، أضرت بالعمل الثوري حسب إستراتيجية جبهة التحرير الوطني .

ومن المفارقات أيضا، أن ليست جبهة التحرير الوطني فقط، هي التي كانت تصف الحركة المصالية بالخيانة للثورة، بل نجد نفس التهمة موجهة للجبهة في وثائق وأدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، هذا ما يدفعنا إلى الملاحظة المنهجية الثانية، والخاصة بوثائق الطرفين المملوءة بالتهم المتبادلة، وتحميل كل طرف للآخر مسؤولية تحطيم العمل الثوري المسلح، ومن المفروض أن يتعامل المؤرخ الموضوعي بحذر شديد مع وثائق وأدبيات الطرفين، ولايستند على وثائق طرف دون آخر .

أما المشكلة المنهجية الأخرى التي يعاني منها الباحث، فهو قلة الأبحاث العلمية الموضوعية حول الحركة المصالية، التي أصبحت من الحركات المسكوت عنها من طرف المؤرخين، خاصة الجزائريين منهم، ويعود ذلك إلى الصدى الذي أخذته جبهة التحرير الوطني، مقارنة بالحركة المصالية التي كانت حتى هي تتبنى الثورة في عمومها، لكن بمحاولة نسبتها إليها، بالإضافة إلى خوف المؤرخ الجزائري من إثارة القضايا الشائكة في تاريخ الجزائر، خاصة إذا كانت تحمل طابع الصراع والتقاتل بين جزائريين، وذلك بسبب تأثر الجزائري عامة والمؤرخ خاصة بفكرة مفادها أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، وهذا الأمر ينطبق على الكثير من القضايا الصراعية التي عرفتها جبهة التحرير الوطني ذاتها .

أما الذين كتبوا عن الحركة المصالية فهم أوروبيون في أغلبيتهم، لكنهم قلائل، ومنهم جاك سيمونJaque Simon، إلا أن كتاباته قد فقدت كل موضوعية، وذلك بحكم تحيزه المطلق للحركة المصالية على حساب جبهة التحرير الوطني، ووصل تحيزه ولاموضوعيته العلمية إلى درجة أنه ينسب أغلب أحداث الثورة التي كان وراءها جبهة التحرير الوطني إلى تنظيم آخر هو الحركة الوطنية الجزائرية، ويدعي أن الحركة المصالية كانت قوية الإنتشار، لولا خيانة الأنظمة العربية لها، لأنها تهدد مصالحها البرجوازية- حسب زعمه- ، ويضيف إلى خيانة هذه الأنظمة الإعلام البرجوازي الفرنسي، الذي كان يسكت عن أعمال

الحركة المصالية أثناء الثورة وتضحيات مناضليها في الأرياف والمدن والبوادي وفي السجون الإستعمارية، مقابل تضخيم هذا الإعلام لأعمال جبهة التحرير الوطني، لأنها تنظيم برجوازي وديني في نفس الوقت، وعلى إستعداد لخدمة مصالح الرأسمالية العالمية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية- في نظره- ، ويجعل سيمون من التنظيم المصالي تنظيما تروتسكيا بأتم معنى الكلمة، وأنه يعمل من أجل إنتصار الثورة التروتسكية في العالم، ووصل إلى درجة تصوير مصالي كأنه شيوعيا تروتسكيا استطاع أن يحول الكثير من مناضلي الإتجاه الإستقلالي إلى تروتسكيين مقتنعين[3]

ونجد نفس الإتجاه لدى بنجامين ستورا، لكن بشكل ذكي، فيعطي لطروحاته صبغة علمية[4]، أما محمد حربي، فرغم إنتمائه لجبهة التحرير الوطني أثناء الثورة، إلا أنه حاول إعادة الإعتبار للحركة المصالية بشكل علمي، معتبرا أن كلا من التنظيمين، أي جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية متشابهين في العديد من الأمور، خاصة المجال الأيديولوجي، ويلخص الصراع فيما بينهما حول من يسيطر على الثورة[5] وهو محق نوعا ما فيما يقول، بل يجب على المؤرخ أن يقرأ الحركة المصالية ومناوءتها لجبهة التحرير الوطني في هذا الإطار .

أما الدكتور رابح بلعيد الذي وضع نفسه في موقع الدفاع عن الحركة المصالية في العديد من الملتقيات والكتابات الصحفية، وحاول

أن يعطي مصداقية لطروحاته بالقول أنه يستند على وثائق كانت بحوزته عندما يشتغل كمدير مكتب فرحات عباس في القاهرة، وقد حول الصراع بين جبهة التحرير الوطني والحركة المصالية إلى صراع أيديولوجي بين جبهة التحريراللائكية التي يغلب عليها الطابع الماركسي، وحركة مصالية عروبية وإسلامية[6]، ويبدو أن هذه القراءة بعيدة كل البعد عن الواقع التاريخي، وهي قراءة تتحكم فيها – حسب ما يبدو– الصراع الأيديولوجي الذي عرفته الجزائر في التسعينيات من القرن العشرين .

ونلاحظ أن كل هؤلاء الباحثين ذوو توجه أيديولوجي تروتسكي بإستثناء رابح بلعيد، بل جاك سيمون ينتمي إلى المنظمة الشيوعية الدولية التي يتزعمها بيير لمبيرPierre Lambert، وهو التنظيم الرئيسي الذي وقف إلى جانب الحركة الوطنية الجزائرية إلى جانب تنظيمات أخرى صغيرة مثل "الأمة الإشتراكية" لأوغست لوكور، و"دائرة زيمروالد"، و" المدرسة المحررة"، وغيرها من المجموعات التروتسكية[7]، التي كان لها فعلا تأثير كبير على مصالي كما سنرى فيما بعد .

ونستثني من ضمن هؤلاء المؤرخين كلهم الذين كتبوا عن الحركة المصالية، المؤرخ جاك فاليتJacque Valette، الذي حاول الإقتراب من تاريخ هذه الحركة بنوع من الموضوعية والإتزان[8] .

أما الملاحظة المنهجية الأخيرة، فتتمثل في تحديد ما يقصد بالحركة المصالية بدقة، ويجب على المؤرخ الحذر من الوقوع في دعاية

جبهة التحرير الوطني، التي كانت تلصق صفة المصالية بكل الأشخاص والحركات، التي كانت تتعامل مع السلطات الإستعمارية، بشكل أو بآخر، دون الأخذ بعين الإعتبار مواقف القيادة المصالية مثلا من محمد بلونيس أو موقف مصالي من الجبهة الجزائرية للحركة الديمقراطية، بل وصلت جبهة التحرير الوطني إلى درجة إعتبار جيش كوبيس، أي بلحاج الجيلالي مصاليا، بالرغم من أنه كان عميلا للمخابرات الإستعمارية قبل إندلاع الثورة المسلحة ذاتها، بل تعامل مع مفجري الثورة المسلحة، من ناحية صنع المتفجرات لهم في العاصمة، ويبدو أنه كان وراء فشل انطلاقة العمل الثوري في العاصمة ونواحي متيجة[9]، لولا الإستننجاد بمجاهدين من منطقة القبائل عشية إندلاع الثورة المسلحة، فلابد على المؤرخ أن ينظر إلى الحركة المصالية، ليس بإعتبارها تنظيما متماسكا في كل النواحي، ولايجب الوقوع في خطأ فادح، وهو تحميل كل الخيانات المفضوحة إلى الحركة، وبالضبط مصالي الحاج نفسه .

و بعد هذه الملاحظات المنهجية كلها، سنحاول الآن التطرق إلى مختلف التحولات التي عرفتها الحركة المصالية أثناء مسارها المتعلق بفترة الثورة المسلحة.

2- مختلف تحولاتها وتفسيرها

يمكن لنا إن نحدد خمس محطات أساسية في مسار الحركة المصالية الممثلة سياسيا في الحركة الوطنية الجزائرية، ونقابيا في إتحاد النقابات للعمال الجزائريين، وعلى المستوى العسكري في الجيش الوطني للشعب الجزائري .

أ- محاولة تبني الثورة المسلحة

إن إندلاع الثورة المسلحة على يد جبهة التحرير الوطني في أول نوفمبر 1954، كان في الحقيقة مفاجئا لمصالي الحاج وأتباعه، الذين كانوا بدورهم يحضرون للعمل الثوري المسلح، الذي من المفروض أن ينطلق في أول جانفي1955، لكن أمام هذا الوضع أعطيت أوامر للمصاليين بركوب العمل الثوري قبل إتمام التحضيرات، وذلك لعدة أسباب، ومنها كي لا يقعون في أيدي السلطات الإستعمارية، لأن هذه السلطات كانت تعتبرهم أنهم وراء الأعمال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كي يركبوا قطار الثورة، ثم يوجهونه، ولهذا تبنى مصالي الحاج هذا العمل الثوري منذ 8 نوفمبر1954، وكانت تفسيرات المصاليين لعمليات ليلة أول نوفمبر1954، هو أن المركزيين هم الذين كانوا وراء تلك العمليات التي تمت في تلك الليلة، وقد خططوا لها لليلة واحدة، وأن الهدف منها هو إجهاض العمل الثوري الذي كان يستعد له المصاليون، ودفع السلطات الإستعمارية إلى إلقاء القبض على هؤلاء المصاليين،

ولهذا السبب أعطيت الأوامر للمصاليين بالشروع في العمل المسلح قبل إستيفاء كامل الإستعدادات[10]، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، ولهذه الأسباب كلها فإن المصاليون يعتبرون الثورة من صنعهم، وعملوا على إقناع الشعب الجزائري بذلك، ويتهمون المركزيين واللجنة الثورية للوحدة والعمل بعرقلة الثورة، ونشير إلى أن المصاليين لا يميزون بين الطرفين أي المركزيين واللجنة الثورية للوحدة والعمل، فهم وجهين لعملة واحدة[11].

أن محاولات مصالي تبني العمل الثوري المسلح الذي اندلع في أول نوفمبر1954، قد لعب دورا إيجابيا في تسريع إلتحاق العديد من المناضلين بهذا العمل، دون أي تمييز بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية، ويعود هذا الإلتحاق القوي بالثورة إلى الثقة التي كان يحظى بها مصالي في صفوفهم، مقارنة بالمركزيين، أما مؤسسو جبهة التحرير الوطني الذين كانوا بالفعل وراء إندلاع هذا العمل الثوري المسلح، فهم غير معروفين بشكل كبير لدى الشعب ولا لدى المناضلين في الحركة الإستقلالية.

لكن بعد شهور تبين للمصاليين أن قراءتهم خاطئة، وأن هناك فعلا جبهة وجيش التحرير الوطنيين يقومان بالعمل الثوري، إلا أنهم واصلوا في نشر تلك القراءة الخاطئة، والمتمثلة في أن المركزيين وراء أعمال أول نوفمبر، كما اكتشف الجبهويون فعلا وجود قوات مصالية في الجبال وفي المدن، وبخاصة في العاصمة ومنطقة القبائل والجنوب

الجزائري، فبدأت منذئذ محاولة كل طرف جلب الآخر إليه لإضعاف الطرف الآخر والإستفادة منه في الوقت نفسه، ويدخل في هذا الإطار تقرب المصاليين من كريم بلقاسم[12] فحاولوا مغالطة الرأي العام من أنه مصاليا، وذلك بنشر رسالته في صحيفة "صوت الشعب الجزائري"[13]، لكن لم يكن هدف كريم- حسب ما يبدو لنا- من هذه العملية إلا مقايضة هذه الرسالة بدعم مالي ولوجيستيكي من المصاليين، وكم كان كريم بحاجة إلى ذلك الدعم، خاصة إذا علمنا أن المصاليين في البداية أقوى ماليا ولوجستكيا بفعل النفوذ الذي يحظون به في صفوف المهاجرين في فرنسا، الذين يشكلون العصب المالي للحركة الإستقلالية قبل الثورة وأثناءها .

ونجد نفس المحاولة مع مصطفى بن بولعيد في الأوراس، بل نجد المصاليون يوعزون صمود المنطقة إلى قوتهم وضعف قوة المركزيين في المنطقة، وذهبوا أبعد من ذلك عند إتهامهم الجبهويين بإغتيال بن بولعيد لأنه كان مصاليا[14]، وأنهم كانوا وراء تهريبه من السجن عام1956، وأنه قد صرح أمام المحكمة عند محاكمته أنه مصاليا[15] .

ونعتقد أن كل هذه المحاولات المصالية، تستهدف إعطاء شرعية العمل المسلح لحركتهم على المستويين الوطني والدولي، في الوقت الذي اعتبرتها جبهة التحرير الوطني، أنها محاولات لزرع البلبلة في صفوف الثورة المسلحة، وأن هذا العمل هو خيانة لطموحات الشعب الجزائري بإضعاف ثورته المسلحة[16] .

أما جبهة التحرير الوطني فقد طلبت بقيادة عبان رمضان من أعضاء الحركة المصالية الإلتحاق بها فرديا وحل تنظيمهم، أي مثلما فعلوا مع كل التنظيمات الأخرى، وإلا فسيعلنون الحرب عليها، وذلك طبقا لإستراتيجية جبهة التحرير الوطني، التي يجب أن تكون هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، لكن رفض المصاليون ذلك، فوقعت المواجهة العسكرية بين الطرفين، خاصة في كل من العاصمة ومنطقة القبائل، وانتهت بلجوء الحركة المصالية إلى الصحراء في الجنوب بقيادة محمد بلونيس قائد القوات العسكرية المصالية، وازدادت هذه القوات ضعفا بعد إلتحاق قوات سي الحواس وعمر إدريس وشريف زيان بجبهة وجيش التحرير الوطنيين بالجنوب الجزائري .

ونشير أن هناك محاولة في صيف من عام1956، قادتها عناصر من الجبهة تجاه الحركة المصالية، وذلك بواسطة موفد مصري، أين تم الإقتراح على المصاليين التوحيد بين القوتين وخلق مجلس وطني للثورة، يكون فيه لكل طرف صوت واحد بداخله، ثم يتم إعلام العلماء وجماعة فرحات عباس بما تم الإتفاق عليه، لكن باءت هذه المحاولة بالفشل بعد رفض المصاليين لها، الذين قرأوها كمحاولة لضم حركتهم إلى الجبهة بطريقة ذكية، لكنها ستبقى أقلية أمام أصوات كل من الجبهة والعلماء وجماعة فرحات عباس فيما بعد[17] .

ويبدو لنا أن هذه المقترحات هي مناورة من جماعة بن بللة والمصريين لمواجهة جماعة عبان في الداخل، بعد ما لاحظوا فقدان نفوذهم أمام هذه الأخيرة، فأرادوا الإستعانة بجماعة المصاليين .

لكن ما يهمنا في هذا كله هو التراجع الكبير للمصاليين في الجزائر أمام ضربات جبهة وجيش التحرير الوطنيين بقيادة عبان رمضان، مما دفع المصاليين إلى تركيز جهودهم على المهاجرين في فرنسا بداية من عام1956 .

ب- التراجع المصالي في الجزائر والتركيز على المهاجرين في فرنسا

نعتقد أن التأثير التاريخي على قراءات وتحليلات مصالي للأحداث، كان له تأثير سلبي على العديد من قراراته وتصرفاته السياسية، وأن رفضه لمقترحات عبان رمضان من قبل، ثم مقترح جماعة القاهرة فيما بعد، يختفي وراءها عاملين- في نظرنا- ، أولهما رفضه الدائم لأي تحالف مع العلماء وجماعة فرحات عباس والشيوعيين بإعتبارهم لم يؤمنوا بإستقلال الجزائر في نظره، وكأن الإنسان جامد ولاتتغير مواقفه، وهذا الرفض يشبه رفضه للمؤتمر الوطني الجزائري في بداية الخمسينيات، والذي كان أحد أسباب الخلاف بينه وبين المركزيين .

أما العامل الثاني فهو إعتقاده الدائم أن العنصر الحاسم في الصراع بين مختلف القوى الجزائرية في الداخل، يحدده المهاجرون في

الخارج، فمن يسيطر عليهم سيسيطر على الجزائر، فهو مقتنع كل الإقتناع أنه مادام المهاجرون في فرنسا تحت نفوذ المصاليين، فإن الأمر سيؤول حتما إليهم في الجزائر فيما بعد، مثلما حدث عام1936 مع نجم شمال أفريقيا، وكذلك عند إندلاع الثورة وإنتقال العديد من المصاليين من المهجر إلى الجزائر، ولهذا بدأ الحديث في صفوف المصاليين عن التحضير لما أسموه بالحملة الثالثة على الجزائر[18] لكن قبل هذا كله، لابد من الحفاظ على ولاء المهاجرين للحركة المصالية، وذلك بواسطة النشاطات النقابية، فتم تأسيس إتحاد النقابات للعمال الجزائريين بقيادة أبرز القيادات المصالية تجربة وحنكة، وهو عبدالله فيلالي أحد قدماء الحركة الإستقلالية .

لكن يبدو أن جبهة التحرير الوطني قد أدركت مدى أهمية المهاجرين فعلا، ليس فقط في صراعهم مع المصاليين، بل أيضا في العمل الثوري المسلح، وذلك بحكم أن المهاجرين يشكلون العصب المالي لأي حركة أو عمل ثوري كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

ولهذا شرعت جبهة التحرير الوطني بعمل دؤوب في صفوف المهاجرين لمواجهة ما تسميه بالغموض الذي زرعه المصاليون في صفوفهم، وشرح مواقفها وإقناعهم أنها وراء العمل الثوري المسلح، كما أن التصفيات بين الطرفين قد لعبت دورا حاسما في ترجيح الكفة لصالح الجبهويين في فرنسا، وذلك بفعل تصفية أبرز قيادات إتحاد النقابات للعمال الجزائريين، وعلى رأسهم عبد الله فيلالي وأحمد

بخات وأحمد سماش وغيرهم، وقد كان ذلك ضربة قاصمة للمصاليين في فرنسا، بالإضافة إلى نجاح الجبهويين في ضم الطلبة إليهم، في الوقت الذي تجاهل فيه المصاليون هذه الشريحة المهمة بفعل شعبوية التنظيم المصالي وإحتقاره للطبقات المثقفة، وإعتبارها برجوازية بحكم التأثيرات التروتسكية عليهم- حسب ما يبدو- .

ولا نمر على مختلف التصفيات التي عرفها المهجر بين الجبهويين والمصاليين، دون الإشارة إلى إتهام كل طرف للآخر بأنه السباق إلى هذه التصفيات التي خدمت السلطات الإستعمارية، ويعترف الجبهويون بأنهم قاموا بتصفية القيادات المصالية، لكن ذلك كان بدافع الدفاع عن النفس أمام الهجمات المصالية اليومية على الجبهويين بأمر من قياداتها، وعلى رأسها عبد الله فيلالي وأحمد بخات[19]

أن هذه العوامل كلها أدت إلى تراجع الحركة المصالية في المهجر وفي الجزائر، بإستثناء بقاء جيوب لجيش محمد بن لونيس في الجنوب، والذي اندفع إلى التعاون مع السلطات الإستعمارية للقضاء على جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وذلك بعد ما اقنعته هذه السلطات، أن الجبهة كانت وراء مجزرة ملوزة يوم28 ماي من عام 1957، ويعتبر هذا التعاون ضربة قاصمة للحركة المصالية، فكيف ذلك ؟

ج- قضية تعاون بن لونيس مع الجيش الإستعماري

يشوب قضية بن لونيس الغموض بفعل التضارب في قراءة مواقفه، ففي الوقت الذي تقول فيه جبهة التحرير الوطني، أنه قام بعمل خياني بفعل تعاونه مع الجيش الفرنسي في القضاء على جيش التحرير الوطني[20] فأن مصالي لم يدن عمله تماما، واعتبره تصرفا تكتيكيا، وذلك بالرغم من إدانة المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية لعمله، لأنه"وضع نفسه في خدمة العدو الإستعماري"، وأنه مجرد "عسكري يجب الخضوع للسياسيين داخل الحركة"، و لا يحق له "التصرف السياسي إلا بأمر من الحركة" التي ينتمي إليها، وإن لم يقم بذلك فما عليه إلا "التنصل من إنتمائه للحركة الوطنية الجزائرية" [21].

لكن لم يتبن مصالي موقف المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، ولم يتنصل مما قام به بن لونيس، وأكثر من هذا فإنه اعتبره بطلا وطنيا تخلص منه الجيش الإستعماري، بعد ما اكتشف هذا الأخير المناورة التكتيكية لبلونيس، والتي تستهدف جلب أكبر قدر ممكن من المساعدات العسكرية والمالية الفرنسية، ثم إستخدامها من أجل تحرير البلاد، بعد التخلص من جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وقد اكتشف الجيش الإستعماري مناورة بن لونيس عندما رفض التحرك في نفس المسار الذي حدده له الجيش الفرنسي، كما أنه رفض الإنضمام إلى "لجنة السلام العام" التي انشأها غلاة المعمرين بعد إنقلاب 13 مايو1958 [22]

لكن لجبهة التحرير الوطني قراءة أخرى، حيث تقول أنها هي التي قامت بتصفية بلونيس، بعد أن تسللت مجموعة من الجبهويين للتخلص منه، وقد انضم الكثير من قواته إلى جيش التحرير الوطني بعد "تنفيذ حكم الإعدام فيه" [23].

إلا أننا نعتقد أن محاولة فرنسا التخلص من بن لونيس والدعاية التي رافقت ذلك، تختفي وراءها هدفين، أولهما التخلص من شخص لم تضمن ولاءه، وبإمكانه الإنقلاب على الجيش الفرنسي في أي لحظة، وذلك إنطلاقا من ماضيه الثوري في الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية، خاصة وأنه يبدو متقلب الأطوار، ويتصرف على أساس ردود أفعال، أما هدفها الثاني، فقد أرادت هذه السلطات إعطاء نوع من الشعبية للحركة المصالية من خلال الدعاية، بأنها هي التي قضت على بن لونيس، وكل ذلك بهدف إعادة نوع من التوازن بينها وبين جبهة التحرير الوطني، وذلك بعد ما فقدت الحركة الوطنية الجزائرية سمعتها بفعل قضية بن لونيس، والتي ما فتئت تقول ب"المائدة المستديرة"، وأن جبهة التحرير الوطني ليست هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، هذا ما يعرقل إستراتيجية جبهة التحرير الوطني، ويخدم الإستراتيجية الفرنسية التي تقول بوجود عدة ممثلين، بل طرحت أثناء المفاوضات فكرة "المائدة المستديرة"، وهي نفس فكرة الحركة المصالية .

ويبدو أن إستراتيجية ديغول تحتوي على فكرة إعادة الحياة للحركة المصالية لضرب جبهة التحرير الوطني بها، وذلك بعد ما فقدت

بريقها تماما بعد الغموض الذي لف موقف مصالي من قضية بن لونيس، وقد كانت من إنعكاسات هذه القضية هو إلتحاق عدد كبير من القيادات المصالية وقواعدها بجبهة التحرير الوطني، واعترفت أنها قد اكتشفت الخيانة واضحة داخل الحركة المصالية، وانهم قد استعادوا وعيهم، بعد ما انخدعوا بالخطاب المصالي، ويأتي على رأس هذه القيادات أحمد نسبة بن عاشور المعروف بالقلاوي لكحل،والذي ذهب ضحية إغتيال الحركة المصالية بدعوى الخيانة لها، ونجد كذلك محمد بسطاوي ويوسف خالدي ومحمد رباحي ومختار حميرش وعليان بوجمعة ورمضان بلهادي وعلي بابا علي و سعد شيشة وغيرهم الكثير[24].

ويدخل في إطار الإستراتيجية الديغولية إطلاق سراح مصالي الحاج يوم 16 جانفي1959، ثم إطلاق يده، هذا إن لم نقل مساعدته في إعادة بناء حركته

د- إطلاق سراح مصالي الحاج والشروع في إعادة بناء الحركة المصالية

شرع مصالي الحاج في تحركاته بعد إطلاق سراحه بهدف إعادة بناء حركته، خاصة بعد مغادرة الكثير من أركانها إلى جبهة التحرير الوطني بعد قضية بن لونيس، وتراجع مصالي نوعا ما عن بعض طروحاته السابقة، مثل إنتخاب مجلس تأسيسي، الذي سيحدد

بدوره الأطراف التي ستتفاوض مع فرنسا من أجل تحديد مصير الجزائر، واصبح يطرح أفكارا جديدة، ومنها فكرة كومنولث مغاربي- فرنسي وكومنولث أفريقي- فرنسي، بالإضافة إلى فكرة "المائدة المستديرة" التي كان يطرحها في الماضي[25].

ولعل خوف جبهة التحرير الوطني من محاولات مصالي الحاج إعادة بناء الحركة، مما يمكن أن يشكل ضربة قاصمة للإنجازات الي حققتها الجبهة، هي التي دفعت هذه الأخيرة إلى إجهاض كل المحاولات المصالية لإعادة بناء الحركة، ويدخل في إطار ذلك الكتاب الذي أصدرته فيدرالية الجبهة في فرنسا باللغتين الفرنسية والعربية عام1959، وتبرز فيه ما تعتبره خيانات الحركة المصالية للشعب الجزائري وثورته.

وقد بقي مصالي وفيا لنفس الأسلوب الذي أنشأته العوامل التاريخية، وهو إستعادة المهاجرين إلى حركته بواسطة العمل النقابي قبل الحملة على الجزائر لإستعادتها، بعد ما فرضت جبهة وجيش التحرير الوطنيين نفوذهما الشبه المطلق على الشعب الجزائري، ولهذا عمد إلى إعادة بناء إتحاد نقابات العمال الجزائريين بفرنسا، واعطى اليد المطلقة لعبد الرحمن بن سيد ومحمد بلهادي في إعادة بنائها، وذلك في المؤتمر الثاني للإتحاد الذي انعقد في مدينة ليل الفرنسية ما بين 27 و30 نوفمبر1959[26]

ويقول محمد حربي، أن محمد بلهادي من الذين طردوا من الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية في بداية الخمسينيات،

بسبب عدم إلتزامه بمباديء وأخلاقيات الحزب، لكن أعاده مصالي إلى الحزب عام1954 مع عدد كبير من المطرودين منه لأسباب أخلاقية أو لشبهة فيهم[27]، ويبدو أن هذا التصرف هو الذي فتح الأبواب على مصراعيه لخيانات كبيرة فيما بعد، هذا إن لم نقل أن الحركة كانت مخترقة من المخابرات الإستعمارية بشكل كبير، وهذا ما يتجلى فيما يعرف ب"الجبهة الجزائرية للحركة الديمقراطية"، والتي ضمت أغلب أعضاء المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية في عام1961، ويستثنى فقط مصالي ومولاي مرباح ومحمد ممشاوي، وقد أنشأ هذا التنظيم الجديد في إطار مخطط واضح للإدارة الإستعمارية، كما سنرى فيما بعد، ويبدو أن هذا التنظيم الجديد المنبثق عن الحركة المصالية، يشكل الإنزلاق النهائي في طريق الإنحراف مستغلا إسم مصالي الحاج في ذلك .

- الجبهة الجزائرية من أجل الحركة الديمقراطية والإنزلاق في طريق التعاون مع الإستعمار

تمثل مظاهرات 11ديسمبر1960 ضربة قاضية للحركة المصالية، والتي أبرزت مدى الولاء الشعبي لجبهة التحرير الوطني، بصفتها ممثله الشرعي والوحيد، إلا أن الحركة المصالية حاولت إعطاء قراءات متعددة لتلك المظاهرات، فتارة هي حركة إجتماعية عفوية، وتارة أخرى تعترف بأنها جبهوية، لكن شارك فيها أيضا المصاليون، وتارة أخرى هي حركة من صنع ديغول لإقناع المعمرين بحلوله[28]

وبقي المصاليون يطالبون بضرورة إشراك الحركة الوطنية الحزائرية في أية مفاوضات حول الجزائر، لكن يبدوأن الكثير من المصاليين، قد اقتنعوا أن التفاوض سيكون حتما مع جبهة التحرير الوطني، وأن ديغول قد اقتنع أن الحركة المصالية لا تمثل أي وزن يذكر لإشراكها في المفاوضات، وما هي إلا مجرد أداة يستخدمها ديغول للضغط على جبهة التحرير الوطني، وفي هذا الإطار فقط يدخل رفض مصالي لدعوة ديغول في إشراكه في المفاوضات، وذلك بعد ما وصلت تلك المفاوضات إلى مأزق، وقد اعترف مصالي ذاته بمحاولات ديغول[29]

ومنذ عام1961 بدأت الحركة المصالية تدرك أن إستراتيجيتها لا بد أن تتركز على البحث عن موقع لها في جزائر ما بعد الإستقلال، إلا أن أطرافا منها كانوا مدركون أن لا مكان لهم في هذه الجزائر المستقلة، فانزلقوا في خيانات لا طائل منها، وأسسوا "الجبهة الجزائرية للحركة الديمقراطية"، بهدف عرقلة أي إستقلال للجزائر، بل تعاونوا مع منظمة الجيش السري لإجهاض أي محاولة للتوصل إلى إتفاق مع جبهة التحرير الوطني، ثم العمل من أجل تعطيل تنفيذ إتفاقيات إيفيان .

لكن علينا الإشارة، أن مصالي الحاج قد تبرأ من هذه الحركة، واعتبرها خائنة[30] كما نشير أيضا أن هذا التنظيم الجديد قد اعتمد على مغالطة الشعب الجزائري ، وذلك من خلال إدعاء أصحابه، ومنهم خليفة بن عمار ومحمد بلهادي وبولنوار وآخرين، أن حركتهم تضم العديد من المصاليين الوطنيين كمولاي مرباح وممشاوي ومحمود

بوزوزو، بل أشارت حتى إلى محمد الأمين دباغين[31]، ويبدو أن هدفهم من ذكر هذا الأخير، هو زرع الشكوك والبلبلة داخل جبهة التحرير الوطني نفسها، مستغلة في ذلك بعض الخلافات التي دبت بين دباغين وفرحات عباس بعد مقتل عميرة علاوة في القاهرة .

كما لا يستبعد أن تكون البعض من هذه العناصر المؤسسة للجبهة الجزائرية للحركة الديمقراطية، قد دستها السلطات الإستعمارية داخل الحركة المصالية كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، ولعل هذا هو المدخل الذي يمكن أن يفسر لنا إنزلاقات العديد من المصاليين في طريق الخيانة للشعب الجزائري والتعاون مع السلطات الإستعمارية، وذلك إضافة إلى عوامل أخرى سنشرحها حالا.

3- عوامل الإنزلاق

تبين لنا مما سبق كيف انزلق العديد من المصاليين في طريق التعاون مع السلطات الإستعمارية، وكيف انقلبو من النضال والتضحية من أجل إسترجاع الجزائر إستقلالها، ليجدوا أنفسهم فيما بعد يعملون عكس ذلك، ويعرقلون ما آمنوا به، سواء كان ذلك بوعي أو دون وعي منهم، ويدفعنا هذا كله إلى محاولة تفسير هذا الإنزلاق، والعوامل التي أدت إلى ذلك، والمتمثلة في نظرنا في:

- إختراق الحركة المصالية من المخابرات الإستعمارية: تم الإختراق منذ البداية، ويمكن القول منذ مؤتمر هورنو ببلجيكا في

جويلية من عام1954، حيث عرف البوليس البلجيكي العناصر المشاركة في المؤتمر، وسلمت تقارير عنهم للفرنسيين[32] فاصبحوا مراقبين منذ البداية، ولهذا السبب سهل على السلطات إلقاء القبض على العديد منهم مباشرة بعد إندلاع أحداث أول نوفمبر1954، كما ارتكب مصالي خطأ فادحا، عندما أعاد إلى الحركة العديد من أعضاء الحركة من أجل الحريات الديمقراطية، بعد ما ابعدهم الحزب إما لأسباب أخلاقية أو للإشتباه فيهم، ولكي يواجه مصالي خصومه ركز هدفه على جمع أكبر عدد ممكن من الأعضاء في الحركة الوطنية الجزائرية دون الأخذ بعين الإعتبار الشروط القاسية التي يجب توفرها في المناضل داخل الحركة، كما كان يحدث في السنوات السابقة .

كما مكنت الدراسات النفسية التي قامت بها المخابرات الإستعمارية من معرفة نقاط ضعف وقوة العناصر المصالية، خاصة القيادات، مما سمح لها بإستغلالها أشد الإستغلال، ومنها نفسية مصالي ذاته، التي تتميز بالتعالي والغضب السريع والتصرف على أساس ردود الأفعال السريعة، ويبدو أن هذا العامل قد استغلته السلطات الإستعمارية بشكل كبير، خاصة إيهامه وإقناعه بأنه عرضة لعدة محاولات إغتيال من جبهة التحرير الوطني، مثلما حدث مع محمد طربوش الذي ألقي عليه القبض عام1956، والذي قالت عنه السلطات الفرنسية أنه كان يخطط مع بوضياف لإغتيال مصالي، أو كما حدث بعد إطلاق سراحه عام1959، حيث تعرض لمحاولة إغتيال، واتهمت

جبهة التحرير الوطني بأنها كانت وراء هذه الفعلة، لكن هذه المحاولات والتهم يمكن أن تكون من صنع المخابرات الفرنسية، بهدف دفع مصالي إلى التعاون مع السلطات الفرنسية لمواجهة جبهة التحرير الوطني . ويبدو أنها استغلت نفس الصفة في محمد بن لونيس، الذي أقنعته بأن جبهة التحرير الوطني كانت وراء عملية ملوزة، ليندفع في التعاون مع الجيش الإستعماري .

- عجز مصالي وقيادته على قراءة وتحليل الأحداث تحليلا سليما وبقائه سجين التاريخ ونفسيته: يظهر ذلك بجلاء في عدم قدرته على الفهم أن جبهة التحرير الوطني، هو تنظيم جديد يسعى لجمع كل القوى الوطنية لمواجهة العدو المشترك المتمثل في الإستعمار الفرنسي، وبقي ينظر إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل ثم جبهة التحرير الوطني أنها من صنع خصومه المركزيين، وأن حتى أحداث أول نوفمبر هي من صنع هؤلاء الأخيرين بهدف التخلص من المصاليين، كما بقي ينظر إلى أي عملية جمع القوى الجزائرية في جبهة التحرير أنها تكرار لمساعي المركزيين من أجل مؤتمر وطني جزائري، والذي كان أحد الأسباب في الخلاف بينه وبين المركزيين، بالإضافة إلى بقائه على نفس النظرة التي كانت لديه حول العلماء وجماعة فرحات عباس والشيوعيين غي عام1936، وكأن الإنسان لا يمكن أن يتغير وتتطور رؤاه ومواقفه، ونجد نفس الأمر عندما يعلق آماله كلها على المهاجرين في فرنسا وإمكانية تكرار ما قام به هؤلاء في عام1936، بعد ما انتقلوا إلى الجزائر، ونشروا

قواعدهم بسرعة ليصبح النجم ثم حزب الشعب القوة السياسية الجزائرية الأولى، ولم يأخذ مصالي الظروف المستجدة والمختلفة عن عام1936 .

- عدم القدرة على التمييز بين التناقضات الرئيسية والثانوية:

لم يفهم مصالي أنه رغم صراعه مع جبهة التحرير الوطني، إلا أنه اعتبرها النقيض الرئيسي له، بالرغم من أن تنظيمه لا يختلف عن الجبهة لا في الأهداف ولا التركيبة الإجتماعية ولا الأيديولوحية، وأن ما يفرقهما هو الصراع حول النفوذ السياسي والعسكري في الجزائر، وبشكل أقل الأسلوب التكتيكي لتحقيق نفس الهدف الإستراتيجي المتمثل في إسترجاع الجزائر إستقلالها ، لكن بدل ما يتعاون مع هذه الأخيرة فضل مواجهتها أولا كي يتخلص منها، قبل أن يتفرغ لنقيضه الرئيسي وهو الإستعمار، فاعطى بذلك لهذا الأخير فرصة التلاعب بالطرفين، فكان كلما ازداد ضعف الحركة المصالية أمام جبهة التحرير الوطني، كلما ارتمت هذه الحركة في أحضان السلطات الإستعمارية، معتقدة أنها بإمكانها توظيف إمكانيات القوى الإستعمارية للتخلص من جبهة التحرير الوطني، كما فعل محمد بن لونيس مثلا، ويمكن لنا القول أن الحركة المصالية قد جعلت من التخلص من جبهة التحرير الوطني شغلها الشاغل، فانحرفت بذلك عن الهدف الإستراتيجي الذي أنشأت من أجله، واصبحت ألعوبة في يد السلطات الإستعمارية .

- النفسية المستبدة لمصالي: يعترف العديد من مناضلي التيار الإستقلالي من أنهم كانوا سببا في غرس هذه الروح في مصالي، لأنهم كانوا يقدرنوه إلى درجة العبادة، ومنها انبثقت ما يسمى ب"عبادة الشخصية"[33]، وقد تطور مصالي في سلوكه إلى درجة إعتبار الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية ملكا له، ويطلب من كل من لا يوافقه الرأي الخروج ممن يعتبره بيته أي الحزب، ولم يكتف بإعتباره الحزب ملكا له، بل اعتبر حتى الإستقلال ملكا له، ولم يكن يتصور أن بإمكان أن تحقق أي قوة إسترجاع الجزائر إستقلالها من دونه[34]، كما لا تخفى عنا حقيقة طبيعية ومنطقية- حسب ما يبدو- ، وهو أنه لا يمكن أن يطيق أي إنسان كان، يعتقد أنه هو الذي زرع روح إسترجاع الإستقلال، ثم في الأخير يتحقق من دونه، وبالإمكان أن يهمش تماما في دولة الإستقلال، وهذا ينطبق على العديد من المصاليين، ولهذا فبإمكان حتى التحالف مع الشيطان كي لا يقع ذلك، هذا ما يجعلنا نعتقد أنه بإمكان بعض المصاليين، وممكن أن يكون مصالي من ضمنهم، التفكير في خطة تستهدف عرقلة إنجازات جبهة التحرير الوطني، وتعطيل عملية إستقلال الجزائر على يد هذا التنظيم الخصم، حتى يستعيد المصاليون زمام الأمور، ويقومون بتحرير البلاد بأنفسهم، دون مشاركة قوى ينظر إليها المصاليون، بأنها كانت تتعاون مع الإدارة الإستعمارية، عندما كانو هم يكتوون في السجون والمعتقلات والمنافي، ومنها العلماء وجماعة فرحات عباس والشيوعيين والمركزيين .

- هزيمة المصالية أمام جبهة التحرير الوطني وفتح الطريق إلى الإنزلاق:

نعتقد أن هزيمة الحركة المصالية في صراعها مع الجبهة عامل رئيسي في عملية إنزلاق المصاليين، لأن ذلك هو الذي كان يدفعهم إلى الإمساك بأي قشة لإستعادة المبادرة، وكانت السلطات الإستعمارية من ضمن هذه القشة، فلو كانت مثلا القوى التي كانت مع جبهة التحرير الوطني، ومنها البلدان العربية وبعض القوى الشيوعية في العالم، هي التي كانت مع الحركة المصالية، فهل سيبقى مصاليّ سجين تحالفات مع مجموعات لا حول ولا قوة لها، والمتمثلة في المجموعات التروتسكية المطاردة من كل دول العالم، سواء كانت شيوعية أم رأسمالية، إسلامية أم عالم ثالثية، هذا ما يدفعنا إلى طرح فكرة أساسية كانت وراء إنحرافات المصالية، وهو أنه بقي سجين المجموعات التروتسكية في فرنسا .

- بقاء المصالية سجينة المجموعات التروتسكية: لم يتأثر مصالي فقط ببعده عن الواقع الجزائري والعجز عن فهمه، بل وقع أيضا تحت تأثير المجموعات التروتسكية التي أحاطت به، خاصة منذ وضعه تحت الإقامة الجبرية في نيور بفرنسا عام1952، فسعت هذه القوى على فصله عن الواقع الجزائري، ثم إستخدامه في إقامة ثورة تروتسكية في الجزائر، فأصبح بذلك سجين تحليلاتها وخطابها[35]، وصورت له جبهة التحرير الوطني كتنظيم برجوازي، يسعى إلى تعويض

الكولون في الجزائر، أما هو فتنظيم الطبقات الكادحة والبروليتاريا، كما دفعته إلى إنتقاد العديد من الأنظمة العربية، وحتى الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، فدفع العديد من هذه القوى إلى مد يد العون إلى جبهة التحرير الوطني، ليبقى معزولا مثل هذه المجموعات التروتسكية الصغيرة، وقد كان محمد حربي محقا عندما قال بأن الحركة المصالية قد ذهبت ضحية التروتسكيين الذين شبهوا له جبهة التحرير الوطني كتنظيم ستاليني، أما المصالية فتشبه التروتسكية التي تسعى لتحطيم الستالينية التي حرفت الثورة الشيوعية في العالم [35]

وبفعل هذه العوامل كلها تشتت الحركة المصالية إلى عدة تكتلات، مثلما يحدث للتروتسكيين الذين ما فتئو ينشقون إلى العديد من المجموعات لأسباب تافهة في بعض الأحيان، فدب فيها الضعف لدرجة أنها اصبحت تمد يدها إلى أية قشة لإنقاذ نفسها من الموت، ولو كانت هذه القشة هي السلطة الإستعمارية ذاتها، كما سبق ان أشرنا إلى ذلك آنفا .

الخاتمة

تبين لنا مما سبق كيف انزلق الكثير من مناضلي الحركة المصالية من العمل والنضال من أجل إسترجاع الإستقلال الوطني إلى التعامل مع السلطات الإستعمارية، التي نشأت أصلا لمواجهتها، وقمنا بعملية تحديد العوامل التي كانت سببا في هذا الإنزلاق- حسب

نظرنا- ، متوخين من ذلك إستخراج درسا سياسيا لكل الحركات والتنظيمات التي يجب عليها توخي الحذر من الإنحراف عن أهدافها الإستراتيجية .

الهوامش

1- منشور بعنوان "بيان الحركة الوطنية الجزائرية" بتاريخ 16 جويلية1954 في:
Mohammed Harbi, Les archives de la révolution Algerienne,éd Jeune Afrique Paris1981 pp84-88

2- رسالة مصالي إلأى المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية بتاريخ2أوت1954 في:
Ibid pp92-94

3-Jaques Simon, Messali Hadj(1898-1974)-la passion de l'algerie libre-, éd Tirésias Paris1998 pp171-243

- Jaques Simon, L'immigration Algerienne en France(des origines à l'indépendance), éd Paris-Méditerrnée Paris2000 pp269-402

4- بنيامين ستورا، مصالي الحاج- رائد الوطنية الجزائرية- (1898- 1974)، ترجمة: صادق عماري و مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر الجزائر1998 ص ص 225- 278

5 -Mohammed Harbi, Le F.L.N. mirage et réalité- des origines à la prise du pouvoir(1945-1962), N.A.Q.D—E.N.A.L Alger pp143-162

6- يمكن العودة إلى المداخلة التي القاها رابح بلعيد في ملتقى تلمسان حول مصالي الحاج في جوان من عام2000، ونشرتها الخبر الأسبوعي عدد(7إلى13 جوان2000)

7 - Jaques Simon, L'immigration Algerienne en France, Op-Cit p367

8 -Jacques Valette, La guerre d'Algerie des messalistes, éd L'Harmattan Paris2001

9 -Jean Vaujour, de la révolte à la révolution, éd Albin Michel Paris1985

10- رسالة قيادة الحركة الوطنية الجزائرية إلى رئيس المجلس السوري بتاريخ10 مارس 1957 في: Les archives de la révolution Algerienne , Op-Cit pp134-135

11 - Ibid p134

12 - في حوار لمحمد حربي مع كريم بلقاسم
Harbi, Le F.L.N. mirage et réalité, Op-Cit pp146-147 et p405

13 -La voix du peuple n°(16-2-1955)

14- رسالة قيادة الحركة الوطنية الجزائرية إلى رئيس المجلس السوري بتاريخ10 مارس 1957 في: Les archives de la révolution Algerienne , Op-Cit p135

15 -Le Monde ouvrier n°(10-9-1955)

16- الكتاب الذي أصدرته فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني باللغتين الفرنسية والعربية بعنوان" حقيقة الخيانة في الجزائر- من مناهظة الثورة إلى الخيانة السافرة، وقد أعاد نشره يحيى بوعزيز كاملا في: يحيى بوعزيز، الإتهامات المتبادلة بين ميصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني- 1946- 1962، دار هومة الجزائر2001 صص 107- 192

17- رسالة وتوجيهات مصالي إلى قيادة الحركة الوطنية الجزائرية بخصوص هذه المقترات في: Les archives de la révolution Algerienne , Op-Cit p125-132

18- Jaques Simon, Messali Hadj, Op-Cit

19- وثيقة" حقيقة الخيانة في الجزائر- من مناهظة الثورة إلى الخيانة السافرة، في: بوعزيز ص ص161- 162

20- المصدر نفسه ص ص 145- 151

21- النشرة الداخلية لإدارة الحركة الوطنية الجزائرية حول قضية بلونيس في صيف1957 في: Les archives de la révolution algerienne pp147-149 Op-Cit

22- ستورا ص ص 260- 261

23- وثيقة" حقيقة الخيانة في الجزائر- من مناهظة الثورة إلى الخيانة السافرة، في: بوعزيز ص 153

24- إعلاناتهم في: نفسه ص ص171- 179

25- النشرة الإعلامية للحركة الوطنية الجزائرية عدد26 الصادرة في 23- 2- 1959

26- Jaques Simon, L'immigration Algerienne en France, Op-Cit pp347-352

27- Harbi, Les archives de la révolution Algerienne, Op-Cit p376

28- خطاب مصالي في الندوة الإعلامية للحركة الوطنية الجزائرية بتاريخ22جانفي1961 في: Ibid p359

وكذلك تقرير مصالي في لقاء إطارات للحركة الوطنية الجزائرية في شهر مارس 1963 في: Ibid p370-371

29- Ibid p375

Ibid pp374-375 - -30

31- تقرير الحركة الوطنية الجزائرية حول الوضع في الجزائر بتاريخ29ماي1961 في: Ibid pp366-368

32 -Benyoucef Benkhedda, Les origines du premier novembre1954, edition du centre national d'étude et de recherches sur le mouvement national et la révolution du1) novembre1954 Alger2004 p221

Ibid p231 -33

34-Ibid pp230-231

Ibid pp193-198 -35

-, Op-Cit p161-162 1- Harbi, Le F.L.N. mirage et réalité

الحركى من قوة احتياطية إلى مشكلة سياسية

د. جمال يحياوي
- جامعة الجزائر-
مدير المركز الوطني للدراسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر

سأحاول في محاضرتي هاته أن أتلمس موضوعا ظل لسنوات . أي منذ الاستقلال إلى غاية الآن. من الطابوهات التي لا يمكن أن يتناولها الباحث الجزائري، رغم ما يطرح حاليا حول هذا الموضوع من عشرات أو عشرات المئات من المقالات والدراسات في الطرف الآخر، لأن موضوع الحركى أو ما يسمى عند الفرنسيين بالجنود الإضافيين أصبح اليوم حديث العام والخاص.

سأقوم بتقديم إحصائيات عن الاهتمام الفرنسي بهذا الموضوع وهذا من خلال الكتب التي صدرت أو من خلال الصحافة الفرنسية وسأقتصر على السنوات الأخيرة أي من الفترة الممتدة من 2000 إلى 2005.[1]

وحتى أكون واضحا فإن مصطلح القوة الإضافية أو الاحتياطية الذي وظفته في عنوان المحاضرة هو تسمية أطلقها الفرنسيون على الحركى والذين كانوا قوة مساعدة للقوات الفرنسية على قمع الثورة وهي بهذا تدخل ضمن الحركات المناوئة للثورة. ولقد تحولت هذه القوة إلى مشكلة سياسية . ولا أقصد هنا بأنها تحولت إلى مشكلة سياسية بالنسبة للجزائر في مرحلتها الحالية . بل مشكلة سياسية بالنسبة للفرنسيين غداة وقف إطلاق النار، حيث وجدت فرنسا نفسها أمام قضية معقدة في بداية الاستقلال كما سنرى لاحقا ولا زالت تفاعلاتها قائمة إلى غاية الآن.

لا أود أن أغوص في الكثير من التفاصيل والأسماء والارتباطات الأخرى التي ما زالت امتداداتها إلى غاية اليوم ولكنني سأحاول تلمس الموضوع مادام أن هناك في القاعة الكثير من الباحثين والذين عاشوا الحدث والطلبة المقبلين إن شاء الله على الدراسات العليا، حيث سيكون حينئذ قد حان الوقت لتسجيل موضوع كهذا كأطروحة جامعية في أي تخصص.

ننطلق من مقولة لمؤرخ فرنسي، ربما لأن مراجعي ومصادري كلها فرنسية، فلحد علمي لم أجد كتابات من طرف جزائريين عن موضوع الحركى، قد تكون موجودة ولكنني لا أعرفها، لذلك اعتمدت كثيرا على كتابات "الطرف الآخر"

مصادر دراسة الحركى:

وأهم المراجع التي اعتمدتها هي "مأساة الحركى أو فرنسا ضحت بمسلميها" وهو مقال منشور في 25 صفحة في مجلة "التاريخ" لـ "قي برفيلييه" " perveiler"[2] وكذلك على كتاب "جون سرفييه" المنشور في فرنسا تحت عنوان "وداعا أيتها الجبال، الحركى في الأوراس"[3]

كما اعتمدت على رسالة "DEA" لفرنسية تدعى "نادين أوريون" وقد ناقشتها في بداية التسعينات في باريس وعنوانها " les déportés de la mémoire" أي "منفيو الذاكرة" وكما اعتمدت على مقال لشال روبير أجيرون حول "جزائر الفرنسيين".

وقد عالجت صليحة عبد اللطيف في رسالة الدكتوراه درجة ثالثة التي ناقشتها[4] . وهي جزائرية من أبناء الحركى وتعترف بصفتها تلك . مشكلة الحركى في فرنسا بعد الاستقلال في شكل تحقيق قامت به بعنوان " الظرف العائلي، الفرنسيون المسلمون في منطقة بيكاردي"

هناك أيضا مقالات لحركى أنفسهم سأعرضها في ما بعد من خلال نشاط الحركى. كما توجد بعض الكتب المتوفرة في الانترنت ولدينا بعض الملخصات عنها ونذكر منها على سبيل المثال:

"le drapeau écrit d'un Harkis" لصاحبه سعدوني

"mon père ce Harkis" لبوكشاش وهو محاولة للدفاع عن الحركى وكذلك.

"le Harkis de mériam" وهو عبارة عن رواية تصور مأساة الحركى الجزائريين

"le Harkis, un traître" والعنوان يعبر عن نفسه

"le destin d'un Harkis"

هناك عشرات الكتب التي قد أذكرها في ما بعد وهي كلها صادرة في فرنسا وهي عبارة عن عينات عن ما تعيشه هذه الفئات حاليا تحاول بعد مضي أكثر من 40 سنة ما قامت به من أفعال مشينة ضد الوطن.

الحركى في خدمة فرنسا الاستعمارية:

نبدأ بمقولة برفيلييه " فرنسا ضحت بجنودها المسلمين، في حين أن قانون الجنود الإضافيين لا يمت بأية صلة مع قانون جنود الجيش النظامي والحال أن مصير الجنود الإضافيين كان محددا منذ الوهلة الأولى في طريقه وطبيعة تجنيده " (5)

برفيلييه يؤكد على أن فرنسا كانت بحاجة إلى هذه الفئة وبالتالي استخدمتها في المرحلة التي احتاجتها فيها ثم تخلت عنها، ومن جهة أخرى يحاول أن يقلل من هذا الموضوع فيقول " إن تاريخهم لا يمثل حدثا مهما في مسار التاريخ الفرنسي" والمثال على ذلك استشهاده بتاريخ الحرب الهند ـ الصينية ويضيف أن الجنود الإضافيين في الفيتنام تخلت عنهم فرنسا عنهم ولم تطرح الإشكالية فلماذا تطرح إشكالية الحركى مع الطرف الجزائري أو مع الثورة الجزائرية بالتحديد .

ويقول وهذا من خلال التجربة التي عاشها واختلاطه بالحركى المقيمين في فرنسا بعد الاستقلال وكذلك من خلال التحقيقات والأبحاث " إنه لا مجال للشك بأن العديد من هؤلاء كان يرغب في تمديد الحرب بعد وقف إطلاق النار"

وبعد عشرات السنين لا تزال هذه الفئة أشد ندما، أو لنقل أنها الفئة الوحيدة التي ندمت على وقف إطلاق النار.

يبقى موضوع الحركى ـ كما قلت ـ موضوعا شائكا بالنسبة للطرفين: للطرف الفرنسي الذي يرى بأن وجود هؤلاء قد بررته

ضرورة الحرب الملحة أو ضرورة المصلحة والطرف الجزائري - والذي كما نعلم كلنا . الذي يتهم هؤلاء بالعداء والخيانة وما أدراك ما الخيانة، التي لا نحتاج إلى توضيحها بل أكثر من ذلك فهم ارتكبوا جرائما يندى لها الجبين في حق الشعب الجزائري وربما هذه هي الجريمة التي لا تغتفر.

وقد حاولت حصر عملية تجنيد هؤلاء الحركى والتي انطلقت في الجزائر في ثلاث مراحل:

مراحل تجنيد الحركى:

المرحلة الأولى 1954- 1956: اتخذت فرنسا هذه الخطوة كنوع من التحدي للجزائريين، تحدي الثوار والثورة فعملت على تجنيد من يحاربهم من بين أبناء جلدتهم.

المرحلة الثانية 1956- 1958: انتقلت فرنسا إلى عملية الانتقاء وبالتالي تحول التجنيد وأصبح يعتمد أكثر على عامل الخبرة ولقد وجدنا في وثائق فرنسية التأكيد على اختيار العناصر التي لديها الخبرة العسكرية والكفاءة السياسية لتجنيدها ضمن ما يسمى بالقوة الإضافية.[6]

المرحلة الثالثة 1959- 1962 : اضطرت فرنسا في هذه المرحلة إلى زيادة عدد الجنود الإضافيين خاصة مع البدء في تطبيق المخططات العسكرية الكبرى وفي مقدمتها مخطط شال، وقد تجاوز عددهم مائة وعشرة ألاف حركى وهذا حسب الإحصائيات الرسمية.

أما عن الأدوار التي قام بها هؤلاء الحركى فهناك دور سياسي في المرحلة الأولى ثم دور عسكري

الدور السياسي للحركى: فإن الدعاية الفرنسية وفرنسا ككل كانت تظن بأن العلاقة بين جنود جيش التحرير الوطني وبين عامة الشعب ليست على ما يرام، نظرا لقلة السلاح وصعوبة العمل العسكري وما إلى ذلك من المشاكل ولهذا عملت على تشكيل هذه القوة بين الجزائريين والتي ستكون مهمتها توسيع الهوة بين جيش التحرير وبين الشعب، خاصة وأن هؤلاء الحركى هم من أبناء الجزائر ويعرفون لغة الشعب وتقاليده وعاداته وكذلك ظروفه الاجتماعية الخاصة.

وكان لهذا العمل في البداية تأثير وتشويش نوعا ما قبل أن يعرف الشعب هجومات 1955 وما تلاها من أحداث يعرفها العالم.

الدور العسكري للحركى: كمتطوعين عسكريين، حدد أحد الضباط الفرنسيين مهمة هؤلاء الحركى قائلا " إن هؤلاء المتطوعين المسلمين (الحركى) يساعدون كثيرا في تمديد العمليات العسكرية عبر آلاف المحطات، سيما وأن روابط القرابة والنسب كانت تمتد إلى ما وراء الجبال والوديان "[7] أي أن معرفة هؤلاء بالطبيعة الجغرافية والتضاريس والتركيبة الاجتماعية وتشابك القبائل والأنساب هي التي ساعدت الضباط الفرنسيين على تمديد الحرب وتمديد العمليات العسكرية في كل مناطق الوطن،

خاصة أثناء عمليات ما يسمى بالراتيساج وعمليات التربيع؟ ومختلف العمليات العسكرية الأخرى.[8]

ويذكر هذا الضابط لماذا؟ " لأن هؤلاء الحركى كانوا من رجال البلد المتأقلمين جيدا مع الطبيعة الجغرافية للمكان والعارفين جيدا أفضل منا بميدان واستراتجية عدوهم الخصم المتمثل في جبهة وجيش التحرير الوطني" ويواصل قائلا " كانوا يعرفون خلفيات الآهالي ويتحدثون لغتهم وقادرين على الاحتكاك بهم، من أجل الحصول على المعلومات الضرورية لتـنفيذ الخطط العسكرية "

إذن فإضافة إلى دور هؤلاء الحركى كعيون للسلطة الفرنسية وللجيش الفرنسي ودورهم كمبلغين، كانوا يشاركون في القتال ضد فرق جيش التحرير، خاصة كما ذكرت أثناء تنفيذ العمليات العسكرية الكبرى وهذا ما تبرزه الإحصائيات المقدمة حول عدد الضحايا من هؤلاء في المعارك. وإحصائيتنا دائما فرنسية تؤكد على أن أغلب ضحايا جنود الجيش الفرنسي كانت من هاته الفئة. وتشير هذه الإحصائيات إلى أن أكثر من 20 ألف جندي حركي أو إضافي كما كانوا يسمون، سقطوا ضحايا أثناء حرب التحرير. وهناك إحصائيات تتكلم عن 27 ألف ضحية والرقمين مأخوذين من مصدرين مختلفين، حيث يحدد المصدر الأول العدد بـ 20 ألف والمصدر الثاني يحددها بـ 27 ألف ولكن خمسة آلاف

منهم ذهبوا نتيجة أحداث معينة، ربما كانت إصابة بالسلاح عن طريق الخطأ، أشياء من هذا القبيل.

وفي هذه الحالة نستطيع أن نقول عن هؤلاء الحركى بأنهم هم الجنود المنذرون للموت في حالة الحرب واستغلالهم بالنسبة للسلطة الاستعمارية وللشعب الفرنسي خاصة كان يبطل استدعاء المجندين الفرنسيين للخدمة العسكري، فهم كجنود إضافيين أعفوا الشباب الفرنسي من الخدمة العسكرية الإجبارية في مرحلة من المراحل، هذا التجنيد الإجباري الذي كان يخشاه أبناء الشعب الفرنسي عند اندلاع حرب الجزائر.

ثم أن هؤلاء سيساهمون بتجندهم ضد الثورة الجزائرية في الحفاظ آليا على أرواح الفرنسيين من الهلاك ويقصد بهم الشباب الفرنسي.

وقد دفع هؤلاء بأنفسهم إلى الهلاك حتى لا يموت غيرهم من الجنود الفرنسيين وأكثر من ذلك فإن هؤلاء الحركى كانوا يساعدون الفرنسيين في محاولة تهدئة مختلف فئات الشعب عن طريق الدعاية التي كانوا يبثونها وهي دعاية مضادة لجيش وجبهة التحرير الوطني.

الحركى ونهاية المهمة:

إن الحركى كانوا فعلا وسيلة في أيدي الاستعمار الفرنسي لتنفيذ أهداف سياسية وعسكرية.

حسب الفرنسيين دائما فإنه ما إن انتهت هذه المنفعة السياسية والعسكرية حتى وجدت هذه الفئة نفسها في حرج والسلطة الفرنسية في حرج أكثر، كيف ستتعامل هذه السلطة مع هؤلاء الجنود غير النظاميين والذين لا يخضعون لقانون الجنود الفرنسيين[9] خاصة مع بداية الستينيات والبدء في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني والسلطة الفرنسية.

ومن بين العقبات التي طرحت، قضية الحركى أو ما يسمى بالجنود الإضافيين وبدأ الجيش الفرنسي في تطبيق استراتيجية للتخلص من المشكلة: أولها التقليل من عدد هؤلاء الحركى حيث لاحظنا مع سنة 1960 تقليلا في عملية تجنيد الحركى في صفوف الجيش الفرنسي[10]. وبداية من سنة 1961 صدرت تعليمات إلى قادة الفيالق والقيادة العسكرية على العمل على تجنب تجنيد هذه الفئة في صفوف الجيش الفرنسي ومساعدة من هم مجندون إلى العودة إلى الحياة المدنية دون أن يثيروا أي انتباه.

ومع حلول شهر جويلية 1961، ازدادت الدعاية الإستعمارية خاصة عن طريق مكاتب "la SAS" حول الخطر الذي يهدد هذه الفئة. وهناك عشرات المقالات التي كتبت حول المصير المنتظر لهؤلاء الحركى إن وصلت المفاوضات إلى وقف اطلاق النار. وأصبح هكذا الحركى يخشون على أرواحهم من الطرفين، من جيش التحرير وجبهة التحرير كطرف أول ومن فرنسا كطرف ثاني، هذه الأخيرة بدأت تتنكر للدور السياسي والعسكري الذي

قام به هؤلاء الحركى وأصبح القادة حسب الروايات والشهادات المسجلة عند بعض الضباط هم الذين يحرضون هؤلاء الحركى على التمرد والتسلل إلى الحياة المدنية أو البحث عن مكان آخر غير الجيش الفرنسي. وفي نهاية سنة 1961 صدرت تعليمات لتسريح جميع الحركى بعد وضع شبه قانون لهم في نوفمبر 1961 والذي نص في مادته 15 على" إعادة تجنيد البعض منهم داخل الجيش الفرنسي" وبقيت كلمة "البعض" غامضة وبقي سؤال من هم المؤهلون للتجنيد في الجيش النظامي الفرنسي؟ مطروحا. ومباشرة بعد وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، نشرت الجريدة الرسمية الفرنسية مراسيم قانونية تنص رسميا على امكانية منح هؤلاء الجنود الإضافيين امكانية التجند داخل الجيش النظامي[11] ولكن القادة العسكريون فسروا هذا القانون لصالحهم لأنه لم يكن اجباريا أو ملزما. حيث نص مرسوم القانون على امكانية التجنيد فقط وهكذا تصرف القادة العسكريون كل حسب أهوائه ورغباته. وقد عاد الكثير من الحركى إلى الحياة المدنية بعد أن جردوا من السلاح.

هناك تهويل طرف الدولة الفرنسية بتقديمها أرقاما عن الانتقام عدد المجازر التي ارتكبها جيش وجبهة التحرير في حق هذه الفئة وهي أرقاما مبالغ فيها في العديد من المرات إذا ما قورنت مع الإحصائيات المقدمة فأحيانا نجد أن عدد الذين تم القضاء عليهم يتجاوز ويفوق بكثير عدد المجندين منهم. هناك نوع من الدعاية

التي نشطت وكان يقوم بها بعض الضباط المعروفين بعدائهم للجزائر.

وقد شكك الجنرال "بويز" مباشرة في حوار أجري له بعد وقف اطلاق النار سنة 1962[12] في الدور الذي لعبه هؤلاء الحركى، بعدما كانوا في البداية الساعد الأيمن للجيش الفرنسي. وأضاف هذا الجنرال " يمكن القول أن البعض منهم فقط، ممن كانوا إلى جانبنا حقا" أي أن هناك فئة فقط مخلصة لهم في حربهم ضد جيش التحرير ويواصل" فهؤلاء فعلا من يعيشون خطرا حقيقيا، أما الباقي فلم يكونوا كذلك أبدا، وعلى الرغم من أنهم كانوا معنا إلا أنهم في المقابل كان لهم انتماء مع الشعب ومع جيش وجبهة التحرير الوطني وبالتالي فإن فرنسا لن تكل نفسها عناء البحث عن هؤلاء والذين لم يجندوا معنا إلا تظاهرا أو رغبة في بعض الفرنكات" والحوار منشور.

أصبحت قضية الحركى مشكلة بالنسبة للسلطة الفرنسية التي قلبت لهم ظهر المجن وبقي هؤلاء ينتظرون كيف سيكون مصيرهم. بدأ الحركى ينظمون أنفسهم في بعض الجمعيات لإيجاد مخرج للخيانة ولما ارتكبوه في حق هذا الوطن وأصبح أغلبهم يبحث عن كيفية للرحيل خاصة وأن بعض التعليمات بدأت ترسل إلى بعض الضباط أي إلى مكاتب "la SAS" تمنعهم من تسهيل مهمة هؤلاء الحركى.

وكتب لويز جوكس وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية في 16 مارس 1962 أي ثلاثة أيام قبل وقف اطلاق النار إلى المندوب السامي آنذاك لوسيان فوشي؟ قائلا " إن الأخبار تصلني عن قضية الجنود الإضافيين، الذين تم ترحيلهم حديثا، توحي بوجود شبكات وثيقة بين فرنسا والجزائر والتي غالبا ما يكون طرفها في الجزائر ضابط من اللجنة الإدارية الخاصة أي la SAS ، وعليه أرجو منكم العمل على الحد من مثل هذه العملية والكشف عن كل المتواطئين الممارسين لها " ويقصد بالشبكات تلك التي قامت بترحيل الحركى إلى فرنسا.

وبالتالي نلاحظ أن فرنسا أعلنت رسميا عن طريق كاتب الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية عن محاولة التنصل للدور الذي قام به الحركى وطالبت بوقف عملية ترحيلهم إلى فرنسا.

وفي هذا الإطار دائما أرسل قائد القوات العسكرية الفرنسية في الجزائر الجنرال دي بربيسون De.bribisson ببرقية سنة 1962 يقول فيها " كنت ألفت نظركم إلى الصعوبات التي يخلقها توافد قدماء الجنود الإضافيين نحو فرنسا وكل الأشخاص الذين كانوا يساعدون فرنسا، لذا أطلب منكم الإلحاح على إطاراتكم بعدم تقديم حق اللجوء إلا في الحالات الاستثنائية " والمقال لا يزال مطولا ويدور حول كيفية تجميع الحركى في محتشدات التراب الفرنسي [13].

إن قضية الحركى تحتاج إلى دراسة متأنية، إلى بحث وافي من خلال وثائق، من خلال شهادات حية، دون اللجوء إلى صغائر الأمور وتشخيص ما يشخص أو ما يضر بالمجتمع. على سبيل المثال لا الحصر، حاولت من خلال اهتمامي بهذا الملف مطالعة ما ينشر في الصحافة الفرنسية، وأقتصر في هذا المجال على السنوات الأخيرة.

ففي سنة 2000 مثلا صدر 58 مقال ودراسة حول الحركى في الصحافة الفرنسية. فجريدة لوموند نشرت في 10 أفريل 2000 مقالا حول قضية الحركى.كما نشرت عشرات المقالات حسب السنوات:

وفي سنة 2001 صدر 37 مقال ودراسة.

في سنة 2002 صدر 15 مقال حول الحركى

في سنة 2003 ارتفع العدد حسب الصحافة الفرنسية إلى 31 مقال في هذه السنة.

في سنة 2004 وكما تعرفون تطورات المرحلة وبالتوازي مع ما كان يجري في الجزائر سياسيا، ارتفع العدد إلى 48 مقال ودراسة نشرت في الصحف. 11 مقال في السنة الحالية (2005). هذا بالإضافة إلى عشرات الكتب والدراسات لفرنسيين أو لحركى أنفسهم.

هناك اعترافات مثيرة جدا تعطي حقائق لمن يريد المطالعة فكتاب دليلة كرشوش "mon père ce Harkis" كتاب مهم جدا، لأنه دراسة

لواقع الحركى داخل المجتمع الفرنسي كما يعطي إحصائيات ومعطيات مهمة.

أما "le destin d'un Harkis" لإبراهيم سعدوني فيحتوي على وصف دقيق لعملية تجنيد الحركى وكيفية معاملاتهم وعملية انتقالهم إلى فرنسا.

وهناك كتاب آخر لفرنسي ربما كان من أصل يهودي يدعى أوبير بن كموم؟ وهو "Mohand le Harkis" يروي فيه مصير واحد من بلاد القبائل، وكيفية تجنيده واستغلال ظروفه الاقتصادية والاجتماعية وكذلك كيفية ارتكابه لمجازر في حق قريته.

هناك العشرات من الدراسات ولكن في اعتقادي أن أهمها هو ما يكتبه الحركى أنفسهم، فاعترافات الحركى مهمة جدا لنا، لأن هناك نوع من صحوة الضمير من جهة وفي المقابل هناك نوع من التحدي.

وتبقى قضية الحركى و القوات الإضافية حسب التغيير الفرنسي تحتاج إلى الكثير من الدراسة للبحث من أدل إماطة اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية بعيدا عن التجاذب السياسي الظرفي.

الهوامش

1- وهي المرحلة التي سبقت صدور قانون 23 فبراير 2005 المجّد للاستعمار، والاعتراف بالدور الإيجابي للحركى.

2- Guy-perveille: la tradigie des harkis- Revue de l'histoire- N° 140- Janvier 1991 pp:120-123

3- Jean servier :Adieu Djebels.Ed. France empire 1958- p :262

4- Saliha Abdelatif : Enquête sur la condition Familiale : les Français Musulmans de picardie : Paris 1981

5- G.perveille : op.cit : p :121

6- Nadine Henrion : Harkis les exiles de la memoire D.E.A Univ. Paris.7 – 1991 p28-29

7- Ibid : p : 30

8- Saliha Abdelatif « les français Musulmans oû le poids de l'histoire » les temps modernes N° spéciale Avril 1984

9- لم يستفد الحركى أو الجنود الإضافيين حسب التعيير الفرنسي من قانون المحاربين إلاّ سنة 1974 أي بعد أكثر من 12 سنة من إستقلال الجزائر.

10- وهذا ماجاء في تصريح لكاتب الدولة لدى وزير الداخلية المكلف بالشؤون الجزائرية أمام المجلس الوطني الفرنسي

11- حسب "قي بيرفيي"، "إن حوالي 40 الف حركي انضموا إلى القوات المحلية أثناء المرحلة الانتقالية بعد وقف إطلاق النار"، وهذا الرأي لم يكن تأكيده أو نفيه في غياب الإحصائيات الرسمية عن الموضوع.

12- حوار مع الجنرال "بويز" أجراه "قي بير فيي" ونشره في: "جزائر الفرنسيين"

13- مع معاملتهم حسب القوانين المحلية الفرنسية في بادئ الأمر قبل أن تتحول قضيتهم إلى مشكلة محلية تحتاج إلى قوانين وتنظيمات خاصة وبقيت قضية ومطالب الحركة تطفو على السطح مع كل حدث سياسي في فرنسا إلى غاية صدور قانون 23 فبراير 2005 المجّد للاستعمار الذي أعطى للحركى دورا إيجابيا أثناء مرحلة الاحتلال.

المعالجة السياسية والعسكرية لبعض الحركات المناوئة للثورة التحريرية

أ. عبد العزيز بوكنة
قسم التاريخ
- جامعة الجزائر -

نحاول في هذا العرض البسيط إستعراض تاريخ بعض الحركات المناوئة التي ظهرت أثناء الثورة التحريرية وموقف جبهة وجيش التحرير منها.

اولاً:لقد أتسم تاريخ الثورات العالمية والحركات التحررية في العالم بظهور هذه الحركات المضادة للتيار الوطني التحرري أو ما أصطُلح على تسميته بفكرة الإجماع الوطني ،وعليه فالثورة التحريرية الوطنية لم تنفرد وحدها بظهور هذه الثورات المضادة. فكثير من الحركات التحررية عرفت حركات مضادة للتيار الوطني التحرري وهذا في شتى أنحاء العالم.

((La notion de "contre maquis" entre dans le cadre de la guerre contre révolutionnaire.Elle avait été expérimentée en Indochine,et on tenait à l'appliquer, si possible, sur une plus grande échelle à l'Algérie.))

ثانياً:الحركات المناوئة التي نسعى لمعالجتها هي:

حركة بالحاج الجيلالي المعروفة بحركة بلحاجيست.أو "Kobus"

حركة شريف بن سعيدي

قضية سي صالح أو الإليزي

وهنا يجب أن نفتح قوساً ،لنؤكد أن هذه الحركات لم تنفرد بها الولاية التارخية الرابعة فقط كما يحلو للبعض إلساقها بهذه الولاية. وإنما الباحث الموضوعي لتاريخ الثورة التحريرية يدرك جيداً بأن الولايات التارخية الأخرى عرفت هي الأُخرى بعض الحركات المناوئة

للثورة التحريرية.وهناك نقطة أخري أراها أساسية وهي وفرة الكتابات عن هذه الحركات بالمقارنة مع غيرها.

وعليه فالبحث التاريخي يتطب منا أن نضع هذه الحركات في نفس الميزان ونحاول دراستها دراسة موضوعية دون تحيزٍ أو دون تعصب أو شوفينيزم .لأخذ العبرة لا أكثر ولا أقل من تاريخ الثورة التحريرية.

ثالثاً:إن مناقشة هذه الحركات المضادة لا ينقص من تاريخ الثورة التحريرية بل بالعكس يدفع الباحث الى معرفة الحقيقة إن كانت هنالك حقيقة ، وهذا لأخذ العبرة والدروس من التاريخ الوطني ومن حق الباحث من طرح هذه الأسئلة وغيرها : لماذا حدث هذا وكيف؟ومن المتسبب في هذا العمل؟ وما هو الطرف أو الأطراف التي ساهمت من قريب أو بعيد في ظهور هذه الحركات المناوئة ؟ولماذا حصت في تلك المنطقة ولم تحصل في منطقة أخرى ؟ وما يهمنا في هذا العرض هو ،كيف أستطاعت جبهة وجيش التحرير معالجة هذه الحركات المضادة للثورة التحريرية .واين نجحت المعالجة السياسية أو العسكرية، وأين خفقت؟ هناك ملاحضة أخرى،أن هذه الحركات وإن كانت قد بدأت مع بداية الثورة التحريرية،الاّ أن أمرها لم يستفحل إلاّ بعد سنة 1958م وما بعد.

إذاً يتطلب من الباحث أن يعالج هذه الحركات في إطارها الزماني والمكاني وهو أمر مهم جداً ،نظراً

لأن الفترة فترة حرب ،أي أن لا أمن.

ما المقصود بالمعالجة السياسية أو العسكرية لهذه الحركات المضادة ؟

إن المواثيق العسكرية في جزئها التنظيمي لا تفرق بين العمل السياسي والعمل العسكري ،فكلاهما يكمل الآخر.

Profil organique

Dans la partie consacrée à l'organisation du F.L.N. il est apparu que F.L.N. et A.L.N.se confondent sur le terrain principal de la lutte:les wilayas.Etudier l'organisation de L'A.L.N.suppose une connaissance préalable du fonctionnnement et du role du F.L.N.□

كما نقرأ أيضاً في قوانين LES STATUTS جبهة التحرير الوطني التي تم المصادقة عليها في شهر جانفي 1960 ،أن جنود جيش التحرير الوطني هم ثوريين Révolutionnaire وفي الوقت نفسه مناضلين des militants في جبهة التحرير الوطني وملحقين بالعمل العسكري.

"les combattants de l'A.L.N.animés d'une méme foi révolutionnair,sont des militants du F.L.N.détachés à l'action armée"

وعليه أصبح من المستحيل ان نلاحظ فرقًا واضحاً في الأدوار بين ALN/FLN. ويجب علينا ان نتذكر أيضاً الظروف التي تم فيها ميلاد جبهة التحرير الوطني.نفس أشخاص FLN هم في نفس الوقت جنود ALN وبذلك خُول لهم التنظيم السياسي للشعب والتنظيم العسكري لوحدات ALN التي تشكلت من هذا الشعب.

وبناءاً على هذا فالمعالجة السياسية والعسكريةلهذه الحركات المناوئة كثيرا ما تَكلّف بها قائد الولاية وبعض مساعديه وهذا في عين المكان الذي حدثت فيه. كحركة بلحاجيست وحركة ابن سعيدي وهناك بعض الحركات تعدت مستوى قيادة الولاية الى مستوى هيئة الأركان

بالخارج،أوالى لجنة التنسيق والتنفيذ.كقضية سي صالح وغيره من الشهداء.

نحاول في هذا العرض أن نطرح هذه الحركات المضادة للثورة التحريرية حسب تاريخها الكرونلوجي، وعليه نبدأ بالحركة الأولى:

حركة بالحاج الجيلالى عبدالقادر:

ظهرت حركته بنواحي منطقة الونشريس(زدين)المنطقة التي أحتضنت les assises du congrès du M.T.L.D. en 1947 بالولاية الرابعة التاريخيةكما عرفت حركته بكوبيس "Kobus " وبات من المؤكد أن بالحاج الجيلالي قد بدأت إتصالاته مبكرة مع العدو الفرنسي،وربما هذا منذ سنة 1956م ، (D.S.T) وعلى سبيل المثال كان على إتصال بالقوات الفرنسية مع Cd/ Henti قائد فرقة الحركة على مستوى منطقة بني بودوان،وأيضاً مع Cap/Conille de la SAS deLamartine وبلغ عدد قواته مع مطلع سنة 1957م حواي 400 شخص على ما ذكره الكولونال H.Le Mireص 188 في كتابه التاريخ العسكري لحرب الجزائر hist/mili/de le guerre D'Algerie

ويضيف لو مير قائلا: أنه في شهر ماي 1957 قام كوبيس بتقديم lieut .Heux الى فرقته وكانت مفاجئة كبيرة لعدد كبير من جيشه En mai plupart des 1957,Kobus présente le lieutenant Heux à ses troupes.Pour la maquisards,c'est une énorme surprise.

وبغض النظر عن التفاضيل والأعمال المشينة التي قام بها سواء ضد أهالي المنطقة أو ضد عناصر الجبهة وجيش التحرير

الوطني أدين بالحاج الجيلالي بالخيانة العظمي، ووجبت محاكمته وكل الذين أيدوه أو وقفوا معه وساعدوه في تأسيس هذه الحركة المناوئة.

إذاً كيف عالجت جبهة وجيش التحرير الوطني هذه القضية الخطيرة بالمنطقة؟

أن القادة الذين أوكلت لهم المهمة هم:قائد الولاية العقيد أحمد بوقارة،وعمر أوصديق،وقائد كومندوس على خوجة "عزدين"وبصحبة أحمد بن شريف قبل سفره الى تونس،بالأضافة الى محمد بونعامة"كابتان وقائدا للولاية في المستقبل بعد سي صالح" وفرقة كومندوس جمال lieut بوشوشي رشيد وربنا آخرين.إذا نلاحظ من هذه التشكيلة التي جعلت حداً لخيانة بالحاج الجيلالي أنها تشكلت من سياسيين وعسكرين.والمعالجة كانت على النحو التالي:

أولاً: القضاء على بالحاج الجيلالي وتصفيته جسدياً حتى وأن كان إغتياله من قبل أقرب مساعديه؟

Il finira par étre tué et décapité le28/04/1958 par ses propes hommes

لأنه أدين بالخيانة العظمى.وقيل عنه بأنه كان إختصاصياً في المراوغة والخيانة.على قول المؤرخ الأنقليزي Alistair Horne

"An expert in changing sides and treachery" وقال عنه Yves Courrier "كان إنساناً سيء جداً وكذاب"

ثانياً:أما عدد الجنود الذين كانوا في صفوفه فقد "أختلفت الأرقام حول عددهم من 1400 /1000/ 500/ 400"فبعد القضاء على رئيسهم التحق العديد منهم بوحدات جيش التحرير الوطني مع بعض أسلحتهم

وعتادهم الحربي. Ils étaient munis de 600 armes de guerre et de300 fusils de chasses

كما لاننسى العمليات العسكرية التي اعقبت هذا الفرارخاصة في منطقة عمرونة بالونشريس حيث جرت معركة طاحنة بين وحدات جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي وتمكت قوات جيش التحرير من إسقاط 7 طائرا ت من نوعT6. Sept avions T6 furent abattus lors de ce combat

(417) وإن كان لومير يرى بأن في الأسابيع التي أعقبت مقتل Kobus ان عدداً كبيراً ألتحق بالوحدات الفرنسية،لكن مع ذلك لم يقدم لنا العدد بالضبط؟ ويضيف أيضاً أن العدد الباقي تمت تصفيتهم أثناء حركة la "bleuite" من قبل قادة الولاية الرابعة ؟لكن لم ينفيه أو يؤكده أي شخص كتب في الموضوع حسب علمي الاّ واحداً وهو النقيب صايكي الذي ذكر مايلي :((لم يكن هؤلاء من الجنود ممن يعتمد عليهم ولم يبق الاّ القليل منهم ممن كان يخفي إتصاله بالقوات الفرنسية...لذا لم يلبث الجيش طويلا ان قتل ما تبقى من هؤلاء البلحاجيين،درءاً للخطر الذي كانوا يشكلونه ضد جيش التحرير)).لكن ما أكدته عدة مراجع حول الموضوع ،بأن خلال متابعات القوات الفرنيسة لوحدات جيش التحرير الوطني غدات فرارهم من قوات بالحاجيست ان عدداً كبيراً منهم قد قتل،نظراً ربما لقلة خبرتهم العسكرية ils n'avaient pas une réelle expèrience de la guerre

وإن كان البعض يرى أن معظم عناصر بالحاجيست أنظمت بأسلحتها وعتادها على وحدات جيش التحرير الوطني Ils furent presque tous

intégrés dans les propres unités de la W4 qui prit ainsi une belle revanche sur l'ennemi et ses services spéciaux .P266 Mustapha Benamar

ثالثاً:أما القضية الأخرى التي طرحت على قادة الولاية الرابعة هو كيفية التصرف مع "ضباط" les officies الذين كانوا في جيش بالحاجيست.فيرى الكومندو عزالدين أن عددهم بلغ 17 اما المؤرخ الأنقليزي أليستر هورن يري أن عددهم بلغ 22 .كما طرحت عليهم قضية مبدئية جاءت في أرضية الصومام:وهي في حالة إلتحاق مواطنين جزائريين بجيش التحرير الوطني والفارين من قوات العدو يحق لهم الإحتفاظ برتبهم العسكرية.لكن معالجة هذا العدد ربما كانت قاسية جداً وجاءت بإعدامهم جميعاً la sentence ,ce sera la mort ولم يسلم منهم حتى الثلاثة lieutenants colonels الذين تعهدوا لقادة الولاية بتصفية بالحاج الجيلالي على يدهم،ومنهم:مجيد وإسماعين رشيد رابح.

"إن هذا التعهد ام يكن بشرف ،حيث أن كل 22 من الضباط الفارين من جيش كوبيس تم الأجهاض عليهم فوراً ويحزم من قبل قادة الولاية الرابعة.

"the deal was not honored, however,and all twenty two Kobus's defecting officiers were promtly dispatched by the W4 commanders". (p257)

وإن كان البعض يعزي هذا العمل الى كل قادة المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة لكن يري بوجه خاص أنها من حنكة ودهاء عمر أوصديق.

((Tout le mérite de cette opération revient aux cadres de la région,de la zone 3et de la wilaya,qui ont élaboré et mis en application une tactique difficile,mais avec une mention particulière à Omar Oussedik, je tiens à le préciser.))

بينما الآخر يرى أن الذكاء والدهاء يعود الى سي أمحمد وعمر أوصديق. وببراعتهما أستطاعا القيام ببعض العمليات ضد الفرنسين والتي وجهت أنظار هم أو أعتقدوا فيها بأنها من صنع كوبيس؟

"the astute si M'hamed and O.Oussedik cunningly created a series of incidents against the French which were to look as Kobus were the author" p 257

وعليه انتهت المعالجة حسب إعتقادنا بإجماع قادة الولاية الرابعة سياسيين وعسكريين وإن كان العزم والحنكة والسرعة في التنفيذ دائماً من صنع القائد الميداني وهذه الخبرة لم تنقص قائد الولاية العقيد أحمد بوقارة ولاحتى عمر أوصديق.(مثلا صلاح الدين وأرناط)وبنهاية بالحاج الجيلالي وأتباعه أنتهت معضلة ومشكلة كاد أمرها ان يستفحل حيث جرّتْ لها ربما حتى أبرياء من الجزائر العاصمة وغيرها، إعتقاداً منهم أنهم يحاربون في صفوف جيش التحرير الوطني؟كما كان لأفشالها ضربة قاسية للمخابرات العسكرية الفرنسية.

وعلق عليها محمد تقية بمايلي:

Mais il rest que l'entreprise de Belhadj,jugée par les "spécialistes" francais de la guerre subversive comme un placement sur,fut un cinglant échec pour les tenants des méthodes démoniaque de la contre révolution.

أما الحركة الثانية هي حركة شريف بن سعيدي.التي ظهرت مع بداية إنشاء الولاية السادسة التارخية،

والتي أوكلت لجنة التنسيق والتنفيذ CCE قيادتها الى العقيد علي ملاح (سي الشريف).كما سجلت المنطقة تواجد المصاليين بها على نطاق واسع .وشريف سعيدي هو الآخر أمتاز بالمراوغة والخيانة وربما فاق بالحاج الجيلالى.فقد ثبت عليه أنه أغتال العقيد علي ملاح ، في جبل

شعون Chaoun بمنطقة دراق الحالية ex le Tourneaux في شهر مارس 1957م وهذا ما ثبت مع الكاتب الخاص لشريف بن سعيدي ،حيث وجد في دفتر الحسابات الخاص به مبلغ هام من مال الأشتراكات.وهذا ما صرح به الكاتب:

((Dans les poches d'Ali Mellah,on a trouvé un million et demi,l'argent des cotisations))

كما قام باغتيال الكابتان أحمد الشافعي الملقب (بالروجي.) بمنطقة كرمة شيحة وقام أيضاً بإعدام الرائد جوادي عبد الرحمن وعدد من الجنود وربما منهم حتى إطارات الذين جاؤوا على وجه الخصوص من بلاد القبائل وشمال البلاد.وسقط بذلك في فخ السلطات الأستعمارية للحرب النفسية التي عملت عل تأنيب أبناء الناحية على "الغرباء القادمين من الشمال وزرت النعرات القبلية بين العرب والقبائل" وأحمد الروجي قيل عنه الكثير: (على أنه كان عديم الأخلاق وقاسياً جداً ،لكن مع ذلك لم تثبت خيانته للثورة التحريرية. il était brutal,manquait de tact,méprisant même وأنه كان حقاً مثار سخط بالناحية نتيجة تصرفاته الأخلاقية والأستفزازية خاصة في منطقة محافظة على تقاليدها وأخلاقها .لكن مقتله ومقتل العقيد علي ملاح دليل قاطع على خيانة بن سعيدي الكبرى.وكيف لا وقد ثبت عليه انه ألتحق بفرق الجيوش الفرنسي بمنطقة صور الغزلان وهذا منذ سنة 1955م.وهذا ما ذكره لو مير ،كما يضيف قائلاً: ان وحدات جيش التحرير قامت بحرق حافلة النقل التي كان يملكها،وأرغمته قوات ALN على الألتحاق بصفوفها

للأستفادة من خبرته العسكرية؟ "pendant quatre mois,il sert de "coolie
(comme il le dit lui même aux djounoudes).

أما خلافه مع الكابتان أحمد الروجي فيري لومير أنها جاءت نتيجة لقيام أحمد الروجي بذبح 40 رأساً من الغنم من ماشية سكان المنطقة،بالأضافة الى أشياء أخرى.حسب إدعاءاته أن هذه الأعمال دفعت بابن سعيدي أن يقوم بهذا الأعتداء الجسدي على أحمد الروجي. Excédé,l'ex brigadier sort son pistolet et tire deux balles dans la téte du commissaire politique.

أما معالجة هذه الحركة المناوئة التي جند لها شريف سعيدي عشائره من المنطقة كنائبيهي رحمّة محمد ورحمّة محمود وغيرهم،لم تأت بأمر من لحنة التنسيق والتنفيذ بل جاءت بإرادة من قادة الولاية الرابعة

La w 4 avait décidé,sans consulter le CCE,de reprendre la situation en main...

وأُكلت المهمة في بداية الأمر الي الشيخ الطيب الجغلالي ، برفقة الحاج بن عيسى من جبل صباح ومحمود باشن من مدينة المدية وأخرين.وما أن حل شهر مارس 1957م قام قائد الولاية العقيد أحمد بوقارة والرائد سي لخضر رابح مقراني والشيخ الطيب الجغلالي والكومندو علي خوجة والرائد عزالدين بحسم الموقف.

أولاً: لقد أتصل قائد الولاية الرابعة بأبن سعيدي وحدد له موعداً بمنطقة أولاد العقون (أولاد السلطان)، أي في وسط عشيرته .وبعد أن أجلس ابن سعيدي امامه وشرع في إستجوابه خاصة فيما تعلق بسلسلة الإغتيالات التي ظهرت بالمنطقة ،خاصة عندما أقدم على قتل بعض جنود من جيش التحرير الوطني الذين كانوا برفقة أحمد

الروجي،((ولم يكتف بذلك بل نزع لهم ألبستهم وأسلحتهم وألبسها لجنوده؟)) وكما ذكرت سابقاً أن كاتب بن سعيدي سجل في سجله كل الحوادث التي وقعت برفقة بن سعيدي.وعندما كُشف أمره أثناء إستجوابه من قبل قائد الولاية ،صاح قائلاً ومخاطباً كاتبه :من قال لك أكتب هذا ؟Qui t'a dit d'écrire cela mai toi,si Chérif,après l'avoire tué

وبعد أن حان وقت العشاء ،غزم قائد الولاية على تصفيته بعد أن ثبت جرائمه العديدة.

وعندها تدخل في الأمر قائد كموندوس علي C'est le moment de l'éliminer خوجة قائلاً له: أن سكان المنطقة غير مقتنعين بعد بالأفعال المنسبة إليه ،وأحسن خيار هو تركه يهرب ؟

En revanche, si on le laise s'enfuir, il signe définitivement son crime.

وهذا ما ذهب إليه النقيب محمد صايكي:((وعندما حان وقت العشاء حينها سارع رجل من شيعته ليخبره أنه قد أسترق السمع ،وان سي أمحمد أخبر رفقاءه منذ لحضات بالقبائلية أنه سيقضي على ابن سعيدي بعد وجبة العشاء الشيء الذي لم يكن ينتظره ابن سعيدي .لذا لاذ على إثرها الخائن بالفرار الى مكان مجهول.)) ص.232

وعليه لسنا هنا في حالة تقييم الأشخاص ومن المتسبب في فرار ابن سعيدي من هذه المحاكمة ؟

لكن التاريخ ثبت أن هذه المعالجة لهذ الحركة المناوئة قد أضرت بسير الثورة التحريرية في هذه المنطقة، وامتد أثرها لكل للولايات المجاورة.

أولاً:ان فرار بن سعيدي بشخصه وبرفقة اكثر من 300 حركي من أتباعه وبأسلحتهم الى الجيش الفرنسي،لامحالة أن هذا الفرار ربما الغير المنتظر قد أظر بوحدات جيش التحرير الوطني،والدليل على ذلك المعارك الطاحنة التي شهدتها المنطقة بعد هذا الفرار،والتي أستشهد فيها العديد من المجاهدين من أبناء المنطقة ومن خارجها.

Vingt jours tard,si Chérif rallie l'armée française avec trois cent trent hommes lui méme et ses harkis resteront fidèles jusqu'au dernier jour على قول لو مير.

أما أليستر هورن فيقول أنه أ،نظم في شهر جويلية 1957 الى جيش الحركة الفرنسين على راس كتيبة 330 جندي مسلح he rallied to the french at the head of an entire katiba 330 strong p223

ثانياً:كثير من الجنود الوطنيين المخلصين فضلوا الألتحاق بالولايات الأخرى وتحاشوا التجنيد في هذه المنطقة التي تحولت الى بؤرة للتوتر والدسائس ولم يسلم منها حتى خليفة العقيد سي الحواس،العقيد الطيب الجغلالي ومن معه رحمهم الله.ومن المعروف أن هذه الولاية لم تُرسم إلاّ في شهر أفريل من سنة1959م من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ وعيّن عندئذ مجلس ولايتها الذي تشكل من العقيد سي الحواس قائدا، الشيخ الطيب الجغلالي نائبا سياسيا وعمر إدريس نائبا عسكريا.ومع ذلك لم تستقر بها الأحوال بعد إستشهاد هؤلاء الثلاثة.

ثالثاً:بعد أن تمكنت الولايات التارخيةالثالثة والرابعة والخامسة وحتىالأولى بتصفية حركتي بالونيس وبن سعيدي،قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بإلحاق المنطقة الشمالية للولاية السادسة بالولاية الرابعة،

وصارت تُعرف بالمنطقة الرابعة.وبذلك افشلت جبهة التحرير خطة ونوايا السلطات الفرنسية التي كانت ترى في عمل الخائن شريف بن سعيدي ورقة رابحة في جلب منطقة الجنوب تحت سلطته bring over with him the whole of the south ويضيف هورن:لكن الفضل يعود الى مهارات F.LN

But eventually the F.L.N.skifully managed to seal off the damage p223

إن الدارس للحركة الوطنية يدرك جيداً أن مسألة العنف (الثوري) لم يكن غريباً على نظام حركة .M.T.L.D وهذا ما ذهب اليه محمد حربي حيث يري انه حدث في مؤتمر الحزب في شهر فيفري1947م ان مسألة العنف طرحت لأول مرة على المجتمعين.

La question de la terreur interne à l'organisation s'est posée pour la premiere fois.

ويضيف حسب بعض الشهادات الشفوية ممن حضروا المؤتمر.

((tout participant à ce congrès national qui dévoilerait ne serait ce qu'une partie des délibération on des identités des participants, est condamné a mort)) cette résolution fut combattue notamment par le Dr Mostefai Chawki. Mohamed Belouizedad propose de remplacer "est condamné à mort, par "est passible de la peine de mort" la proposition fut votée à l'unamité.la légitimité de la violence interne venait d'étre reconnue)) p29 /30 LA GUERRE D'Algérie dans la mémoire et l'imaginaire

وعليه فالمعالجة التي قامت بها جبهة وجيش التحرير لم تكن خارجة عن مواثيق الحركة الوطنية ولاحتى عن أرضية مؤتمر الصومام،وكما قلنا سابقاً فالظروف هي ظروف حربا والتسامح في مثل هذه المواقف لامكانة له في هذه الظروف الصعبة.كما نسجل أن هذه الحركات المناوئة ظهرت في وقت كان فيها جيش وجبهة التحرير الوطني في أوج قوتهما،ولذلك أفلحت في معالجة هذه الحركات وبهذه الصرامة

والعزيمة ،وإن كان البعض يرى في هذه المعالجة بأنها أتسمت بأخطاء.فالخطأ من شيم الرجال الذين يعملون ويقودون رجال مثلهم وليس من خصال الرجال الذين ينتظرون ركوب القافلة وما ركبوها يوماً إلاّ وهم في مؤخرتها.

ونظراً للوقت المحدد لهذه المداخلة أكتفي بهذا القدر،لأترك المجال لبقية المشاركين، و أحتفض لنفسي بالعنصر الثالث،والخاص بقضية سي صالح لفرصة أحرى،بحول الله.

أعتمدنا في هذا العرض على المراجع التالية:

L'Algerie en guerre , Mohamed Teguia O.P.U,1982?Alger

Histoire Militaire de la Guerre d'Algerie Henri Le Mire, Ed,Albin Michel 1982. Paris

A Savage War of Peace,Algeria 1954 1962 Alistair Horne,Macmillan London Limited,19

Les Fellagas, Cdt Azzedine ENAG Editions

Si Salah Mystère et Vérités Rabah Zamoum, Ed,Casbah 2005

C'étaient Eux Les Héros,Mustapha Benamar
Ed,Houma 2002
La Guerre D'Algerie,dans la mémoire et l'imaginaire
Ed,Bouchene 2004

شهادة ثائر من قلب الجزائر

مذكرات النقيب محمد صايكي شركة دار الأمة 2003م

الحركات المناوئة للثورة الجزائرية في المغرب العربي
الزوكيت نموذجا

أ. عبد الله مقلاتي
قسم التاريخ -جامعة أدرار-

سجلت العلاقات الجزائرية المغاربية حضورا قويا أبان الثورة التحريرية وقدمت شعوب وحكومات البلدان المغاربية دعما معتبرا وعايشت بتضامن مميزا أحداث الثورة التحريرية، وعلى الرغم من مظاهر التنسيق والتضامن فإن كثيرا من الحركات المناوئة وقفت في وجه هذا التضامن والتعاون وحالت دون توفير الدعم المستمر للثورة الجزائرية ، وتطرح في هذا الإطار أسئلة عديدة حول طبيعة هذه الحركات المناوئة والأطراف التي وقفت وراء وحول إستراتيجية الثورة في مجابهتها؟

ونجيب عن هذه التساؤلات في النقاط الآتية:

1 – الأهمية الإستراتيجية لمنطقة المغرب العربي في منظور الثورة التحريرية.

2 – المخططات الفرنسية لضرب قواعد الثورة في تونس والمغرب .

3 – الاتجاهات و الحركات المغربية المناوئة للثورة.

4 – مناوءة حركة الزوكيت للثورة الجزائرية.

5 – إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة لها

1) الأهمية الإستراتيجية لمنطقة المغربي في الثورة التحريرية

ارتبطت الجزائر تاريخيا بجيرانها من الشمال الإفريقي ، وعلق كفاحها السياسي أمالا كبرى على وحدة المغرب العربي بحكم الروابط والمصالح التي تجمع شعوب ، وقد أكدت جبهة التحرير الوطني في مواثيقها الرسمية على ارتباط الثورة الجزائرية بدائرة المغرب العربي

والعمل على تحقيق الكفاح المشترك ووحدة الشمال الإفريقي ، وتؤكد كل الدلائل على تمسّك جبهة التحرير الوطني بوحدة الكفاح المغاربي وقد جسدت ذلك في الميدان، وأوضح مؤتمر الصمام مبدأ مغاربية الثورة الجزائرية ودعي إلى التنسيق مع حكومتي البلدين الشقيقين وفاعليتهما السياسية والجمعوية لكسب تضامنهم ، وأيدت قيادة الثورة العليا تمسكها بخيار التنسيق والتعاون مع الحكومات المغاربية لمواجهة الأخطار الاستعمارية التي تهدد أمن واستقرار المغرب العربي [1] إن جبهة التحرير الوطني ظلت متمسكة بمشروع وحدة كفاح المغرب العربي وتبنّته إطارا في كفاحها من أجل مواجهة السياسة الفرنسية التي خططت لضرب هذا الكفاح المشترك ومواجهة ثورة الجزائر وانتهجت قيادة الثورة سياسة واضحة اتجاه دول المغرب العربي، فقد أكدت استحالة انعزالها عن فضاء المغرب العربي ودعت إلى تضامن دول المغرب العربي ودعم شعوبها لكفاح الجزائر التحرري وإيجاد حل مشرف للقضية الجزائرية يضمن الحفاظ على العلاقات الفرنسية – الشمال افريقية [2]

---

1) انظر بتفصيل ما كتبناه في أطروحتنا للماجستير، مقلاتي عبد الله : دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2000 ، ص 25 وما بعدها .

2) CHIKH Slimane : l'algérie en armes on le temps des certitudes , OPU.alger.1981 . P 489.

مساندة طروحات الثورة الجزائرية [1] وأثارت هذه السياسة مخاطر حقيقية على مسيرة الثورة الجزائرية في تحقيق أهدافها الإستراتيجية

الإتجاهات والحركات المغاربية المناوئة للثورة الجزائرية:

على الرغم من أشكال الدعم المغاربية المقدمة للثورة التحريرية فإن طبيعة علاقات الثورة الجزائرية ببلدان المغرب العربي عرفت ظروفا صعبة وواجهتها مخاطر جسام، وقد تحفظت جبهة التحرير الوطني مرارا على المواقف المغربية والتونسية، واشتكت من تعثر نشاط الثورة ومن تواجد أطراف مناوئة لها بأقطار المغرب العربي، وعلى ضوء تطور العلاقات الجزائرية المغاربية [2] سنحاول رصد أهم هذه الأطراف المناوئة.

وركزت جبهة التحرير الوطني على استثمار علاقاتها المغاربية من أجل توفير الدعم وخدمة أهداف الثورة التحريرية والتي كانت ترتكز أساسا على الخطوط الرئيسية الآتية:

- كسب التأييد السياسي لأهداف ومبادئ الكفاح الجزائري وكذا الموازرة الدبلوماسية للقضية الجزائرية.

---

1)انظر: الميلي محمد: مواقف جزائرية، 120. المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) 1984، ص 112

2) نشير أن الباحث يهتم ببحث موضوع العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية في أطروحته للدكتوراه

- السماح باستخدام مناطق الحدود قواعد خلفية لتفعيل نشاط الثورة العسكري واللوجيستيكي

- تهنيئة لظروف المساعدات المادية والمعنوية من أجل إنجاح الكفاح الجزائري.

- التصدّي للسياسة الفرنسية الرامية لضرب الثورة الجزائرية واحتواء منطقة المغرب العربي.

ويبدو واضحا أن منطقة المغرب العربي شكلت بموقعها وأهميتها هدفا مهما في إستراتيجية الثورة التحريرية، وقد ظلت أولى دوائر التحالف، ومركزا أساسيا لقواعد الثورة الخلفية فيها تلقى الدعم والمساندة الشعبية، وتجد التسهيلات لنشاطها، وعليه اكتسبت الأراضي الليبية أهمية بالغة في إستراتيجية الثورة التحريرية ، أما البلدين المجاورين تونس والمغرب فإن حدودها مع الجزائر كانت تحتضن القواعد الخلفية وتأوي اللاجئين.

2)المخططات الفرنسية لضرب قواعد الثورة في المغرب العربي:

خططت السياسة الفرنسية لإجهاض مشروع الكفاح الموحد لبلدان المغرب العربي، ثم اجتهدت في عزل ثورة الجزائر عن محيطها، وعملت على احتواء المواقف السياسية لتحد من دعمها ومساندتها للثورة الجزائرية.

في بادئ الأمر خططت السياسة الفرنسية لفصل قضايا الحركات التحريرية المغاربية عن بعضها البعض وتجزئة حلولها بشكل

يضمن بقاء نفوذها العسكري والاقتصادي بمحميتيها السابقتين (تونس والمغرب) وتمسكها بالجزائر فرنسية، وعمدت فرنسا إلى الاتفاق مع القيادة التونسية بعد تصريح منداس فرانس في قرطاج ، واستدرجت الملك محمد الخامس من منفاه لتوقيع اتفاقية اكس ليبان، وذلك قصد الحيلولة دون وحدة الجبهة المغاربية ومن أجل عزل الجزائر عن دعم جارتيها.

وأثرت سياسة الضغط الفرنسية في تأرجح المواقف السياسية بين خيار التضامن مع الشعب الجزائري ودعم مطالبه الثورية وبين نهج سياسة التعاون والتكافل مع فرنسا قصد تعزيز الاستقلال القطري.

ونظرا لتزايد نشاط ثورة الجزائر داخل البلدان المغاربية وانتهاك فرنسا للسيادة القطرية تدهورت العلاقات الفرنسية الشمال افريقية، واحتجت جبهة التحرير الوطني على تواجد القواعد الفرنسية في تونس والمغرب ونددت بمظاهر الامبريالية الجديدة التي كبلت استقلال تونس والمغرب في إطار التعاون والتكامل مع فرنسا.

وفي مرحلة تالية خططت سياسة فرنسا الديغولية لاحتواء مواقف بلدان المغرب العربي وذلك بمهادنة أنظمة السلطات الحاكمة وإثارة قضية الصحراء فرنسية وإغراء تونس والمغرب والأفارقة حتى يتخلوا عن مساندة طروحات الثورة الجزائرية [1] وأثارت

---

1) أنظر: الميلي محمد: مواقف جزائرية،120 . المؤسسة الوطنية للكتاب.(الجزائر) 1984، ص112.

هذه السياسة مخاطر حقيقية على مسيرة الثورة الجزائرية في تحقيق أهدافها الإستراتيجية.

الاتجاهات والحركات المغاربية المناوئة للثورة الجزائرية:

على الرغم من أشكال الدعم المغاربية المقدمة للثورة التحريرية فإن طبيعة علاقات الثورة الجزائرية ببلدان المغرب العربي عرفت ظروفا صعبة وواجهتها مخاطر جسام، وقد تحفظت جبهة التحرير الوطني مرارا على المواقف المغربية والتونسية، واشتكت من تعثر نشاط الثورة ومن تواجد أطراف مناوئة لها بأقطار المغرب العربي، وعلى ضوء تطور العلاقات الجزائرية المغاربية [1] سنحاول رصد أهم هذه الأطراف المناوئة:

أ/ شكّل التواجد الفرنسي العسكري والمدني مخاطر حقيقية وا ذا كانت انعكاسات تواجد القواعد الأجنبية تبدو واضحة وآثارها جلية فان تواجد النشاطات المدنية والاستخباراتية تسبب في مشاكل عويصة للثورة الجزائرية، تولى هذه النشاطات الموظفون الفرنسيون وكانت تنطلق من السفارة والقنصليات الفرنسية وتلقى تعاونا من بعض العناصر داخل بلدان المغرب العربي يجمعون المعلومات ويستخبرون عن نشاطات الثورة وتحركات الجزائريين وصلاتهم

---

1 – محمد محمود الشابي: المغرب العربي على مفترق الطرق، دار الطليعة للطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص 28

بالمغاربة ،وقد كشفت الثورة خيوط هذه المؤامرات وتفطنت لمخططات الاستخبارات الفرنسية بفضل يقظة مصالح استخبارات الثورة.[1]

ب/ تواطأت بعض العناصر المغاربية مع المستعمر فأسدت له خدمات مفيدة اضرّت بنشاط الثورة. ففي تونس والمغرب خلفت الادارة الفرنسية اذنابا لها خدموا المصالح الفرنسية ،وبعضهم تولوا مسؤوليات عليا في السلطة فكانت فائدتهم اكبر لفرنسا وهي تخطط لضرب الثورة الجزائرية، والى غاية اليوم ماتزال الشكوك تحوم حول بعض ضباط الجيش المغربي الذين ساعدوا في اقتناص طائرة الزعماء الخمسة في اكتوبر 1956. وحول اكتشاف بواخر الاسلحة وعرقلة نشاط مرور قوافل الاسلحة والمجاهدين الجزائريين. وفرض الطرف الجزائري في اتفاقية الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة المغربية عام 1960 تحفظه عن التبليغ عن موعد وصول سفن الاسلحة الا عند قربها من الموانئ المغربية احترازا من تسرب المعلومات[2].

ج/ خططت منظمة اليد الحمراء التي يقف وراءها غلاة المعمرين في تونس والمغرب لضرب مصالح الثورة واثارة البلبلة والاضطراب بهدف افشال مشروع استقلال تونس والمغرب والحفاظ على الجزائر فرنسية. وفي اطار حربها المسعورة من اجل اعادة النظر في استقلال تونس اكتشفت الشرطة الفرنسية في ماي1956 شبكة لليد الحمراء

---

1 HARBI.mouhamed: les archives de la revolution algérienne . les editions jeune afriqe paris 1981 p434 et apres.

2-شهادة المجاهد منصور بوداود لصاحب المقال، الجزائر العاصمة يوم 20 فيفري 2005.

تتعاون مع مجموعة من فرنسيي الجزائر . وتحدثت الصحافة عن اعتداءات اليد الحمراء على مصالح الثورة الجزائرية واوضحت محاكمة عصابة اليد الحمراء في تونس انها كانت تنسب جرائمها الى الجزائريين واليوسفيين بهدف قطع التعاون بين تونس وجبهة التحرير الوطني[1] وقد لاحقت منظمة اليد الحمراء المسؤولين الجزائريين في اقطار المغرب العربي والدول الاجنبية التي ينشطون فيها ودبرت مثلا بعض عناصر اليد الحمراء في تونس والجزائر مؤامرة لاغتيال احمد بن بلة في طرابلس .لكن المحاولة التي يروي ابن بلة تفاصيلها فشلت[2] وهكذا يكون مخطط اليد الحمراء قد ألحق اضرارا لمصالح الثورة في بلدان المغرب العربي.

د/وقفت الايديولوحيات السياسية للسلط الحاكمة في وجه طروحات جبهة التحرير الوطني. اذ حدث الاختلاف الاديولوجي حول مبادئ الثورة المعلنة. وحاولت الاطراف المغاربية احتواء قيادات الثورة والتأثير على افكارهم التحررية . وقد ضغط الحبيب بورقيبة ومحمد الخامس على جبهة التحرير الوطني للقبول بوساطتهما ولو على حساب مطالب الاستقلال . وتراجعت السلطات التونسية والمغربية امام الضغوط الفرنسية عن دعم الخط الثوري لجبهة التحرير الوطني. واعتبر بورقيبة أن تمسك القادة الجزائريين بمطلب اعتراف فرنسا

1- l'action (tunis) 21 mai 1956 p 1.2.

2-أحمد بن بلة: مذكرات احمد بن بلة، ترجمة العفيف الاخضر، ط2، دار الاداب، بيروت 1979، ص ص107 -109.

باستقلال الجزائر قبل التفاوض تشددا لامعنى له وطعنا في الايديولوجية البورقيبية التي تؤمن بمبدأ خذ وطالب[1] وتحفظ القصر المغربي من دعم الثورة الجزائرية في مرحلة المفاوضات وطرح خياراته الايديولوجية ومطالبه الاقليمية . واما الموقف الليبي فقد كان دعمه للثورة التحريرية غيرمشروط.

وهكذا اجتمعت اطراف عديدة لتخلق صعوبات جمّة للثورة الجزائرية في المغرب العربي . وقد افرزت الساحة السياسية في المغرب مثلا حركات مشبوهة أثارت مشاكل عويصة لنشاط الجزائريين في المغرب . ووقفت الثورة الجزائرية في حيرة من أمرها وهي تعالج مشكلة مناوئة المغاربة ((الزوكيت)) للجزائريين.

3 - مناوءة حركة الزوكيت للثورة الجزائرية.

عرقلت حركة مناوئة مغربية سيرورة الثورة التحريرية في منطقة الحدود الجنوبية الغربية -الجزائرية ، وترتّب عن ذلك نتائج عميقة. وقد قيل الكثير في تفسير أسباب هذه الحركة. وحملت المسؤلية لأطراف عديدة.

عاشت المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة حوادث غامضة ومشوبة في الفترة مابين 1958 -1960 .وقعت قرب فقيق وبشار. وهي مراكز رئيسية لفرق جيش التحرير الوطني. ومعابر مهمة للأسلحة

---

1 -محمد الصباح: الحبيب بورقيبة يؤسس الدولة الجديدة، ج1 ،ترجمة علي الشنوفي، ط1، دار العمل - بيت الحكمة، تونس، 1986، ص 664

والفـرق العسـكرية ،وكانـت الادارة الفرنسـية قـد أغلقـت الحـدود المغربية – الجزائرية بخطي شال وموريس وصممت على خنق الثورة الجزائرية في الداخل. وانتبهت قيادة الثورة الى معبر فقيق وبشار الذي لم يحكم اغلاقه بسبب تضاريسه الطبيعية الصعبة وأفشلت بذلك المخطط الفرنسي في قطع صلة الثورة بالعالم الخارجي من جهة المغرب الاقصى[1].

شهدت المناطق الممتدة من فقيق الى يوذنيب اضطرابات كبيرة تسبب فيها جيش التحرير المغربي الذي باشر في المنطقة مناوشات واشتباكات ضد القوات الفرنسية ومدّ نفوذه الى المناطق المتاخمة وأثار الانقسام بين صفوف قبائل بني جرير ودوي منيع وذلك من خلال دعوته للالتحاق بصفوف جيش التحرير المغربي ومَناداته بتحرير مناطق الجنوب الشرقي(بشار وتندوف) التي عدها مناطق مغربية[2].

وتفطنت جبهة التحرير الوطني لنوايا حزب الاستقلال الذي أكد في مؤتمر طنجة ظاهريا تضامنه مع الجزائر . وأدّعى انه يدعم جهود جيش التحرير الجزائري في 7 مواجهة الفرنسيين. لكن غرضه الحقيقي هو ضم المناطق الحدودية التي ادعّى علال الفاسي – زعيم

1-انظر تقرير سري قدمته وزارة الاتصالات العامة والتسليح الى رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة بالارشيف الوطني الجزائري: A.N.A : carton n= 6 dossier n=12
Le Maroc etla révolation algerienne p 3

2-محمد بنسعيد ايت ايدر: صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي،مطبعة صوماكرام. الدار البيضاء، 2001 ص75

حزب الاستقلال – أن فرنسا ضمتها الى الجزائر قصرا. وبذلك أثيرت مشكلة عويصة للثورة الجزائرية . واعترضت جيش التحرير الوطني صعوبات حقيقية.

بدأت الحوادث تتزايد على طول الحدود المتاخمة لمنطقة فقيق وداخل التراب المغربي حيث يرابط جيش التحرير الوطني. وقوافل التموين والإمداد في حركة نشيطة ذهابا وايابا بين الجزائر والمغرب عبر معبر فقيق الاستراتيجي، و وضع جيش التحرير المغربي مخططا سريا لمواجهة جيش التحرير الجزائري ودفعه بالقوة للتخلي عن مواقعه داخل المغرب والانسحاب الى داخل الجزائر لمواجهة فرنسا. وبذلك يتسنى له ضم المناطق الحدودية الى السيادة المغربية[1] .

ارتبكت قيادة الثورة أمام عنف هذه الحركة الجديدة التي بلغ التلبس فيها أن ارتدى رجالها بذله جيش التحرير الوطني. واختفت وراء قوات الجيش الملكي . وقد دلتنا الشهادات والوثائق أن هذه الحركة هي فلول جيش التحرير المغربي المنهزم في المعارك الفرنسية الاسبانية نزلت بمنطقة الجنوب الشرقي ولاسباب عديدة تلاحقت لترتكب جرائم قطع الطريق واعتقال وسلب وقتل الجنود الجزائريين.[2]

---

1 -تؤكد شهادات قادة جيش التحرير المغربي على هذه الخطة انظر شهادة المقاوم طويل عبد الغاني، محادثة شخصية وجدة المغرب 22 ديسمبر 2004

2 -شهادة الغالي العراقي محادثة شخصية يوم 26ديسمبر 2004 بالدار البيضاء .

بـدأت تحرشـات هـذه المجموعـات المسـلحة في ربيـع 1958 وفي الخريف وقعت عدة مواجهات بين المنطقة الثامنة (الولاية الخامسة). ومجموعـة مـن المسـلحين المغاربـة .وتـذكر مختلـف الشـهادات الـتي اعتمدناها في تحقيق المسألة أن جيش التحرير المغربي استطاع بدعايته الملفقة أن يبث البلبلة في صفوف الجنود الجزائريين. وبين سكان المناطق الحدودية . وحدث الانقسام عندما التقت مجموعات من بني جرير وذوي منيـع بالمغاربـة. وحملـت السـلاح في وجـه جـيش التحريـر الجزائـري .وسـاندت بـذلك أهـداف جـيش التحريـر المغربـي في مواجـــهة الجزائريين .[1]

شنت هذه الحركة المناوئة حملة دعائية مست القرى الممتدة على طول الحدود الجزائرية – المغربية . وأرتكبت أعمال إجرامية و نسبتها للجزائريين ،ثم قطعت طريق فقيق الاستراتيجي ، واعتقلت العشرات من افراد جيش التحرير الجزائري اشهرا عديدة تعرضوا خلالها للقهر والإذلال بعد أن رفضـوا اغـراءات المغاربيـة[2] ، وتـدخلت قيـادة الثـورة السياسية لحل المشكلة ، فعقدت بعثة جبهة التحرير الوطني في المغرب عدة اجتماعات مع المسؤو لين المغارية منها اجتماع 8 أفريل 1958 الذي جمع بين ادريس المحمدي وابن البركة ومحمد البصري من

---

1 انظر شهادة المجاهد سليمان الدين ، محادثة شخصية، ادرار 15 نوفمبر 2004

2- A.N.A : carton n=6 dossier n=12 p :23

وكذلك اعتمدنا شهادة مجموعة من مجاهدي منطقتي عين الصفراء وبشار حوارات شخصية.

الجانب المغربي ومعاشوا و قديري والشيخ خير الدين من الجانب الجانب الجزائري وعقد اجتماع اخر بين مسؤولي جيش التحرير الوطني وممثلين عن القوات المسلحة الملكية. وفشلت كل المساعي نتيجة لامبالاة الموقف المغربي وتأكيده على مطلب السيادة المغربية على الاقاليم الحدودية[1]

وطال ترقب جيش التحرير الوطني للموقف. إلى آن جاءته الاوامر بمواجهة هذه الحركة المناوئة التي عرفت بين صفوف المجاهدين باسم ((الزوكيت)) و((اليد الحمراء)) ولم يكن الكثير منهم يعرف آن جيش التحرير المغربي يقف وراءها. اذ نسب هذه الحركة الى المصاليين وقيل انها من صنع فرنسا ،وذلك من اجل تقوية عزيمة المجاهدين وهم يواجهون الزوكيت بشراسة.[2]

وأمام تزايد هذه المواجهات واشتداد الاضطرابات تدخل قايد احمد لدى باشا فقيق ليطلب تدخل السلطات المغربية لاطلاق سراح المعتقلين الجزائريين.لكن باشا فقيق تجاهل الامر واتهم الجزائريين باثارة الفوضى فوق التراب المغربي وهذا الموقف يدفع الى الشك في تواطئ السلطات المحلية التي لم يكن خافيا عليها نشاط جيش

---

1 -شهادة المجاهد بلعقون احمد :محادثة شخصية، ادرار بتاريخ جوان 2004

2- A.N.A: carton .N: 6. Dossier N : 12 . P 18.

التحرير المغربي. وقد قامت بتعزيز تواجد القوات المسلحة الملكية بالقرب من المراكز الحدودية.[1]

وتم ابلاغ قيادة جيش الحدود بالقضية فارسل هواري بومدين الضابط محمد لقامي للإستعلام حول نشاط الزوكيت. والتقى هذا الاخيربقيادة المنطقة الثامنة التي اشتكت من خطورة الوضعية. وتواصل حركة المناوئة وتعّرض بدوره لقامي في جولة استطلاعية لكمين افراد من جيش التحرير المغربي.[2]

وقد اثرت هذه الحوادث على سير تطور الثورة وعاقت جيش الحدود ، وشغلت بال الحكومة الجزائرية المؤقتة ، وعندما استقرت أوضاع هيئة اركان الحدود والحكومة الجزائرية المؤقتة تدخلت هذه الأخيرة لدى الملك محمد الخامس في صيف 1960 وطلبت منه ايجاد حلول لهذه المشكلة العويصة 3. فأمر جلالته بمعالجة القضية وطلب تدخل القوات المسلحة الملكية لإطلاق سراح الأسرى من المعتقلات وقضى جيش التحرير عن اعمالهم المضاربة للثورة الجزائرية ، ومعاقبة

---

1 -تتضافر الشهادات التي جمعناها على تاكيد هذا التوجه.

2 -شهادة المجاهد سليمان الدين ، سبق ذكرها.

3 – محمد لقامي : رجال الخفاء، مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة منشورات A.N.E.P الجزئر، 2005 ، ص 213

البعض منهم على ما اقترفوه من أعمال ، وثم إغراء بعض المقاومين بالعطايا فتسابقوا للتخلص من حياة الصحراء القاسية 1.

وبخصوص السيادة المغربية على المناطق الحدودية تقرر تأجيل المسألة الى ما بعد إستقلال الجزائر ، وبذلك وضع حل لقضية الدولية التي ارقت الثورة الجزائرية، واستعاد جيش التحرير الوطني مكانته في منطقة فقيق الإستراتجية لكن نتائج هذه المأساة كانت عميقة يمكن الأشارة اليها في النقاط الآتية :

- إثارة الأنقسام في صفوف أفواج جيش التحرير الوطني التي كانت مشكلة من قبائل المناطق الحدودية ، وغرر ببعض عناصر هذه القبائل لتلتحق بصفوف جيش التحرير المغربي .
- ظهور الصراع الدموي على الحدود بين الاشقاء الذين كانوا يحاربون الأستعمار الفرنسي .
- تعكر العلاقات بين قيادة الثورة والسلطات المغربية التي لم تتدخل في الوقت المناسب وتحفظت على نشاطات الثورة في المناطق الحدودية التي اعتبرتها جزء من سيادتها التربية.
- تعثّر نشاط الثورة وحدوث الاضطربات في مناطق الحدود بين سكان العبادلة والساورة وتندوف .

---

1 -عبد الله رشيد كفاح المغاربة من أجل الأستقلال والديمقراطية ط1 ، الشركة الجديدة للمطابع المتحدة ، الدار البيضاء ،2004 ،ص386.

ويبدو من خلال تتبعنا لقضية الزوكيت انه هناك قضايا ماتزال غامضة وتتحفظ الوثائق والشهادات التي جمعناها في الجزائر والمغرب عن تفصيل الدوافع وحيثيات القضية وأطرافها الحقيقية .

4 -إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة :

بالرغم من الاختلافات الإيديولوجية والسياسية التي كانت تفصل جبهة التحرير الوطني عن أنظمة المغرب العربي إلا أنها اجتهدت في ارساء علاقات التعاون والتنسيق وأبدت كثيرا من الحذق والحكمة في تعاملها مع الاحزاب والحكومات وتنظيمات المجتمع المدني وواجهت بصبر الصعاب التي اعترضتها ووضعت نصب عينيها الاهداف الاساسية للثورة وفق المبادئ الاتية:

-عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

-اعتماد الاتفاقيات السياسية منطلقا في العمل .

- معالجة المشاكل والصعوبات بالطرق السلمية وفي اطار التعاون المشترك

-التأكيد على وحدة المغرب العربي والعمل على تجسيدها في الميدان السياسي والجماهيري .

وبذلك تمكنت الثورة الجزائرية من خدمة أهدافها الاستراتيجية في المنطقة ومواجهة المخططات الاستعمارية ونجحت في الحفاظ على

خطها الثوري اذ ظلت وفية لحرحها المغاربي رغم التطورات الحاصلة على مستوى منطقة المغرب العربي [1] .

وعملت على الاستفادة قدر الإمكان من استقلال تونس والمغرب ونسقت المواقف السياسية والشعبية من أجل تجسيد وحدة المغرب العربي ، وطرحت خيار التعاون والتنسيق لاستغلال طاقات وثروات المغرب العربي ، ودعت الثورة التحريرية الى استكمال السيادة والتخلص من القواعد االأمنية والأتفاقيات الفرنسية التي تكبل استقلال بلدان المغرب العربي ، ومواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية وجندت قيادة الثورة كل طاقتها لحماية مصالح الثورة من مختلف اشكال الأختراق والجوسسة ورصدت مصالح الاستعلامات الجزائرية كل الحركات والتوجهات المناوئة .

وعرفت الثورة الجزائرية تطورات كبرى زادت في توسع شبكة تمثيلها ونشاطها في منطقة المغرب العربي وكذا في تجدير إيديولوجيتها كحركة ثورية ، واصبحت تؤثر على سلطة الانظمة السياسية القطرية الطامحة الى تجسيد سيادة الدولة، وبالرغم من التحفظات الكثيرة اجتهدت الثورة التحريرية في المحافظة على علاقتها مع الانظمة من اجل خدمة المصالح العليا للثورة 2 ويتضح مما سبق ان منطقة المغرب

---

1 –Chike slmonM: op. cit.p488

2 – عامر رخيلة: الثورة الجزائرية والمغرب الوسي : مجلة المصادر، مجلة فصلية يصدرها المركز و ب د ح و ث 4

العربي مثلت مكانة مهمة في استراتيجية الثورة الجزائرية وبالرغم المخططات الاستعمارية فانها كانت تجد المؤازرة الشعبية والمساندة المادية والمعنوية للقضية الجزائرية.

ومثلما تلقت الثورة التحريرية ضروبا من المساندة الشعبية والرسمية فإنها واجهت عدة أطراف وحركات مناوئة وشكلت حركة الزوكيت نموذجا للدفاع عن المصالح الضيقة والنوايا السيئة للسياسيين التحزبيين.

الشهادات

الرائد لخضر بورقعة
ضابط في جيش التحرير وعضو في قيادة
الولاية التاريخية الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم والسلام عليكم.

في الحقيقة وفي كل مناسبة نعود فيها إلى الماضي، نجد شتاتا من الذكريات، لكن في هذه المرة أشكر الإخوان الذين حددوا المنهجية في هذا الملتقى إستراتيجية الثورة في مواجهة التنظيمات المضادة.

ولما كانت التنظيمات المضادة متمركزة بالتحديد في الوسط، فبودي أن يعرف الشباب والطلبة موقع الولاية الرابعة التاريخية من الناحية الإستراتيجية، أو العسكرية أو السياسية أو الاجتماعية. الولاية الرابعة تمتد من البحر أي من زموري شرقا إلى ما بعد تنس غربا، ومن البحر في اتجاه العمق أي باتجاه الجنوب حيث تصل إلى "لا روكيت" أو عين وسارة.

في هذه الولاية أي في الوسط ظهرت حركات مناوئة للثورة، وقد سبق ذكر هذه الحركات.

أوجه شكري للأساتذة المتدخلين والذين تابعوا بجدية هذا الموضوع، لا أود أن نوجه لوما لهم، فهم يحاولون البحث عن الحقائق هنا وهناك و عند فرنسا، وليس لديهم أشياء يركزون عليها حتى يعطوا صورة عامة عن هذه الحركات المناوئة للثورة.

ذكرنا الحركات المناوئة بأسمائها، ولكن لا يخفى عليكم أننا عشنا ظروفا في هذه المنطقة بالذات والتي كانت الشجاعة فيها بمثابة التهور لأنه عادة ما يقرن الشجاع بالمتهور،كما يقرن الجبن بالحكمة، والخديعة بالذكاء وهكذا. والخيانة اليوم عندما نتكلم عن التاريخ أصبحت وجهة نظر، حتى الخيانة أصبحت وجهة نظر.

عندما نحاول جمع الحركات المناوئة ووضعها في درج واحد يجب أن نذكر الأشياء بمسمياتها.

فالأخ سي علي لونيسي الذي كان أول مسؤول على هذه المنطقة بعد مؤتمر الصومام، قال إنه لا يجب أن نجعل على قدم المساواة الشيوعي الذي كانت له إيديولوجية وبين خائن في ثكنة فرنسية ويقاتل بسلاح فرنسي، يجب التفريق والفصل بين الإثنين. وأقول لكم إن الشيوعيين وبغض النظر عن أفكارهم الشيوعية، كانوا أرحم وأشجع من المصاليين، كانوا أرحم بالنسبة للثورة، لكن بنوع من الشجاعة حيث يصرحون بشيوعتهم "يقول لك أنا شيوعي ماركسي" لكنهم لم يخادعوننا.

فأول دفعة للسلاح والتي كانت قليلة (10 رشاشات) تلقيناها من عند الشيوعيين وأنا رأيتها.

طبعا كان جس النبض هذا من طرفهم بمثابة اتصال مفاده نحن هنا " رانا هنا". لست أدري إن كانوا يريدون بهذا الحوار أم أنه كان عربونا. حدثت هذه العملية في مدينة بوقرة وأخت

المرشح"مايو" هي من أحضرت الرشاشات والذي جلبها إلى مدينة بوقرة شهيد نعرفه كنا ندعوه "قويدر الصغير" و"الشريف الربيع" من دوار "أولاد سلامة".

وبتلك الأسلحة التي جاءتنا، كنا محشورين في إحدى القرى تدعى "زولي" نواحي "بوالبان" فوق "بوقرة" وكنا كل أمسية نبعث بمحافظ أو بمسبل للقرية حتى يعدوا لنا قليلا من الأكل أو لتحضير المبيت عندهم أو الاستفسار عن بعض المعلومات عندهم.

كانوا يأكلون الطعام الذي كان يحضره الشعب لنا، لأنه كانت لديهم اتصالاتهم. فهم كانوا في السابق منتمين للحركة الوطنية، كانوا دائما على علم عندما تكون العجائز والنساء في صدد تحضير الطعام لنا كانوا ينتظرون إلى غاية الانتهاء من الإعداد فيحضرون ويتناولون الأكل المخصص لنا لأنهم كانوا أقوى منا سلاحا وأقدم منا في الحركة الوطنية وربما كانوا أذكى منا في ذلك الوقت.

المصاليون كانوا عندما يقبضون على أسير من جبهة التحرير، أو من جيش التحرير يذبحونه من خلف الرقبة وليس من الأمام حتى تدركوا درجة ذلك العنف والحقد الذي مارسه علينا المصاليون.

وأذكر أسماء بعض الضباط "كعبد الرحمان بلعفو"، "عمر النقيس"، "بكباشي" من تيزي وزو، 11 شخصا ذبحهم المصاليون في دوار "البعيش" غرب قصر البخاري، عثرنا عليهم مذبوحين من

خلف الرقبة لماذا أذكر هذه الحادثة؟ لأنني حضرت في عدة مناسبات وفي عدة محاضرات أين كان سياسيونا وللأسف والذين كانوا في السابق يقودوننا بمعنى أنهم كانوا هم المسؤولين ومنهم من وصل حتى إلى طاولة المفاوضات، أي أنهم تفاوضوا باسم الثورة وقد تفاوضوا من موقع قوة، للأسف يوظفون التاريخ في السياسة، فالسياسة شيء والتاريخ شيء آخر عندما نوظف السياسة في التاريخ فهذا يعني شيئا واحدا وهو أنك لا تريد قول الحقيقة أو أنه لديك خلفية من وراء أقوالك.

في مناسبة من المناسبات قام أستاذ وقد خشيت منه في البداية لأنه كان فصيح اللسان، متمكنا، تتوفر فيه كل الشروط لكتابة التاريخ وكان المحاضر في تلك المناسبة مسؤولا كبيرا عملاقا من عمالقة الثورة، وصفوا مصالي الحاج على أنه هو الأب الروحي للحركة الوطنية ولما لا يصبح بعد فترة هو الأب الروحي للثورة بهذا المعنى فإنه وظفنا السياسة في التاريخ، فقلت له "يا أخي إني لا أود مناقشتك لأنني أعلم أنني لست قادرا على مواجهتك".

فبالإضافة إلى تمكنه كان الشخص فقيها، فقلت له "أريد أن أسألك سؤالا هل كان خالد بن الوليد في فترة من الفترات أثناء " الثورة الإسلامية" "حركيا" أم لا؟ كان قبل إسلامه مع المنافقين وقد قاد المعارك التي خسرها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ولما أسلم أصبح سيف الله المسلول كما كان يسميه الرسول صلى الله عليه وسلم، قلت له لو حدث العكس. لو

أنه كان مسلما وانضم إلى جناح المشركين، سنسميه مرتدا أليس كذلك فقال نعم. فقلت له إذن مصالي الحاج، بالنسبة لنا مرتد، مرتد.

اليوم سمي مطار باسمه، لست أدري من لديه حق إعطاء صك على بياض من موقع معين؟ صك على بياض في التاريخ. التاريخ هو تاريخ الناس جميعا، تاريخ الأجيال بكاملها وإذا بدأنا الآن في خلط الأمور عليكم، فإن الأساتذة والمؤرخين عندما سيبحثون لن يجدوا شيئا.

فعندما يدلي مسؤول كبير بشهادة كهذه فماذا سيقول الطالب أو الباحث؟ ليس لديه ما يقول طبعا، سيقول ربما هذه هي الحقيقة. وحتى لا نطيل عليكم فإن الولاية الرابعة كانت لديها خصوصياتها وكانت لكل ولاية تاريخية خصوصياتها، وللولاية الرابعة خصوصيات نادرة لا نجدها في الولايات الأخرى لماذا هذا الأمر؟

أولا: للكثافة البشرية حيث يتواجد كل الجزائريين في هذه الولاية.

ثانيا: لكوننا كنا محظوظين حيث كانت لدينا جامعة هنا. لقد مر علينا في المنطقة 11 طبيبا "كسي بوعلام بن صديق". ولم يكونوا كلهم من الناحية باستثناء إثنان فقط، لقد جاءوا من الشرق ومن الغرب من بني ميزاب، من ندرومة، ومن سوق أهراس.

ربما كان التكوين الجامعي، وكثافة المدارس هي التي أعطت هذا الطابع للولاية. وقد تركزت هذه الحركات المناوئة هنا ولكن نقطة

الضعف التي كانت لدينا في مكافحة الحركات المناوئة للثورة. وقد عرفناها في ما بعد . نتجت عن مؤتمر الصومام وتتمثل في عدم التنسيق، أي في عدم وجود هيئة أو مجموعة، تقوم بالتنسيق في ما بين الولايات، حيث كانت كل ولاية حرة في حدود أرضيتها، وليس للولاية حق التدخل في الولاية المجاورة لها، وإن حدث وأن تدخلت فإن تدخلها سيوصف بغير القانوني، ولهذا رأينا في ما بعد في بعض الولايات...

المصاليون كانوا بكثافة في منطقة القبائل ومن ثم توجهوا إلى الوسط ولما قاومهم الشعب وجيش التحرير في الوسط توجهوا إلى الجنوب واستولوا على الممر الذي يربط مسيلة أو بريكة إلى غاية جبل عمور إلى غاية الولاية الخامسة في ما بعد.

أصبح جسم الثورة مصابا بأمراض كلفت الثورة في ما بعد أثمانا باهظة. ولهذا أقول للإخوة الأساتذة، إنه لم يحن بعد الوقت للإطلاع على الأرشيف، لم يحن الوقت بعد. يجب الاعتماد على النفس وحاولوا بالمجهود الخاص كيف فالأرشيف إما أن يكون البعض منه قد أهمل ونحن لا نتمنى أن يكون هذا الأمر قد حدث فعلا وأما البقية فلسنا ندري أين هي الآن ؟ والسؤال الذي نطرحه لماذا؟، لماذا؟ لأننا نحن ليس لدينا أسرار، القانون ينص على مرور خمسين سنة على الثورة حتى يفتح الأرشيف، نحن لا نعتد بهذا الأمر. نحن طلبنا تسمية الأشياء بمسمياتها لأن هناك أمران، هناك الخيانة وهناك عدم الخيانة.

بلحاج هذا الذي ذكره سي علي، عندما أحضر رأسه ، قال عنه سي محمد آنذاك كلمة . فما كنا نعرفه عن بلحاج هو كونه حركي يملك جيشا ويحارب الثورة – في خطابه للمجموعة كلها. وكان رأس بلحاج معلقا في كيس إلى جذع شجرة وقبل البدء في الخطاب قال لا تستغربوا قبل الكلام معكم إن قلت لكم إن صاحب هذه الرأس المعلقة أمامكم كان في يوم من الأيام المسؤول عني، وبدأنا نتبادل النظرات في ما بيننا لأننا لم نكن نعرف هذا الأمر من قبل.

هؤلاء المصاليون الذين برأهم الناس، بل القيادات، أنا الآن أتكلم عن القيادات، أنا لا أفهم في الأمر شيئا فالماريشال "بيتان" يعد خائنا إلى يومنا هذا ونحن نسمي مطارا باسمه.

لست أدري، هل الذين ماتوا وهم أصلا كانوا في الحركة الوطنية وأنا قلت أنهم كانوا أقدم منا في النضال في صفوف الحركة الوطنية هل نعتبرهم مجرد حادث وقع في الطريق Accident dans la route moutonnière

المجاهد علي أمقود الولاية الثالثة

هناك ثلاث منظمات كانت ضد الثورة في الولاية الثالثة. نبدأ بالكلام عن منظمة المصاليين ثم عن بلونيس الذي اتخذ من جرجرة مركزا له طبعا سنتساءل لماذا اتخذ من جرجرة مركزا له.

أولا: لأن العناصر التي اتبعته جاءت أغلبيتها من فرنسا وهي من هذه الناحية. كانت هناك أماكن أخرى كمزرانة أو جبل بوبراكي بالقرب من منطقة برج منايل إلا أنه اختار الذهاب إلى جرجرة. نورد هذا الكلام حتى تعرفوا سبب اختياره لهذه المنطقة.

ثانيا: أدركت بعض عناصره، أنه لم يكن يسير في الطريق السليم فقررت الرجوع إلى الجبهة. وحدث ما حدث.

من تم انتقل بلونيس إلى ملوزة. والاخوان لم يذكروا تنقله إلى منطقة ملوزة، ولكن في ملوزة حدث ما حدث كذلك، وحبذا لو أن الاخوة من الولاية الأولى والثانية والثالثة ... لأنهم يعرفون جيدا ما حدث في ملوزة.

وكان لدينا كذلك" القومية" وهم معروفين على المستوى الوطني. كما كان لدينا الدفاع الذاتي، لقد قاموا بتسليح "دواوير" وكانوا يسمون هؤلاء بالدفاع الذاتي L'auto-defense.

وقد حدثت عندنا مغامرة لن تجدونها في كامل الولاية بل في المنطقة الثالثة فقط، وهي عملية العصفور الأزرق L'oiseaux bleu.

وتتمثل هذه العملية في خائن أراد تسليح بعض العناصر لمحاربة الجبهة ولكنه لم يجد رجالا فأقام اتصالا مع شخص كان مسؤولا في حزب الشعب في منطقة عزازقة، أقام اتصالا حتى يجس النبض، لأن هذا الشخص بعدما كان متقلدا لمسؤولية في حزب الشعب تحول إلى بائع ساندويتشات. ففكر بما أنه لم ينضم إلى الجبهة أو إلى الجيش فإنه من المحتمل جدا أن يربحوه كشخص.

كرر الاتصال معه حتى رد عليهم ذلك الشخص بالإيجاب واتفقا على أن يحضر أحدهما سلاحا والآخر رجالا ولم يكن المكلف بإحضار السلاح على علم بأن المكلف بإحضار الرجال كان تحت إشراف العقيد سي سعيد بريروش رحمه الله من منطقة إعزوقن.

يجب أن تخصص ندوة لتناول هذا الموضوع، لقد جلبوا أكثر من 1000 قطعة سلاح. وقاموا بتسليح الولاية بكاملها بأكثر من 1000 قطعة سلاح.

وقد بدئ في هذه المغامرة سنة 1955 حينما جاء سوستال في gouvernement Général d'Algérie وشرع في تكوين القوة الثالثة في الوسط كما قال البارحة سي لخضر أي في الولاية الثالثة والرابعة المكونة للوسط وذلك بغرض تخريبهما.

وأطلب من الاخوة في وزارة المجاهدين دراسة عملية العصفور الأزرق التي جرت أحداثها في الولاية الثالثة. والسلام عليكم.

المجاهد محمد شريف

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سبقني سي محمود الباي بالكلام عن ما وقع في ذلك الاجتماع أنا لم أكن حاضرا فيه، ولقد روى لكم سي محمود كيف جرت جلسة هذا الاجتماع، وكيف بدأت وكيف انتهت.نحن كنا في وحدة قتالية هي كوموندوس علي خوجة رحمه الله وكان بقيادة سي عز الدين.

ذهبنا إلى الاجتماع رفقة سي محمد الذي كلفته لجنة التنسيق والتنفيذ بالتحقيق في قضية شريف بن سعيدي. وقد بدأت هذه القضية بهروب جماعة من المجاهدين من عنده وهم حقيقة من أخبرونا بأمره، جرى هذا في أواخر ماي وبداية جوان 1957.

وقد طلب سي محمد من سي لخضر وسي عز الدين مرافقته، كما كان ضمن المجموعة التي ذهبت معه الشيخ الطيب الجغلالي ونايف وقد نسيت اسمه الكامل كما كان معه موحة القاضي ومسؤولين آخرين ولكن لا أعرف أسمائهم.

انطلقنا نحو الولاية السادسة، ووصلنا ناحية "الربعية" فقام بتجميع أهالي ذلك العرش على ما أظن أنه كان دوارا وليس عرشا. وكلمهم في هذا الأمر وطلب منهم الاتصال بسي شريف والالتقاء معه وأعلمهم بأنه مرسل من لجنة التنسيق والتنفيذ.

وبعد يوم أو يومين وصل الخبر إلى جميع الأعيان الذين حضروا إلى ذلك الاجتماع أما عن ما جرى في ذلك الاجتماع فلا يمكنني أن أتحدث عنه لأنني لم أكن حاضرا فيه ولكن نحن المحيطين بالاجتماع والمقيمين في مختلف المنازل اتصلنا بجنود شريف بن سعيدي فجاءوا إلى ذلك المكان ولاحظنا كيفية تصرفهم مع الشعب هناك.

أتذكر أنه عندما دخل إلينا في المنزل الذي كنا نقيم فيه، قال لأصحاب ذلك المنزل، إما أن تستضيفوهم كما ينبغي أو تعرفون مصيركم مشيرا بيده إلى رقبته بمعنى أن مصيرهم سيكون الذبح.

هذه هي الطريقة التي كانوا يتعاملون بها مع الشعب ولم نكن على علم بهذا الأمر لأن سيرتنا نحن مع الشعب كانت جيدة. فهم كانوا يعتبروننا بمثابة أبنائهم ونحن بمثابة الآباء لنا.

بعد الاجتماع طلبوا منا تهيئة أنفسنا لأنه كان من المحتمل أن ننتقل إلى مكان آخر وهيئنا أنفسنا وكنا ننتظر الأمر بالتنقل. وبعد منتصف الليل أمرونا بالخروج من البيت. انتقلنا إلى ناحية كاف الأخضر وانتظروا قدوم شريف بن سعيدي لكنه لم يحضر واحترنا نحن في أمر سي محمد الذي تركه يذهب لتناول وجبة العشاء. في ذلك الوقت لم يكن لدينا مستوى تفكير سي محمد.

حاولنا اللحاق به وقد لحق به شخص يدعى أحمد قارة وأطلق عليه الرصاص ولكنه لم يصبه. هرب وواصلنا ملاحقته إلى غاية

أن وصلنا إلى مكان يدعى قرقور في الكاف الأخضر به شلال، مياهه تخرج من قلب الجبل بقينا هناك وأقامت الجماعة وسي محمد في منزل شخص يدعى الحاج لخضر.

وفي الغد أرسلوا مدنيين- كانوا مناضلين . لشراء بعض الحاجيات من القرية Village وفي العشية رجعوا وأحضروا لنا المشتريات.

وعلى الساعة الرابعة أو الخامسة مساء أخبرونا بقدوم قوافل العساكر الفرنسية، طبعا هيئنا أنفسنا، ووقع هناك اشتباك كبير، وقد قضينا على العساكر التي دخلت في وسطنا في ظرف ساعة أو ساعة ونصف وغنمنا حوالي 20 قطعة أسلحة من نوع 24- 29 وأسرنا دركيا من أصل جزائري يدعى سي الحسين أخذناه معنا وظهر أنه كانت لديه اتصالات مع النظام في ناحية، بلدة تدعى "دومينيك لوسياني" في تخمارت في تيارت.

ولما ثبت أنه كان فعلا يعمل مع الثورة قاموا بضمه إلى الجيش وعلى ما أظن والله أعلم أنه استشهد في نواحي الونشريس.

عندما رجعنا إلى ماجينو لم نصل إلى ماجينو بل إلى مقارب البرج فقط وعند خروجنا من " حد الربعية" أقام لنا هناك سي محمد شبه ندوة ووضح لنا سبب إخلاء سبيله وقد تطرقنا كذلك لعدة قضايا كالحملة الفرنسية على مصر أثناء قضية السويس.

ومن عادة سي محمد طرح الأسئلة على الجنود حتى يكتشف المواهب وعند انتهائنا من هذه الندوة تركنا رفيقين، لأنه جاءتنا

رسالة من عند أوعمران من مدريد يطلب فيها أن يبعثوا له بشخص يدعى الوناس بوشيبان من البرواقية. كان أوعمران يعتبره بمثابة إبن له. كان أصغر العناصر سنا في الكوموندو. طلب أوعمران أن يبعثوا له بالوناس رفقة شخص يدعى "عقبة" ويلقبونه "بسعد محمد" وهو من أوائل المجندين في الثورة في منطقة الأخضرية والبويرة.

في الحقيقة هذه هي الوقائع التي حضرتها والتي شاهدتها والتي أتذكرها. رجعنا إلى ولايتنا لكن في الطريق حدثت لنا أشياء كثيرة، حيث التقينا بالعساكر الفرنسية عدة مرات كانوا يتفادون مواجهتنا في بعض الحالات كما كنا نحن نتفادهم حينما ينال منا التعب كثيرا، هذه هي الثورة.

أعتقد أنني قلت كل ما عندي والسلام عليكم.

شهادة مقدمة من لخضر بورقعة عن بوعلام أوصديق
الضابط في جيش التحرير والمكلف بالإعلام
في الولاية الرابعة

عندما كان العدو يقنبلنا، كنا نحن نرد عليه ببوعلام أوصديق. حيث عندما جاء الجنرال ديغول على رأس الجمهورية الخامسة ألقوا بمناشير في الجبل الذي كنا نحن فيه وكان على وجه المنشور صورة للجنرال ديغول بزيه الذي دخل به باريس عندما حررها الحلفاء وفي ظهره تسريح بالمرور.

وجه المنشور كان موجها للذين لا يعرفون القراءة، لأن صورة ديغول كانت عبارة عن دعوة موجهة لهم من طرف العساكر الفرنسية للانضمام إليهم. أما ظهر المنشور فكان مخصصا للذين يعرفون القراءة، وقد كتب على التسريح مايلي" General De Gaulle au pouvoir presentez ça au pouvoir"

وسي بوعلام أوصديق الذي نتمنى له الشفاء العاجل وسترونه في مناسبة أخرى من المناسبات إن شاء الله رد عليهم بمقولة وهو صاحبها: "Un goal, De Gaulle le but sera marqué"

تدخل: الأستاذ رشيد باقة

جامعة الأمير عبد القادر

– قسنطينة–

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

يجب أن نضبط قضية المصطلحات بدقة حتى لا نقع في الشبهات، هناك حديث ديني يقول "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن يتقي الشبهات فلقد استبرأ لدينه" ونفس الشيء يقال على ميدان التاريخ. إذن لا بد من توضيح المصطلحات، خاصة الهامة منها. مثلا في ما يخص مصطلح الحركات المناوئة، ماذا نقصد بمصطلح المناوئة؟ هل معناه الحركات المعارضة؟ ماذا كانت هذه الحركات تعارض؟ هل أن هذه الحركات كانت تعارض الكفاح المسلح؟ أم أنها كانت ترفض الانضواء تحت مظلة جبهة التحرير؟ il faut faire la part des choses .إذا كانت تعارض الكفاح المسلح فهي حركة خائنة، أما إذا كانت ترفض، أقول ترفض الانضواء تحت لواء جبهة التحرير الوطني وهنا يا جماعة لم أت بشيء من عندي بل من الندوة، لأن البارحة فقط طرح ما يسمى بقضية "Le Maquis rouge" ، "le maquis des communistes" الشيوعيون يا جماعة معروف عنهم أنهم أبطال الحركات الثورية Les champions des mouvements révolutionnaires ولا أحد بإمكانه أن يزايد على الشيوعيين في ميدان الحركات التحررية.

تعقيب الأستاذ محمد مجاوذ

بودي أن أضيف بعض الملاحظات حول مداخلة الأستاذ قورصو القيمة والتي أبرز فيها الأفكار المناوئة والهدامة لقيم الثورة النوفمبرية.

في قضية "كتاب تاريخ جبهة التحرير من الداخل" « histoire intérieure du FLN » لكاتبه "Gilbert Meynier" هناك مجموعة من الملاحظات أريد إضافتها.

الفكرة الأولى تتمثل في: أن ما جرى في الجزائر بالنسبة لمينييه هو حرب وليس ثورة، بمعنى أن الثورة الجزائرية ليس لديها مشروعا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وقد قارنها بالثورات الأخرى.

الفكرة الثانية: إن جيلبار مينييه يعتبر بأن الثورة بمفهوم العنف قد سبقت التنظيم السياسي، أي أنها سبقت الفكر وبالتالي هناك مناوئة لتحطيم قيم الثورة الجزائرية، بمعنى من سبق؟ هل الثورة أم التنظيم، جبهة التحرير أم الثورة؟ إلخ وهذا الأمر لابد من الإشارة إليه.

الفكرة الثالثة: وهي الخطيرة جدا، حيث يقول إن الثورة الجزائرية قد ساهمت في إخفاق ما يسمى بالبعد الحضاري لفرنسا وهذا ما جاء على لسان الأستاذ قورصو. في القانون الذي يريد من خلاله إبراز إيجابيات الاستعمار الفرنسي.

المجاهد عمر جناد من الولاية الثالثة التاريخية

بسم الله الرحمن الرحيم، أولا أستسمح الاخوة المختصين في التاريخ وبالخصوص الأستاذ قورصو.

لحد الآن لا يزال هناك مجاهدون على قيد الحياة. ولحد الآن لا زلنا نتعرض... في آخر حياتنا وها أنتم ترون كيف أن الكثير من المجاهدين يفارقون الحياة.

يبدو لي لحد الآن . وليسمح لي الدكتور . أنه لا يوجد حياد بالمعنى العلمي والصحيح في ما يخص الاستعمار وكتابة التاريخ لأنه مهما كانت محاولات أي مؤرخ لتبيان بعض الحقائق، إلا أن فكره الأساسي يجعله يحافظ على أسس دولته، وسلامتها وكرامتها بأي طريقة كانت وبمنهجية علمية.

وأذكر في ما يخص قضية شريف سعيدي . وكما ذكر سي محمود وسي محمد شريف . أنه كان جنديا في الجيش الفرنسي و إذا كان من الممكن أن نذكر وننبه المؤرخين إلى ضرورة فهم الوضع العام للجهة التي يكتبون عنها.

من برج منايل تركز بلونيس في جبل جرجرة، ذهب إلى الجهة الشمالية والجنوبية أي إلى البويرة وناحية "أقني يغرا"، وقد تركز تركزا كبيرا. ولهذا فبعد معركة "بوقاعة" تجمعوا في جرجرة ثم جاء سي محمد رحمه الله، "الروجي"، "أوعمران"، "كريم بلقاسم" " وعبد الرحمان ميرة" أي كل جيش التحرير الذي كان

آنذاك قبل تشكيل الولايات. شاركت في هذه المعركة التي دامت ثلاثة أيام، ثم تسرب بلونيس نحو الجنوب فذهب إلى ملوزة ثم إلى بوسعادة ثم استقر في دار الشيوخ إلى غاية أن قتل.

ومن جهة أخرى أين تمركزت بقايا المصاليين؟ لقد بقوا في قصر الشلالة أين كان شريف سعيدي يتجول.

تنبيه آخر شريف سعيدي كان ينتحل أسماء سي شريف وسي علي ملاح. كان يضلل الناس منتحلا اسم العقيد سي الشريف.

حتى المساعد "adjudant" الذي تجندت على يده قتل شر قتلة من طرف شريف سعيدي ويدعى سي "علي أوبهة" وهو من القبائل الصغرى.

تعرفون أن تاريخ الولاية الرابعة والثالثة تاريخ مشترك ففي الجهة الشرقية هناك الولاية الثالثة أي في الطريق الممتد من سور الغزلان إلى غاية بوسعادة وفي الجهة الغربية توجد الولاية الرابعة. لماذا هذه المنطقة ؟ لأن سي شريف عندما عين مسؤولا على هذه المنطقة لم يكن بإمكانه تجاوز سيدي عيسى لأن إلى الأمام كان يوجد بلونيس مع المرحوم سي زيان.

هناك ظروف غامضة ولا يمكننا الآن التحدث عنها لأن هناك أطراف لازالت على قيد الحياة. ولكن الشيء الذي أريد أن ننبه أبناءنا عنه هو عدم وجوب قراءة التاريخ بسلبياته فقط. فالسلبيات موجودة في العالم بأكمله. لا توجد ثورة العالم أو نظام تأسس،

حتى الولايات المتحدة الأمريكية وعندما تقرأون تاريخها ستدركون كيف أصبحت دولة تتحكم في العالم .

هناك ظروف، هناك مراحل يجب أن نتجاوزها حتى تتركز. لهذا نطلب من كتّابنا وحتى من الصحافة التي لا تفهم في بعض الأحيان الوقائع التكلم بدون الرجوع، يا أخي ارجع، ارجع كما قال "سي بلقاسم" إلى الجماعة يعطونك تفسيرا وحينها فسرها أنت كما تشاء، لأنه وصلتنا قضايا داخلية أثناء الثورة و لازال الأشخاص أو عائلاتهم على قيد الحياة ولهذا لا يمكننا الحديث عنها .ولهذا على الشخص أن يتوخى الحذر ولا يفسر التاريخ تفسيرا بعديا، فالتاريخ يفسر حسب الظروف التي وقعت فيها الواقعة.

لا يجب أن ننتظر حتى يجيئنا علم لتفسير التاريخ كما قال الأستاذ الذي تكلم من قبل وهذه هي فكرتنا كمجاهدين.

يجب على المؤرخين أن يعتمدوا على المسائل الاجتماعية والمسائل المحلية كي يفسروا ويصلوا إلى نتيجة معينة، وبأن الجزائر لم تكن موحدة والدليل مسألة بسيطة خيانة شريف سعيدي إلى أين وصلت نتيجتها؟ إذا كان بالامكان تغطية سلوكه في الوهلة الأولى كما قيل على أساس أنها نزاع بين القبائل والعرب أو أنها قضية جهوية، لكن التاريخ بين الآثار التي جرت في ما بعد وبين حجته ومبرره. فشريف سعيدي انخرط في الجيش من اليوم الأول كخائن، كمجموعة خائنة . حاولت ليست

في هذه المنطقة بل في عدة مناطق أخرى ـ التسرب داخل الثورة. وظاهرة التسرب هذه لازالت موجودة إلى حد الآن ولا توجد دولة واحدة نجت من هذا الأمر أو دولة ليس لها مخابرات. هذا شيء طبيعي ولكن غير الطبيعي هو أنه يوجد من أبنائنا وأساتذتنا من يرجعون بدون حذر في تفسيرهم إلى ما كتبه الأجانب. فهذا الذي ترجع إليه قد أخذ من مراجع دولته ونظامه، وأنت من أين أخذت؟ أنت حتى تحكم في قضية يجب أن يكون لديك رأيين، أرجع إلى شعبك، أرجع إلى الأماكن التي وقعت فيها الأحداث، أرجع إلى كيفية وقوع هذه الأحدث وأعطي لها تفسيرا. هذا ما أردت التنبيه له وشكرا.

المجاهد فنطازي بلقاسم الولاية الثانية التاريخية

أيها الإخوان السلام عليكم،أقدم لكم شخصي أنا فنطازي بلقاسم مجاهد من الولاية الثانية ومسؤول وطني في المنظمة إلى غاية 1973 .

ولو أن هذا الأمر لا يهم موضوعنا في شيء ولكن نساهم بحضورنا هنا ببعض المعلومات الخاصة بالمحيط العام للثورة.

أولا لدي ملاحظة متشعبة ومفادها أن مصالي هو أب الوطنية. مصالي معروف وقد سجل له التاريخ أعماله الصالحة وغير الصالحة وليس لدينا ما نضيفه في هذا الشأن.

ولكن هناك إجحاف في حق الشعب الجزائري، ألاف من الأشخاص ساهموا منذ الاحتلال بنضالهم في إطار الثورات الصغيرة والمحلية والفردية والجماعية وحرام أن ننسب هذا النضال كله إلى شخص واحد، سواء كان بدافع العاطفة أو بدافع الأنانية. فهذا لا يصح وحرام.

لقد تغلب العمل السياسي على العمل العسكري في الولاية التي كنت فيها ومن جملة هذه الظاهرة أنه جاءتنا تعليمة تأمرنا بعدم إرسال تقارير عن تلك العمليات التي ننسحب منها سالمين.

في العرف السياسي العالمي فإن كل الحركات الوطنية والمناوئة لحكمها أو لغيرها يجب أن تخترقها دسائس. كعشبة "النجم" منها ما يحصد ومنها ما يخلق من جديد. لا غرابة في هذه

الجماعة كما ذكرنا بالنسبة لكوبيس أو غيره أو في عملية تبسة أو غيرها من العمليات فهي كلها من دسائس الاستعمار حتى لا يتمكن الجزائريون الوطنيون من الوصول إلى الحكم ولو سياسيا.

من كان وراء أحداث سطيف؟ الذي كان وراءها هي حركة "AML" أحباب البيان والحرية الكبيرة التي جندت كل الناس:

أولا لأن هناك عامل الخيبة الذي أحدثه "تكسار" الفرنسيين.

ثانيا عامل التعطش للفوز بالحرية الذي نتجت عنه أحداث 08 ماي وكانت وراءه حركة AML التي عمت البلاد كلها.

في إحدى المرات جاء عباس وأنا كنت حينها تاجرا في مستغانم وكان من المقرر أن يعطينا أحد اليهود قاعة سينما لعقد اجتماع في هذا الاطار ولكنه أخلف وعده. وكان هناك شخص يدعى زواوي من بلاد القبائل مدير مؤسسة مدرسية وصديقا لسي عمر رحمه الله وابنه حاليا يشتغل مدير بنك مالي، فقلت له" كيف يا سي عمر كيف يحرجنا هؤلاء النصارى، " كيف يبخصونا هادو نصارى" فقام بفتح المدرسة وفي غياب المدير وسمح لهم بعقد الاجتماع لأنه هو كذلك كان يؤمن بخطاب عباس، الخطاب كما تعرفونه.

الشيء الغائب قليلا عند جماعة الباحثين في التاريخ، هناك أشياء كثيرة عند الشعب، عند الأهالي الذين عاشوا في المناطق المحرمة، اجعلوهم يتكلمون وسيعطونكم الكثير

ربما نحن كمجاهدين نتحيز أو نحب الافتخار، لكن الشيء الكثير ستجدونه عند سكان المناطق المحرمة، حتى عندما جاء شال وأخرج معه الكثير من السكان إلا أن العديد منهم بقي مع المجاهدين وهم شهود. لأنه لا يخفى عليكم أن هؤلاء الناس الذين بقوا ببغالهم وحميرهم معنا في الجبال هم من كانوا ينقلون ويعرفون كل صغيرة وكبيرة ويفهمون كل شيء.

في إحدى المرات كنا في المركز، وعندما حضرت العساكر الفرنسية أردنا الانسحاب وهممنا بالخروج وعندما صعدنا إلى أعلى صادفنا إمرأة قالت لنا " وين رايحين مراتي بن مراتي، روحو أضربو لعسكر" أين أنتم ذاهبون، اذهبوا لتقاتلوا العساكر. كان هذا الأمر من تبنيهم للكفاح ضد المستعمر.

نحن في الولاية الثانية نظمنا الفتية " أولاد صغار" تتراوح أعمارهم من 08 . 12 سنة في أفواج وكانت لدينا قوائمهم.

في كل مركز كانت تأتينا كل المعلومات، صغيرة وكبيرة عن الذي سرق وعن الذي فشل وعن الذي أخبر العساكر أو أنهم أحضروا خبزا إضافيا وهموا بالخروج. كل المعلومات كانت تأتينا حتى خبر غسيل الملابس و نشرها تصل إلى "الفلاقة". كانت لدي قائمة تضم 100 طفل.

لقد كتب أنه مع توقيف القتال أنشأت جماعتنا مدارس. ففي منطقتي قمت بإنشاء 901 قسم حيث حولت "البراكة" و"القيطون" إلى أقسام. وكان كل من يحمل شهادة بالعربية أو بالفرنسية

يكون بإمكانه التدريس. كما كانت لدينا قائمة بأصحاب الشهادات.

بقيت قضية الوثائق، ولازالت عندي وثائق لأنه في 25 جويلية 1962 غير اللواء الذي كان في منطقتنا فأخذت الوثائق التي كانت موجودة والتي كنا نعمل بها وأعطيت نصيبا منها إلى قسنطينة ونصيبا آخرا لا يزال موجودا عندي.

ولا يزال عندي حتى "الرونيو" وإن شاهدتموه ستعتقدون أنه جديدا، اشتغلنا به سنتين. وهناك أشياء كثيرة من هذا النوع.

كنت قد أعطيت لجهة معينة خريطة عسكرية تمثل قنبلة منطقتنا (قسم من الولاية الأولى وقسم من الولاية الثانية) وعندما بحثت عنها لم أجدها عندهم.

إن هذه النخبة من الوثائق أصبحت جزءا منا، خبأتها مدة 20 سنة وعندما جئت من قسنطينة إلى هنا "الجزائر" قال لهم أحد رفاقنا ولكنه لم يكن يسير في خطنا " الشنقيطة راه يخدم في لتراكت لبوضياف" أي أن الشنقيطة يعد في مناشير لبوضياف"، فأرسلت لأخي وأخذ الوثائق وخبأها تحت الأرض مدة 20 عاما من سنة 1964 . 1984 وهذا يدل على حرصنا على تبليغ الأمانة.

والسلام عليكم

المجاهد علي لونيسي الولاية الرابعة التاريخية

بسم الله الرحمان الرحيم، بودي قبل كل شيء تقديم الشكر للأساتذة الذين سبقوني في هذه المنصة و الذين أفادونا بمعلومات قيمة.

وللتاريخ فقط فإن قضية البلحاجيين « Les Belhadjistes » كما كنا ندعوهم آنذاك أثناء الثورة لم تنجح في الولاية الرابعة وكلف بمكافحتها سي عمر أوصديق والذي لم يذكر ولكن لعب الدور الرئيسي في إفشال المحاولة، كان هو المهندس والحق يقال في هذه القضية.

ذكر اسم بوشوشي رحمة الله ولكنه لم يلعب دورا رئيسيا في هذه القضية لأنه كان آنذاك ضابطا بسيطا في الهيكل الولائي.

صحيح أن سي محمد بوقرة قد تابع القضية ولكن كلف سي عمر أو صديق رحمه الله بهذه القضية إلى غاية أن وصلنا رأس بلحاج عبد القادر.

هذه هي الملاحظة الأولى التي أردت إبداءها، أما الملاحظة الثانية وللتاريخ كذلك فإن بلحاج لم يلعب دورا عسكريا، الدور المنوط له من طرف الاستعمار الفرنسي كان دورا سياسيا، فنحن كنا ندعو إلى أن جبهة التحرير هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، وحاولت فرنسا طبعا مخالفتنا في هذا الرأي وذلك بالتخطيط لمناورات، كتلك التي قادها كوبيس أو آخرون.

ولدي ملاحظة في هذا الأمر وهي أنه لا يمكننا إجراء مقارنة بين المنظمات المناوئة، أي إجراء مقارنة بين الشيوعيين البلحاجيين. فالبلحاجيون كانوا ضد الثورة بعكس الشيوعيين الذين لم يكونوا ضدها بل أرادوا أن يلعبوا دورا سياسيا لإبراز الحزب الشيوعي وربما تحركوا بأوامر من الحزب الشيوعي الفرنسي أو الحزب الشيوعي الدولي.

إذا يجب علينا أن نفرق بين الأشياء، فالإخوة تكلموا كثيرا عن الحزب الشيوعي وعن Le Maquis rouge إلخ هؤلاء كانت لهم أهداف أخرى، أهداف سياسية، لا نستطيع أن نضع بلونيس في نفس الخانة مع لابا أو مع مايو، فمايو استشهد واغتالته فرنسا والحق يقال حتى يكون الشخص صريحا.

في ما يخص قضية البلحاجيين Les Belhadjistes لدي معلومات حيث أنه لم يذكر شخصا كان رئيس منطقة وهو سي بغدادي عليلي، وكذلك سي موسى شارف وسي بلحسن، فهم من حارب البلحاجيين حيث وقعت اشتباكات مع بلحاج والاشتباكات مع بلحاج لم تكن اشتباكات عسكرية محضة. كانت عبارة عن تحرشات "de la provocation" كان بلحاج يخرج وينتظر قدوم جيش التحرير لمهاجمته، فتتدخل فرنسا لمساعدته وتقوم بقنبلتنا بالطائرات.

وقعت هناك اشتباكات، وقد اشتبك بغدادي مرارا مع البلحاجيين ويجب أن يذكر هذا الأمر.

كان لدينا خيارين إما أن نحارب كوبيس عسكريا ولكن شعرنا بأنه لا يمكن القضاء عليه لأن فرنسا كانت تساعده عسكريا وإما أن نستعمل معه الحيلة، حيث استطعنا أن نخترق صفوف كوبيس ونسرب إليها بعض العناصر التي انتظرت الإشارة الخضراء من سي عمر أوصديق للقضاء عليه. هذا ما أردت قوله والسلام عليكم.

السيد بلقاسم بلهني
أمين وطني في المنظمة الوطنية للمجاهدين

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نحاول المشاركة معكم اليوم في هذه المناسبة لأنه ربما سأكون غدا من الغائبين.

أنا أنتمي إلى تلك الفئة من الناس التي درست في السابق ولكنها لم تتحصل على أية شهادة. حتى تدركوا أن تدخلي كلام ارتجالي غير مدروس.

ولقد قدم لنا الإخوان دراسات ومعلومات مسجلة في وثائق وحتى الإخوان الذين كانوا شهود عيان حول هذه الحالات أو الوضعيات فلقد بذل كل واحد منهم مجهوده في الشهادة التي أدلى بها. شهادتنا نحن طويلة وكبيرة وسنحاول اختصارها.

سأبدي ملاحظة وهي:

أولا إن أغلب المتحدثين قد أخذوا معلوماتهم من الكتب والوثائق الفرنسية، لأن المصادر الأخرى منعدمة حقيقة.

ثانيا لقد استقوا معلوماتهم كذلك من بعض الكتب والمؤلفات الجزائرية أو العربية والتي لم يكن مؤلفوها قد عايشوا الحدث

وقد قدمت في هذه الكلمات تحاليل، ونبدأ بالمداخلة الأخيرة لأخينا الأستاذ الذي قدم لنا تاريخ الحركات المناوئة في عهد الأمير عبد القادر. لماذا لم ينجحوا؟ لأنهم لم يكونوا موحدين،

لأنهم لم يكونوا نظاما واحدا من مغنية إلى تبسة، هذا هو سبب عدم نجاحهم. الفرق بين الثورات القديمة جميعها وبين ثورة أول نوفمبر يكمن في أن ثورة أول نوفمبر حاولت توحيد نفسها قبل كل شيء من الحدود إلى الحدود حتى يكون بإمكانها محاربة الاستعمار. ولما لم يحدث التوحيد كان لزاما على الثورة أن تأخذ مواقف صارمة بالحق أو بالباطل، لأن ثورتنا ليس فيها الايجابيات فقط، فهي مليئة بالسلبيات أيضا، ونعرف هذا الأمر ولكن لا نتكلم عنه لأنه صعب وصعب جدا.

نتكلم عن توحيد العمل الثوري الذي كان سيقع في أول نوفمبر، الجماعة تكلمت عن هذا الأمر في الماضي وأنا أختلف مع الكثير من الإخوان وحتى الرفقاء أختلف معهم. لكن هناك حالات.

يجب أن يكون لدينا محاضرون، كتاب أو مؤرخون يروون الحياة النضالية يروونها فقط دون القيام بالتحليل. يروون الحياة النضالية للمناضلين وللمسؤولين وللشعب وللمواطنين وغيرهم بدون تعليق. ويجب أن تبدأ الرواية من 1942 وليس من أول نوفمبر 1954، لأن الثورة لم تبدأ سنة 1954 بل بدأت سنة 1942 أي عند نهاية الحرب العالمية الأخيرة. والدليل على هذا واسمحوا لي إن كنت قد وعدتكم بعدم الإطالة لكن جائتني فكرة أخرى، ففي شرشال ـ والإخوة قد تحدثوا عن شرشال من قبل ـ كان العقيد أوعمران رحمه الله أو "بوقرو" كما كنا ندعوه نحن برتبة رقيب في الجيش الفرنسي، في المدرسة العسكرية في شرشال و

الرقيب أوعمران كان شخصا معروفا، كما كان هناك كذلك في شرشال العقيد محمد بن مقدم وهو شخص معروف ومن المناضلين القدامى وكذلك قدور المعسكري من حمر العين وهو بدوره معروف هؤلاء الإخوان الثلاث كانوا منتمين إلى النظام السري للحركة الوطنية قبل 1945. ما الذي فعلوه بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية؟ لقد أقاموا اتصالا مع "القيستابو" لتنفيذ مؤامرة بهدف تكسير فرنسا ومحاربتها من هنا أي من الداخل. وأنا لدي في المنزل، قرار من الحكومة الفرنسية . لم أهيئ نفسي لحضور هذا الملتقى لأنني كنت حتما سأحضره لكم . وهو قرار الحكم بالاعدام من طرف نظام الحكومة الفرنسية على كل من أوعمران ومحمد بن مقدم وقدور المعسكري لتعاملهم مع المخابرات الألمانية ضد فرنسا.

أين يتم تصنيف هؤلاء؟ " وين نعدهم " ولو أنهم انضموا إلى الثورة وكانوا ممن قام بها ومنهم الكثيرين ممن قتل أنذاك أو ممن لا يعرفون.

سنتكلم الآن عن شيء آخر واسمحوا لي بالتكلم عن هذا الأمر. فنحن الجزائريون وبالخصوص نحن المجاهدون وبالخصوص نحن مناضلو الحركة الوطنية سابقا هل "راسنا كان يابسا مثلنا مثل مصالي ومزغنة وبن خدة؟" فأنا مثل الآخرين تربينا على المذهب "une doctrine" ويجب أن نبقى عليه.

الاخوة تكلموا عن بلحاج، وعن بلونيس هؤلاء كلهم كانوا مناضلون في الحركة الوطنية وكانت لديهم مسؤوليات سرية أوغيرها.

لكن اليوم عندما نتكلم عن هذه الوقائع. أي على هذه التنظيمات المناوئة للثورة، يجب علينا معرفة من أين جاء هؤلاء الأشخاص؟ كيف حتى أن وصل بهم الأمر إلى حد ارتكاب الخطأ؟ المسؤولية تعود للحزب، لحزب الشعب، تعود لمصالي ومن كان معه وللجنة المركزية ومن كان معها.

وأنا شاهد على الأمر ولا زلت على قيد الحياة كان سني آنذاك 18 سنة عندما كنا نذهب إليهم لإقناعهم بالتراجع عن الفتنة والخلافات، إلا أنهم لم يتراجعوا فاللجنة المركزية، وعبان وبن خدة ويزيد كانوا كلهم حاضرين كانوا يقولون عن الطرف الآخر هم المخطئون والآخرون يقولون عن الطرف الأخر الآخرون مخطئون، وخلقوا لنا ثورة ونحن كانت أكثريتنا مسلحة في المدن والقرى، مسلحين وعندما انفجرت الثورة وأنا من أولئك الأشخاص الذين لم يشاركوا في أول نوفمبر لأننا كنا في خلافات كدنا أن نتقاتل بأسلحتنا ولم نجد من يوحدنا ولكن في ما بعد عرفنا نحن سواء المصاليون أو المركزيون أو كما كان سي بن يوسف في البليدة أو الإخوة وجوب توحيد جيش التحرير. وجبهة التحرير ينخرط فيها كل الناس ووجوب توحيد القيادة حتى يكون بإمكاننا محاربة الاستعمار.

وهناك من الأشخاص الذين خالفونا في القيادة الموحدة من كان على حق ولكن قتلناهم لأن الحق في الوحدة أسبق من الحق في التسيير أو في أي شيء آخر.

إذن هذه هي الفكرة التي اتخذها الإخوان بعد مؤتمر الصومام وقد أخذوا قرارات قاضية بتوحيد جيش التحرير وجبهة التحرير وبضرورة إيجاد قيادة موحدة للرد على فرنسا.

في هذا الإطار حاربنا "البلونسيين" "les belounisistes" وتقاتلنا معهم، على أساس. واسمحوا لي بقول هذا ولياقشني الإخوان في ما بعد. أنا لا أقول عنهم أنهم خونة، لأن فيهم من كانوا "تباعين" ولا زالوا على قيد الحياة، وهاهم هنا. عندما تحدثت عن بني مسوس وعن شراقة، فالجماعة صعدت إلى الجبل مع "سلام" أصبحوا معهم ولم يعرفوا... وهناك من تفطن للأمر ورجع إلى جيش التحرير ولا زال أحدهم معنا حيا يرزق إلى يومنا هذا ويقطن حاليا "ببئر خادم"

ومنهم واحد ذكره الله بخير قتلناه برافال 24 "الحاج بلقايد" رحمه الله هو من أطلق الرصاص على 14 شخصا برافال 24 وماتوا ودفناهم ولكن قدر الله أن يعيش واحد منهم ، وهو معنا وعندما حضر يوم منحه شهادة الاعتراف attestation communale قالت الجماعة إن هذا الشخص كان مع البلحاجيين فقلت لهم إن الله لم يشأ أخذه "ياخي ربنا أو ما حبش يديه" بالرغم من أنه

ضرب بالرصاص إلا أنه كان معنا، رجع إلينا وحارب في الأوراس.

كان معهم يوم ضرب بالرصاص ودفن ولكنه لم يمت. وعندما أردنا استخراج شهادة الاعتراف له في العاصمة هنا قالوا إنه كان في السابق "بلحاجيا" "Belhajiste" لقد نفذت فيه الجماعة الحكم بالقتل ولكن التنفيذ تم بعد عقوبة « La Bleuite » حيث وقع شك وحكم على الجماعة بالاعدام ونفذ فيهم الحكم. إذن كما قلت لهم أنتم لستم أحسن من الله الذي لم يشأ أخذه.

نفذنا فيه حكم الاعدام وهو خبيث، لا بل نفذنا فيه حكم الاعدام وهو بلحاجي والله لم يشأ أخذه. واليوم هو مجاهد كما نحن مجاهدون ولا يزال على قيد الحياة ولا أود ذكر اسمه.

أريد أن أعطي خلاصة . لأنني تجاوزت الخمس دقائق التي حددتها الجماعة كتوقيت لتدخلي . الخلاصة ما هي؟ أبارك الاخوان على المحاضرات التي ألقيت وأبارك الشهود العيان على تعليقاتهم، ولكن كل هذا الأمر يستلزم إعادة دراسة، إعادتها من 1942 كما سبق وأن ذكرت، وإعادة دراسة فتنة 1952 بين المصاليين والمركزيين وهم لازالوا أحياء، ودراسة كيفية خوضنا للثورة ونحن أثناءها منقسمون، وكيف تقاتلنا، وكيف قدر الله للبعض أن يتبع خط جيش التحرير وجبهة التحرير وللبعض الآخر أن يموت هدرا.

في إحدى المرات في معركة في تمزقيدة أسقطنا جماعة من بينهم واحد رفع علم الجزائر وصرخ تحيا الجزائر وفارق على إثرها الحياة.

جماعة أخرى كانت في السجن وقد نفذت عقوبة الإعدام فيهم بقطع رؤوسهم واليوم نقول عنهم أنهم ليسوا شهداء .

إذن يجب أن تدرس هذه القضية، وأن تدرس كما يجب. نحن لا نريد توظيف الظروف لأن الأمر يستوجب دراسة شاملة ويستوجب العفو، يستوجب العفو، يستوجب العفو.

إذا كنا اليوم قد وصلنا إلى حد العفو عن القتلة والذباحين الذين قتلوا بالألاف، فلماذا لا نعفو عن شخص أخذ موقفا سياسيا، في السابق في 1942 أو في 1945، في قالمة أو سطيف أو في خراطة أو في أول نوفمبر ولم يقتل أو يذبح.

يجب إعادة دراسة الثورة وإعادة الاطلاع على كل الوضعيات والحيثيات ويجب إصدار العفو عن كل الأشخاص الذين لم يرتكبوا جرائما في حق الشعب الجزائري.

المجاهد محمود عيسى الباي من الولاية الرابعة التاريخية

بسم الله الرحمان الرحيم، لضيق الوقت سأحاول أن أكون سريعا ومختصرا.

النقطة الأولى: هناك قضية هامة أهملت في الملتقى وهي أهم من قضية شريف بن سعيدي أو غيره، وهي محاولة تقسيم الصحراء والمنظمة التي أحدثتها فرنسا والتي كان على رأسها حمزة أبو بكر إلا أنها لم تدرج في هذه الندوة وهي هامة أكثر من أشياء أخرى.

النقطة الثانية: وتتعلق بقضية شريف بن سعيدي التي قدمها الأستاذ بن جابو ولدي ملاحظات عنها:

أولا: كما هو معروف فإن التقسيم الجغرافي للجزائر في منظمة L'os وهي الشرق، ناحية القبائل، الوسط الذي كان مقسما إلى قسمين وسط جنوب، ووسط غرب حيث كان جيلالي الرقيمي يشرف على وسط الجنوب والحاج شريف على وسط الغرب.

هنا نرى أنه في تقسيم الثورة بقيت خمس مناطق فالوسط ضم إلى بعضه البعض والشرق قسم إلى قسمين. أقدم لكم هذا الأمر كملاحظة أو كمداخلة. وهذا ما جعل المنطقة الرابعة تمتد جنوبا إلى غاية عمق الصحراء، كما كانت الولاية الثالثة كذلك تمتد جنوبا إلى عمق الصحراء وهذا ما جعل أيضا عملية الانتشار غير تامة في هذه المساحة الكبيرة، غير أن هناك اتصالات وقعت

بين المنطقة الرابعة والأغواط والمنطقة الرابعة وغرداية . وكانت اتصالات كبيرة ومعروفة وهناك الكثير من أبناء الأغواط ممن استشهدوا في الولاية الرابعة، ومنهم إطارات لا يزالون على قيد الحياة من بينهم وزير التربية والتعليم "السعيد بن عمر".

تكونت الولاية السادسة بعد مؤتمر الصومام ولهذا فإن الأوضاع التي تكونت فيها كانت أوضاعا متأخرة ونستطيع أن نقول عنها أنها متأخرة من جميع الجوانب.

وقد قدمت الولاية الرابعة جزءا منها أي من المنطقة الجبلية لتمركز القيادة الجديدة، حيث في هذه الفترة تنازلت الولاية الرابعة عن لا روكات في إمتداد الشمال إلى غاية نواحي البرواقية وبني سليمان للولاية السادسة غير أن هذه المنطقة المتنازل عنها كانت تسير بنظام الولاية الرابعة وذلك حتى تنطلق الولاية السادسة في الاشتغال.

وأذكر للتاريخ ذلك الخلاف السياسي الذي وقع قبل اندلاع الثورة، أنتم على علم بأن أغلبية الجزائريين كانوا قد مالوا إلى جناح مصالي والأقلية فقط ممن كانوا مع اللجنة المركزية.

والثورة حكمت على هذا وذاك أي كليهما بالخطأ وهذا هو الواقع، فبقيت المنطقة ملغمة نوعا ما، حيث بقي عدد كبير من الأشخاص في حالة شك. هل يتبعوا مصالي أم جبهة التحرير والتي كانت حديثة النشأة؟ هذه هي الوضعية العامة التي كانت سائدة وهذا

عامل من العوامل وخلفية من الخلفيات التي كانت وراء قيام شريف بن سعيدي وتأثيره.

أريد هنا أن أقول أنه في سنة 1957 سي شريف أي سي علي ملاح الذي عين في مؤتمر الصومام كان لديه مساعدون من بينهم "عمر الروجي" ومنهم من يقول إنه كان عضوا في المنطقة أي أنه لم يكن عضوا في الولاية ومنهم من يقول إنه كان عضوا في الولاية.

وقد نتج عن هذه الوضعية أن أغلبية الجنود المتواجدين في هذه الناحية لم يكونوا من مواطني هذه الجهة ولم يكونوا كلهم من خارج المنطقة، ولكن العدد الأكبر منهم كان من خارج المنطقة أي من الولاية الثالثة والرابعة.

إذن شريف بن سعيدي كان مجندا متطوعا في الجيش الفرنسي برتبة رقيب أول Sergent Chef وأثناء إجازته في المنطقة لزيارة عائلته، اتصل بجيش التحرير، وبقيت القضية في أخذ ورد ثم تقرر في النهاية تجنيده. إلا أنه وبعد مدة من الزمن أي بعد تكوين الولاية السادسة كان هو مكلفا بكتيبة، هذا ما كان موجودا في المنطقة، كتيبة فقط. ولما وقع الحدث والذي بدأ بقتله " لعمر الروجي"، قتله على أساس أنه إنسان وقح لا يحترم العادات والتقاليد. ثم قام بقتل جنود أخرين ثم امتدت يده إلى شخص "علي ملاح" رحمه الله. ومن هو "علي ملاح"؟ هو عضو في جماعة المنظمة الخاصة L'OS أي من المناضلين القدامى في

الحزب وثقافته عربية إسلامية، فبالإضافة إلى أن منطقته تحتوي على زاوية، فلقد كان خريج تونس ومعلم سابق في سور الغزلان وعاش حياته نوعا ما مطاردا، لأنه كان يعلم في مدارس الحزب.لم يكن شخصا منغلقا على نفسه وامتدت إليه يد شريف بن سعيدي فقتلته. ومن هنا سي محمد رحمه الله وعندما أوقعت هذه الأحداث ضجة وبلبلة ووصلت رسائل – لأن الولاية الرابعة كانت أقرب نقطة إلى الولاية السادسة – طلب حضور شريف بن سعيدي وعقد إجتماعا وكان لي شرف حضوره مع "سي محمد شريف قاضي" في إطار كوموندو المنطقة الأولى وهو كوموندو "علي خوجة" . ولم يشأ "سي محمد" تكرير خطأ أحداث ملوزة.لم يرد صدم الأهالي. فقام بتجميع أعيان المنطقة وطلب من شريف بن سعيدي تقديم تقرير عن الوضعية.لم يشأ معاملته بالقوة بل طلب منه تقريرا عن الوضعية لمناقشته وذلك بغرض إيجاد حل لما هو سائد أمام الناس.

في البداية قام شريف بن سعيدي بتقديم الأوضاع وما قام به "عمر الروجي" إلخ بعدها سأله "سي محمد" عن قضية "سي ملاح" وقال له و"سي علي ملاح"؟

فرد عليه شريف بن سعيدي " أنا بريئ من دمه، لم أقتله" إلا أن كاتبه والذي كان يحمل كناشا معه ذكر أسماء الأشخاص الذين قتلهم وهو ينظر في كناشه واصل القراءة فقال "أما سي علي ملاح فلقد وجدنا عنده كذا وكذا..."

هنا فقط اتضحت الأمور واتضح بأن هناك مؤامرة تحاك، وأن هناك خلفيات للقضية. كانت حاضرة مع شريف بن سعيدي كتيبة وليس 300 جندي كما ذكر الأستاذ سابقا، وعندما حان وقت تناول وجبة العشاء قال إنها فرصة لتناول عشاءنا ونكمل بعده اجتماعنا.

ذهب سي شريف بن سعيدي إلى بعض عناصره وقال لهم " إن فرنسا قادمة وسينسحب "سي لخضر"و "عز الدين" و"سي محمد" وكل الجماعة التي جاءت من الولاية الرابعة وسننسحب نحن أيضا". أما بالنسبة للجنود الذين ذهبوا معه فهناك من كان على علم بالقضية وهناك من لم يكن على علم بها. ذهبت معه فصيلتان deux Sections أما الفصيلة الثالثة فلقد بقيت معنا. هكذا اتضح خبثه. أنا لا أصف فعله على أنه حركة مناوئة بل هو خبث صريح لا نستطيع أن نصنفه ضمن الحركات المناوئة، لأنه ليست له أفكار، هو خائن، خائن التحق بالثورة ثم خانها. فالحركة المناوئة هي حركة لها أفكار وأهداف سياسية. ومن هنا انطلق مع حوالي 60 مجاهدا أقول مجاهدا لأنهم كانوا على نياتهم، كانوا في بداية الأمر آنذاك على حسن نية. هكذا انسحب وظهرت خيانته.

لماذا تصرف سي محمد بهذه الطريقة؟ حتى يثبت للأهالي الموجودين هناك ولأعيان المنطقة بأن شريف سعيدي خائن وفعلا فلقد قال "سي محمد" " لو لم يكن خائنا فلماذا يهرب إذن كان

سيكمل وسيواجه، ولو لم يكن مخطئا كان سيعطي تبريرا للأعمال التي قام بها" انسحب، ومن ذلك الوقت بقي مع فرنسا برتبة عقيد. وفي سنة 1962 أحضروه إلى هنا، إلى بابا علي هو ومجموعته، كان قد حاول ربط الاتصال مع الولاية، ومن ثم غادر إلى فرنسا.

شكرا على حسن استماعكم والسلام عليكم.